الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعــة العقيــد الحاج لخضــر بـــاتنة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغــة العربيــة وآدابها

الانسجام النصي في الرسالة الهزلية لـــ: بن زيدون

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في لسانيات الخطاب

إعداد الطالبة:

ربعية بن مخلوف

إشراف:

د: حسين بن مشيش

د: محمّــد بوعمامة

السنة الجامعية: 2008-2009

خطة البحث

- مقدمة.
- تمهيد.
- الفصل الأول: النص، الخطاب، الانسجام (المصطلح والمفهوم):
- النص/ الخطاب/ المعنى اللغوي.
- النص/ الخطاب/ المنظور النقدي.
- الانسجام/ التوازي/ المعنى اللغوي والاصطلاحي.
- الانسجام/ التوازي/ المنظور النقدي.
- الفصل الثاني: الانسجام النصي/ أهميته وآلياته:
- أهميته.
- آلياته:

أولا: من المنظور البلاغي:

- الفصل والوصل

ثانيا: المنظور البنيوي:

1- الاحالة:

- مفهومها.
- أنواعها: قبلية وبعدية.

2- الاستبدال:

- مفهومه.
- أنواعه.

3- الحذف.

4- الاتساق المعجمي:

- التكرار.
- التضام.

ثالثا: من المنظور التداولي:

1- السياق:

1-1- مفهومه.

1-2- دوره في تحديد المعنى.

1-3- خصائصه.

1-4- أنواعه.

2- التأويل.

3- القياس.

4- الحالة العادية المفترضة للعوالم.

5- التغريض.

- الفصل الثالث: الانسجام/ الجانب الاجرائي االتطبيقي:

- انسجام الرسالة.

تمهيد :

أولا/ التعريف بالشاعر:

– **مولده:** ولد الشاعر أحمد بن عبد الله بن غالب بن زيد المخزومي الأندلسي سنة 394هـ– 1003م بالرصافة من ضواحي قرطبة ،وينتمي إلى قبيلة "بني مخزوم "العربية التي كانت لها مكانة عظيمة في الجاهلية والإسلام، وعرفت بالفروسية والشجاعة، كان والده من فقهاء "قرطبة" وأعلامها المعدودين،كما كان ضليعا في علوم اللغة العربية،بصيرا بفنون الأدب على قدر وافر من الثقافة والعلم،وما كاد يبلغ الحادية عشر من عمره حتى فقد أباه فتولى جده تربيته واهتم بتنشئته تنشئة صحيحة وتعليمه العربية والقرآن والنحو والشعر والأدب ،فتهيأت لابن زيدون–منذ الصغر–عوامل التفوق والنبوغ فقد كان ينتمي إلى أسرة واسعة الثراء.[1]

اتصل"ابن زيدون" بكثير من أعلام و أدباء عصره المشاهير،فتوطدت علاقته– في سن مبكرة– بأبي الوليد بن جهور الذي كان قد ولي العهد ثم صار حاكما وساهم بدور رئيس في إلغاء الخلافة الأموية بقرطبة.[2]

حظي بمنصب الوزارة في دولة"ابن جهور" واعتمد عليه الحاكم الجديد في السفارة بينه وبين الملوك المجاورين ،إلاّ أن"بن زيدون "لم يقنع أن يكون ظلاّ للحاكم.

سجنه وتمكنه من الفرار:

لقد كانت دروب السياسة وعرة وغير آمنة، فتشعبت الأحداث وكثر الوشاة، وهذا ما ساق ابن زيدون إلي غياهب السجن بتهمة التآمر على النظام، و"استغل أعداء الشاعر و منافسوه غروره وميله إلي التحرر والتهور فأوغروا عليه صدر صديقه القديم،ونجحوا في الواقعية بينهما ، فسجن"ابن زيدون"وفشلت توسلاته ورسائله في استعطاف الأمير حتى تمكن من الفرار من سجنه إلى اشبيلية.[3]

وصل ابن زيدون" اشبيلية بعد تركه دولة الجهوريين في قرطبة وإقامته مدة في دانية، وبطليوس، فنعم نحو عشرين سنة في بلاط اشبيلية.[4]

---

1 www.lsam online.net.
2 www.lsam online.net.
3 www.lsam online.net.

4- سلسلة الروائع ،ابن زيدون ،الرسالتان ومقطعات شتى،فؤاد أفرام البستاني، دار المشرق، بيروت، ط4،1977،ص:ج.

علاقته بولادة:

إنّ ابن زيدون عاش قصة حبّ فريدة ،شحذت خياله الفني، وأثرت في إبداعه وخياله وشعره لقد شغف حبا بولادة بنت المستكفي، آخر خلفاء بني أمية في قرطبة كانت أديبة شاعرة لها ناد لرواد العلم والأدب وكانت على حظ كبير من الجمال... فكتب عنها أجمل القصائد فحين تقرب منها ابن زيدون بادلته حبا بحب، قبل أن يظهر ابن عبدوس في حياتهما.إذ استطاع أن يستولي على قلب ولادة ،مستغلا ظروف سياسية شارك فيها ابن زيدون مع ابن جهور ضد خلافة بني أمية المهترئة، الشيء الذي جعل ولادة تميل إلى ابن عبدوس الذي لم تجد فيه ما كان لها في ابن زيدون ولكن ذلك ترك أثرا عميقا في نفس ابن زيدون وتبلور في شكل قصائد عتاب ولوم... وتذكير بما مضى.(5)

المؤامرة على الشاعر:

حاول أعداء الشاعر ومنافسوه أن يوقعوا بينه وبين الأمير الجديد ،وظنوا أن الفرصة قد سنحت لهم بعدما تولى"المعتمد"العرش خلفا لأبيه ،فدسوا إليه قصائد يغرونه بالفتك بالشاعر، ويدعون أنه فرح بموت "المعتضد"، ولكن الأمير أدرك المؤامرة، فزجرهم وعنّفهم،ووقع على الرقعة بأبيات جاء فيها:

كذبت مناكم، صرّحوا أو جمجموا الدين أمتن، والمروءة أكرم.

خنتم ورمتم أن أخون،وإنما حاولتم أن يستخف "يلملم".

وختمها بقوله محذرا ومعتذرا:

كفوا وإلاّ فارقبوا لي بطشة تلقي السفيه بمثلها فيحلم.

وكان الشاعر عند ظن أميره به، فبذل جهده في خدمته، وأخلص له.(6)

وقد عرف ابن زيدون بإخلاصه في عمله إلاّ أنه أصيب بالمرض والشيخوخة فسلّم مهام الوزارة ابنه أبا بكر،وقد أضنته الحمى حتى توفي عام 463هـ–1071م.عن عمر بلغ نحو ثمانية وستين عاما، ودفن في اشبيلية .(7)

آثـــــاره:

---

[5] -www.rouwaa.com

[6] -www.rouwaa.com

[7] - الروائع.ابن زيدون .الرسالتان ومقطعات شتى،فؤاد البستاني، ص:ج

يقول الأستاذ علي عبد العظيم :(لم تبق لدينا من آثار ابن زيدون الكتابية إلا طائفة قليلة من رسائله الأدبية،وسطور من كتابه في تاريخ بني أمية،ومقطوعة وصفية،ونظرة نقدية أمّا رسائله السياسية فقد ضاعت جميعها.[8]

فآثار ابن زيدون عبارة عن مرآة عاكسة ،تعكس حياته و أدبيته وفنيته، ولابن زيدون ديوان كبير يكون قد جمع في حياته،وصل إلينا في عدة نسخ وأهم ما في الديوان القصائد الغزلية المستوحاة من حبه لولادة وبعض القصائد المدحية وأشهرها في بني جهور وبني عباد.[9]

الرســـــائل:أهم ما ترك ابن زيدون في النثر الأندلسي رسالتان شهيرتان:

- **الرسالة الهزلية:** أو التهكمية وضعها على لسان ولادة.
- **الرسالة الجديـــة:** وهي الرسالة التي سيرها من سجنه إلى الأمير أبي الحزم بن جهور وكان يستعطفه فيها.[10]

---

[8]- www.rouwaa.comشبكة رواء للأدب والفنون العربية

[9]-الروائع.ابن زيدون .الرسالتان ومقطعات شتى،فؤاد البستاني، ص:هـ

[10]-نفسه ، ص:و.

ولابن زيدون رسائل أخرى سيرّها إلى بعض الملوك الذين اتصل بهم أمثال المعتضد بن عباد،صاحب اشبيلية،وأبي بكر بن الأفطس صاحب بطليموس.[11]

لقد نسب للشاعر كتاب في التاريخ تحت عنوان "التبيين" وذكر منه جزء في" نفح الطيب" للمقري باعتباره التبيين لابن زيدون ،ولكن دراسته لأستاذنا محمد بن شريفة نفت ذلك، وأثبتت أن كتاب "التبيين" هو كتاب في التاريخ لأبي الوليد بن زيدون (الحفيد)،وليس الشاعر المعروف. وهذا يعني أن ابن زيدون لم يكتب في التاريخ ،كما توهم بعض الدارسين من عرب ومستشرقين ومنهم الأستاذ علي عبد العظيم الذي حقق الديوان.[12]

---

[11]- المرجع السابق،ص ز

[12]- www.rouwaa.com./ شبكة رواء و الفنون العربية

ثانيا/ التعريف بالرسالة الهزلية:

الرسالة الهزلية أو التهكمية هي الرسالة التي أنشاها بن زيدون ،وقد بلغه أن الوزير "ابن عبدوس" منافسه في غرامه ،ومزاحمه على رضى حبيبته أرسل إلى ولادة امرأة تستميلها إليه،وتعدد لها محاسنه ومناقبه،فوضع الرسالة على لسان ولادة وسيّرها إلى ابن عبدوس.[13]

فقد استهزأ به كثيرا ،وسخر منه وهذا لقلقه الشديد، وخوفه من أن تميل حبيبته إلى بن عبدوس، وقد كتبها على لسان ولادة وهذا لكي يبغضها،ويكف عن التعرض لها.

وقد نالت هذه الرسالة من "ابن عبدوس" كل منال،وشهرته ضحكة في المجتمع القرطبي، فأمسك عن التعرض لولادة،حتى نكب الشاعر فطرح في السجن.[14] وبهذه الرسالة حقق "ابن زيدون" مبتغاه من منافسة ولو آنيا، كما تمتع بالاستهزاء به ورميه في أسفل الدركات إذ جعله موضوع الحديث المتداول في المجتمع القرطبي ،وجعل كل من يذكره يسخر منه.

وقد حمل عليه فيها ،وأوجعه سخرية وتهكما، وتتسم هذه الرسالة بالنقد اللاذع والسخرية المريرة، وتعتمد على الأسلوب التهكمي المثير للضحك، كما تحمل عاطفة قوية عنيفة من المشاعر المتباينة: من الغيرة، البغض، الحب، والحقد وتدل على عمق ثقافة "ابن زيدون" وسعة اطلاعه.[15]

فالقارئ لهذه الرسالة يحس باللذة والمتعة ،ويعود ذلك إلى استخدام الشاعر لأسلوب مثير للضحك والسخرية فهو لا يكاد يصدق بأن له منافسا في غرامه ،مماّ أدى إلى بروز مشاعره الجياشة القوية مع بغضه وكرهه لابن عبدوس ،وقد استعان بذكر ألفاظ عجيبة و أسماء كثيرة من أسماء العرب.

ويمكن أن نقول أن "ابن زيدون" بحبه الشديد لولادة ،وغيرته عليها وبغضه الشديد لابن عبدوس أنتج لنا هذه الرسالة التي تفنّن فيها وظهرت فيها قوة إبداعه وإنشائه للنصوص.

13- المرجع السابق،ص 1

14- نفسه.

وقد أطال فيها ما شاءت قريحته الخصبة، وما وسعت ذاكرته العجيبة من أخبار العرب وأشعارها و أمثالها ،وما احتوت ثقافته الواسعة من وافر المعارف وعجيب المقارنات وأفحش فيها ما مدّه لسانه السليط، ومعجمه البذيء ،حتى إن ولادة نفسها نفرت ممّا وضع فيها على لسانها من نابي اللفظ ، وفاحش التعبير، ومقذع الهجو وقد شرّقت الرسالة وغربت فعدّت مثالا لبلاغة الرّد الزاجر، ونموذجا للنقد المتهكّم في الفنّ الترسلي وهي الواقع من متع الأدب ،وطرف الإنشاء، لولا ما فيها من البذاءات الفاحشة.[16]

وقد شرحها "جمال الدين بن نباتة المصري" في كتابه "سرح العيون"،كما شرحها "محمد بن البنا المصري " في كتابه "العيون".[17]

وتوجد في المصادر التالية:

– نهاية الأرب للنويري،ج7،دار الكتب المصرية 1929.

– مسودة التحريرات النصرية ،لنصر الهوريني،نسخة مخطوطة رقم 8845 أدب بدار الكتب المصرية.

-ديوان ابن زيدون،رسائله، أخباره،شعر الملكين، لكامل وعبد الرحمن خليفة،ط1،1351هــ1932م رقم474 مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده،مصر.

– ديوان ابن زيدون ورسائله شرح وتحقيق على عبد العظيم،نهضة مصر 1957م.[18]

16- الروائع.ابن زيدون .الرسالتان ومقطعات شتى،فؤاد البستاني، ص1 .

17-www.islam online.net.

18-www. rouwaa.com.

ثالثـــا/ مفهوم لسانيات النص:"texte linguistique "

تعتبر لسانيات النص من أحدث فروع علم اللّغة،غير أنها تتميز عنها من جهة النشأة والتطور.

إذ تعد لسانيات النص فرعا جديدا في علوم اللسان وعلاقتها بالبحث الأدبي الذي استثمر كثيرا مما توصلت إليه اللسانيات،إما على مستوى منهجية البحث وإمّا على مستوى النتائج، ويبدو ذلك جليا في كثير من المفاهيم والمصطلحات اللسانية التي هيمنت على الدرس الأدبي وصرنا نقرأها في كتابات كثير من الدارسين للأدب أمثال "ياكوبسون" و" بنفينيست" و"بارت" و"كريستيفا".

فالبحث في مثل هذه الموضوعات مهم جدا ،وليس من السهولة طرق لأنه يشكل وردا تناصرت الهمم إليه وما تزال ،فهو يجمع بين معارف عديدة وتخصصات يتضافر بعضها ببعض في تكوين الظاهرة النصية [19] .

فلسانيات النص نشأت في بلدان مختلفة في صور مختلفة تتباين في الأصل ،ولكنها من خلال تطورات مستمرة بدأت تظهر أوجه التقارب بين الاتجاهات المختلفة.

وقد استقر هذا المفهوم الحديث لعلم النص في عقد السبعينات من هذا القرن وهو يسمى بالفرنسية ، ويطلق عليه في الانجليزية "texte science" الأمر ولا يخرج عن هذين الحدين في بقية اللغات الحية ،مما يجعل ترجمته إلى "علم النص"في العربية أمرا مقبولا.وعلى الرغم من أن مصطلح "تحليل النصوص"كان معروفا منذ فترة طويلة وكذلك "عبارة تأويل " النصوص خاصة في الدراسات اللغوية والنقدية تلك التي تعني بالوصف المحدد للنصوص الأدبية.

إلاّ أن علم النص يطمح إلى شيء أكثر عمومية وشمولا،فهو من ناحية يشير إلى جميع أنواع النصوص وأنماطها في السياقات المختلفة،كما أنه من ناحية أخرى يتضمن جملة من الإجراءات النظرية والوصفية والتطبيقية،ذات طابع علمي محدد [20] .

وهذا العلم لم يرتبط –كما يذهب مؤرخوه– ببلد بعينه أو بمدرسة بعينها أو باتجاه

---

[19]- التفكير التربوي وإشكالات قراءته (من الجملة إلى علم النص) بشير ابرير،ص1.

[20]- بلاغة الخطاب وعلم النص سلسلة عالم المعرفة، صلاح فضل ،الكويت،ع1992،164،ص319.

محدد، كما هي الحال بالنسبة لعلم النحو التحويلي التوليدي ،وقد ترجم إلى العربية بمصطلحات مختلفة،وهو يختص بدراسة النصوص ومحاولة تأويلها وفهمها وذلك بتحليلها وفق مناهج مختلفة .

وقد عرف هذا العلم بمصطلح "علم لغة النص"أو "علم اللغة النصي"أو علم النص" بشكل عام،وفي المغرب العربي يعرف بمصطلح لسانيات النص الذي يركز في دراسته على اعتبار النص الوحدة الكبرى للوصف ،وبأنه مادة الدراسة الأساسية ،فهو المادة المشتركة بين كثير من العلوم، ونقطة الالتقاء بينها.وهذا المصطلح لم يلق التوحيد لا عند منظره ولا عند المترجمين، وتتمثل مهمة لسانيات النص في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة وبشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل، واستخدام اللغة كما يتم تحليلها في العلوم المتنوعة[21] .

وعلى هذا الأساس فان لسانيات النص تدرس النصوص باعتبارها الوحدات الأساسية والكبرى للتحليل، وبما أن اللغة هي وسيلة اتصال يستخدمها مجموعة من الأفراد للتوصل إلى أهداف معينة،فالنص هو حدث اتصالي،إذ لا بد من الاهتمام بأمور مختلفة تتعلق بمنتج النص ومستقبله، والمحيط الثقافي وما غايته ومقاصده،كما يركز علم لسانيات النص على النصوص في حدّ ذاتها،من قواعدها وأشكالها المختلفة وظائفها المتنوعة.

ويعرف علم النص على أنه العلم الذي استطاع أن يجمع بين عناصر لغوية و غير لغوية لتفسير الخطاب والنص تفسير إبداعيا[22] .

فتحليل النص لا يقتصر على الدراسة الشكلية للنص وحدها،بل يتعدى إلى إبراز دور المشاركين في العملية اللغوية ،وكيفية اختيار المبدع لأدواته اللغوية مثل الضمائر الأزمنة والتكرار والحذف بمعنى الاهتمام بمختلف العلاقات الداخلية والخارجية.

فعلم النص يدخل في حساباته دراسة النص من جوانب كثيرة،بعضها لغوي وكثير منها غير لغوي، ممّا يجعلنا ندرك حجم هذا العلم (علم النص) الذي يدخل في

21- بلاغة الخطاب وعلم النص،سلسلة عالم المعرفة،صلاح فضل،الكويت ،ع1992،164،ص47.

22- علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري ،لونجمان،القاهرة،ط1997،1،ص:ب.

مناهجه علوما كثيرة متشابكة ومتداخلة إلى حدّ كبير مثل اعتماده على البحوث التجريبية والمنجزات النظرية لعلم نفس المعرفة،وارتباطه الوثيق بميدان الاصطناعي[23] .

إذن فهذا العلم يرتبط ارتباطا وثيقا بالعلوم الأخرى كالأسلوبية والبلاغة والشعرية الحديثة ومنها يستقي ما يمكّنه من تحقيق هدفه الأساسي وهو الوصول إلى بنية النص عن طريق تحليله ومحاولة فهمه.

ومعظم الدراسات تؤكد على أنه فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة ،...ومن هذه الدراسات نجد الدراسة التي تؤكد الطريقة التي تنظم بها أجزا النص لتخبر عن الشكل المفيد، هي الدراسة اللغوية لبنية النصوص، وان كان "ديفيد كريستال" يذكر أن تحليل الخطاب يرتبط بتحليل اللغة المنطوقة بينما تحليل النص يرتبط باللغة المكتوبة،ولكنه أكد بعد ذلك أن التحليل سواء أكان نصا أم خطابا فإنه يشمل كل الوحدات اللغوية المنطوقة والمكتوبة مع تحديد الوظيفة التواصلية[24] .

فعلم لغة النص يختص بدراسة النصوص وتحليلها من جوانب عديدة أهمها الترابط والتماسك النصيين والإحالة والسياق وهذه الدراسة تشمل النص المكتوب والمنطوق. ويمكن القول أن لسانيات النص تجاوزت مهمّة الدراسة التقليدية التي كانت تهتم بالمستويات اللغوية (الصوتية،الصرفية،النحوية والدلالية) حيث تعدّت إلى الاهتمام بالاتصال اللغوي وأطرافه وشروطه،وقواعده وخواصه وآثاره،كذلك أشكال التفاعل بين المبدع والمتلقي وأنواع المتلقين واختلاف القراءات لدى القراء، وأوجه التأثير التي تحققها الأشكال النصية ،فالنصوص تصبح ملكا للقارئ يقرأها ويحللها ويتفاعل معها.

فلغّة النص ليست خامدة وجامدة ولكنها حركية متفاعلة، لا يتوقف عن الحركة في استيعاب دلالات ومضامين جديدة وإفراز أشكال من الأبنية غير المحدودة .

فلغّة النص ليست خامدة وجامدة ولكنها حركية متفاعلة، لا يتوقف القارئ عن الحركة في استيعاب دلالات ومضامين جديدة وإفراز إشكال من الأبنية غير المحدودة، وهذا ما يتطلب وجود قارئ صاحب كفاءة ومقدرة لا تختلف أهمية عن عملية إنتاج النص من خلال عمليات الوصف والتحليل والتفسير، فيمتلك القدرة على استكشاف إمكانات

23- نحو النص،اتجاه جديد في الدرس النحوي،أحمد عفيفي،ص32.

24- علم اللغة النصي ،صبحي ابراهيم الفقي،35.

النصوص وطاقاتها الإبداعية غير المحدودة واستنطاق مكوناتها ومادتها اللغوية،فيكون عنصرا مشاركا وصانعا للنص،كذلك معرفة مدى تحقق الترابط الشكلي والدلالي في النصوص،وهذا لتحقيق معنى جامع.

فعلم لسانيات النص متداخل الاختصاصات إذ يستقي أكثر أسسه ومقولاته ومعارفه من العلوم التي تتداخل معه تداخلا شديدا ،ولكنه يتجاوزها لأداء مهام جديدة أوجبت له الاستقلال والتفرد، وهذا بغية وصوله إلى بنية النص.

وما يزال السؤال حول ماهية علم لغة النص مثار جدل بين الباحثين ،فماذا يريد علم النص بالضبط؟ وما قيمة النظرية النصية؟ وما هي عناصر الاستقلال والتفرد وعناصر التبعية والامتزاج؟ ويحاول "كوزريو" أن يقدم إجابة سؤال طرحه وهو: لماذا نحتاج إلى علم لغة يدرس النص؟. ويجيب عنه قائلا: "علم لغة النص-في رأيه- ليس في الحقيقة شيئا غير المقدرة التأويلية ،ونظرية علم لغة النص ليست شيئا غير نظرية التأويل (التفسير)،وذلك باعتبار أن علّة إنشاء هذا العلم تقوم على الحقيقة القائلة بأن الأمر يتعلق مع النص حول مستوى مستقل لما هو لغوي ،لا يمكن أن يوضحه مستوى الكلام بوجه عام وحده،ولا مستوى اللغات المنفردة(المعنية) [25] .

وتتميز لسانيات النص بخاصية التداخل مع العلوم الأخرى كعلم الاجتماع والنفس والشعر والبلاغة وغيرها ،لان هذه العلوم تستعمل النصوص من أجل غايات مختلفة كل حسب مجالها، غير أن لسانيات النص تركز على النصوص في ذاتها بوصفها فرعا علميا.

ويبدو أن دور لسانيات النص الذي تتزايد أهميته باطراد في دراسة اللغة في كثير من البلدان ،يشير إلى تحول في الفكر، فالانشغال السابق بالجمل التوضيحية المنعزلة في مواقف النصوص الاتصالية يتحول إلى اهتمام جديد بحدوث التجليات الطبيعية للغة أي النص،إذ ربما اشتملت وقائع الاستعمال للغة على تركيب سطحي من كلمات مفردة أو جمل مفردة ،ولكنها تقع في نصوص أي أشكال من اللغة ذات معنى قصد بها الاتصال[26].

25- علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيـــد حسن بحيري،ص33 .
26- النص والإجراء و الخطاب،روبيرت دي بوجراند ،تر:تمام حسان،عالم الكتب،ط،1418هـ،1988م،ص71.

فلسانيات النص في دراستها وتحليلها ،تتجاوز مستوى الجمل إلى مستوى النصوص، ذلك أن النص مكون متكامل من الجمل المترابطة لغويا ودلاليا،وهو موجه إلى القارئ ،فهذا الأخير يتفاعل معه ويحاول فهم مقاصده وغاياته وذلك باعتباره وحدة واحدة أساسية.

كما أن" لسانيات النص تهتم بالنصوص لا غير ،فهي تقتصر على الاهتمام ببنية النصوص النحوية وتوظيفها في الاستعمال ،وتعمل على تأسيس النص على قاعدة النص لا غيره" [27].

لذلك أخذت اللسانيات النصية بصفتها العلم الذي يهتم ببنية النصوص اللغوية وكيفية جريانها في الاستعمال شيئا فشيئا مكانة هامة في النقاش العلمي للسنوات الأخيرة. فلا يمكن اليوم أن نعدها مكملا ضروريا للأوصاف اللغوية التي اعتادت أن تقف عند الجملة معتبرة إياها أكبر حد للتحليل بل تحاول اللسانيات النصية أن تعيد تأسيس الدراسة اللسانية على قاعدة أخرى هي النص ليس غير. لكن هذا لا يعني أننا نعتمد المعنى المتداول بين الناس للنص،بل ينبغي أن ندرج في مفهومنا للنص كل أنواع الأفعال التبليغية التي تتخذ اللغة وسيلة لها[28].

فالتحليل هنا يختص وينطلق من تحليل لغة النص ،تلك المجموعة من القواعد اللغوية والأبنية التركيبية،فالقارئ للنص هو في حالة اتصال ،وهذا الحدث الاتصالي يتم فيه التفاعل ومناقشة مختلف الأبنية من تطابق وتقابل وتراكيب متنوعة، ومحاولة استنطاق مكونات النص والوصول إلى المعاني والدلالات الخفية وهنا النص هو محور الدراسة وهو النواة المركزية التي يتم تحليلها.

وقد ظهر مصطلح "نحو النص" في مقابل مصطلح "نحو الجملة" الذي كان سائدا في الدراسات التقليدية ،وقد لقي ثورة ضده من طرف علماء لسانيات النص.

فنحو النص "جاء تطويرا لبحوث لغوية مكثفة قامت بها المدارس اللغوية الأوروبية والأمريكية لفترة طويلة، حيث تداخلت كثير من الدراسات واختلطت نتيجة لتلك الاختلافات المنهجية التي ساعدها أن بعض المدارس–مثل مدرسة براغ– كانت تضم مجموعة غير متجانسة تماما في أفكارها أو نظراتها إلى الظواهر اللغوية. وأن بعض

27- علم اللغة، نشأته وتطوره ،محمود جاد الرب ،دار المعارف ،القاهرة، د ط،1975،ص125،124.

28- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي،دار القصبة ، الجزائر ،د ط،جوان 2000،ص 168،167.

الدراسات اللسانية غير مفهومة-كما يقول برند شبلنر Bernd spillner حتى عند ممثلي المدارس والاتجاهات النحوية" النصية "[29]. وبذلك يعد نحو النص مبحثا من مباحث لسانيات النص.

فمصطلح "نحو النص"واحد من المصطلحات التي حددت لنفسها هدفا واحدا وهو الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي[30].

يفهم تحت "نحو النص"ذلك الفرع من قواعد النص التي لم تقم بعد،وهو الذي يصف وسائل التعبير المسؤولة عن عملية تشكيل النص ،وخلاف الدلالة النص وبرجماتية النص يقتصر مجال نحو النص على الوسائل اللغوية المتحققة نصيا والعلاقات بينها[31].

ومن الواضح أن "نحو النص" قد ارتبط ارتباطا وثيقا بتحليل الخطاب ووجود مذاهب نقدية جديدة تركز على النص كبنية كلية، لا على الجمل باعتبارها بنى فرعية، وعلى هذا اجتذبت النصوص علم النحو بناء على وجود تلك المذاهب باتجاهاتها النصية حيث صنع ذلك تطورا واضحا من نحو الجملة إلى نحو النص الذي يشمله وسياقه، وظروفه، وفضاءاته، ومعانيه المتعالقة القبلية والبعدية، مراعيا ظروف المتلقي وثقافته وأشياء أخرى كثيرة تحيط بالنص [32].

وبما أن الجمل هي المكونات الأساسية للنص ،فهي تنمو وتتزايد حتى تشكل نصا،فحين تحليل النصوص لا يمكن إهمال السياق الذي أنتج فيه النص، ومختلف الظروف المحيطة به، كذلك تلك الدلالات والمعاني الاحالية التي تحيلها الجمل بعضها عن بعض، فكل متلق يتناول النص بنظرته الخاصة، فنجد ثقافته ومحيطه و مختلف الظروف الخاصة به تلعب دورا في كيفية قراءته للنص وتحليله على طريقته، فيصبح مالكا للنص ومشاركا في إنتاجه وصانعا له.

من هنا فان"نحو النص" يهتم في تحليلاته بضم عناصر جديدة لم تكن موجودة في نحو الجملة. انه يذهب في تحليله إلى قواعد جديدة منطقية ودلالية وتركيبية ليقدم شكلا

29- نحو النص،اتجاه جديد في الدرس النحوي،أحمد عفيفي،ص10.

30- علم اللغة والدراسات الأدبية ،برند شبلنر، تر :محمود جاد الرب ،الدار الفنية ، القاهرة ،1987،ص 183.

31- علم النص ،مدخل الى مشكلات بناء النص ،زتسيسلاف واورزنياك،تر :سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة ،ط1،2003،ص60.

32- دينامية النص (تنظير وانجاز)،محمد مفتاح ،المركز الثقافي العربي، ط2، 1990، ص30.

جديدا من أشكال التحليل لبنية النص وتصور معايير التماسك والترابط والانسجام ولهذا تضافرت تقديرات اللسانين من أمثال بايك وهارتمان وجليسون وساندرز ولونجاكر وفان دايك وغيرهم على أن نحو النص بالنسبة لأي لغة بعينها هو أكثر شمولا وتماسكا واقتصادا من النحو المصور في حدود الجملة [33].

إن نحو النص يتجاوز مستوى الجملة إلى مستوى النص، فنجد نحو الجملة يهتم بالجملة باعتبارها الوحدة الأساسية،إلا ّأن لسانيات النص لا تهمل ذلك بل تحاول ضم قواعد جديدة أكثر اتساعا وشمولا وهذا لتقدم شكلا جديدا للتحليل وتطوير مستويات التحليل وتحقيق الفهم للنصوص .

فالترابط والتماسك النصيين يظهران من خلال النص فهو الوحدة الأساسية للتحليل، ويتبين ذلك بوجود روابط لغوية مثل حروف الجر والعطف أو روابط دلالية معنوية، فكل جملة ترتبط ارتباطا وثيقا بما يسبقها أو يليها من الجمل ،فالمنتج للنص يبدع في كتابته ،فهو لا يكتب مجموعة من الجمل فقط. بل يراعي كيفية تسلسلها وتواليها وارتباطها ببعضها البعض، ويعتمد في ذلك على مجموعة من القواعد والمعايير،وهو يقصد ويهدف من وراءه إلى غاية يحاول تحقيقها ،كما أنه يوجّه نصه إلى مجموعة من القرّاء والمتلقين،وبمجرد إنهائه لكتابة النص يصبح النص ليس ملكا له، وكأنه متلق لا مرسل له.

فنحو النص إنما هو نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة،تمتد قدرتها الشخصية إلى مستوى ما وراء الجملة بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة،وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدريجي ،يبدأ من علاقات ما بين الجمل ،ثم الفقرة، ثم النص أو الخطاب بتمامه[34].

فالنص يشكل نسيجا متناميا ومتشابكا من الجمل ،ونحو النص يبحث في تحديد تلك العلاقات التي تربط أجزاء النص سوا على مستوى الفقرات أو الجمل، وينشأ التفاعل بين المتلقي والنص، كما أن الفاعل أو المنتج يبني عالمه من خلال النص الذي ألفه،ويكون منتجا للخطاب وناتجا في الآن ذاته.

---

[33]- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي،أحمد عفيفي،ص39.

[34]- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي،أحمد عفيفي،ص56

ومهمة نحو النص بناء على ذلك تحليل النص داخل هذا التفاعل الاجتماعي مراعيا ظروف الكاتب والمتلقي معا[35].

فالكاتب هو المنتج الأول للنص، يأتي بعده المتلقي يشاركه في إنتاج النص من خلال محاولته التفسير والتأويل والتحليل لهذا النص،واهتمامه بالشكل والجوهر أو المادة اللغوية، وكيفية الربط بين مستويات اللغة المختلفة من صوتية وحرفية ونحوية ودلالية، إضافة إلى ذلك نجد المستوى التداولي، فينتقل المحلل والمتلقي من المضامين الظاهرة التي تنبئ أشكال الدلالة عنها إلي المضامين الخلفية التي تكمن في المغزى.

فنحو النص إذن يدرس النص من حيث هو بنية مجرّدة تتولد بها جميع ما نسمعه ونطلق عليه لفظ(نص)ويكون ذلك "برصد العناصر القارة في جميع النصوص المنجزة مهما كانت مقاماتها وتواريخها ومضامينها ،وهي في هذا تتقاطع في موضوعاتها مع جميع العلوم المتعلقة بدراسة النص وتجمعها، فتتجاوزها[36].

فتحليل النصوص تتطلب من القارئ أن يكون ذا كفاءة على تحديد وتصنيف النص (سردي، وصفي، حجاجي،حواري...) وأن يتسلح بمختلف وسائل المعرفة كإدراك التقطيع الداخلي للبنيات النصية والقدرة على التمييز بين النصوص المتشابهة والمختلفة، كذلك إدراك العلاقات بين المستويات الدلالية للغة، فالقراء تتباين قدرتهم ممّا يؤدي إلى تباين في نتائجهم ،كما أن العلوم التي تدرس النصوص تتقاطع فيما بينها وتتداخل،فهي تستفيد من بعضها البعض، وهذا ما يجعل القارئ حرا في أن يدخل إلى النص من أي جانب فيه، إذ ليس هناك واحدا يعد أسلم السبل المؤدية إليه ،فنجد أحيانا القارئ في تحليله للنصوص يهمل قصد المؤلف، وعندئذ تعد المتعة الحاصلة من النص أهم كثيرا من مجرد الوصول إلى المعنى الذي يمكن أن يستشف منه.

فنستطيع من خلال نحو النصوص أن نعيد النظر في بعض المفاهيم اللغوية التقليدية السائدة، وذلك إما لتعميقها أو لتعديلها[37].

لذلك كله أصبح نحو النص عند كثير من اللسانين المعاصرين ضرورة لا اختيار[38]. لأنه يهتم كثيرا بالنصوص ويحاول الإحاطة بها من جميع النواحي، واعتباره

35- نفسه، ص51.

36- نسيج النص(بحث فيما يكون به الملفوظ نصا) الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت،1993، ص20.

37- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي،أحمد عفيفي،ص41.

النصوص المادة الأساسية للدراسة وتجاوزه مختلف الدراسات التقليدية التي تنطلق من الجملة، فهو يصب كل اهتمامه على محاولة جعل قواعد متطورة للتحليل النصي.

ومازال "نحو النص" مفتقر إلى إثبات هويته بشكل نهائي وتحديد ملامح صورته إذا قيس بالعلوم الأخرى،أو قيس ببقية فروع علم اللغة ذات التاريخ الطويل، لان نحو النص يتطور بشكل سريع ،ولم يستقر بعد على شكل نهائي ،ولهذا فإن حصر موضوعاته بشكل نهائي جامع مائع فوق إمكان الباحث نظرا لهذا التطور الريع المتلاحق،علاوة على اختلاف المناهج والمدارس اللغوية التي تشكل عدم استقرار لموضوعاته بشكل نهائي كذلك فإن كثير من نظريات هذا الاتجاه وتحليلاته لم تستقر بعد[39].

إذن فنحو النص حديث النشأة لذلك هو في تطور وتغير مستمر وبما أنه يهتم بتحليل النصوص وتفسيرها، فالدلالات تتغير من قارئ إلي آخر فهي متحركة متغيرة.إلاّ أن هذا العلم يبقى قائما بذاته يعمل على البحث في اللغة وتطوير عملية التواصل.

وهو- باختصار شديد – "يتناول كل أشكال الأبنية وأنواع السياقات ومستويات اللغة، ودرجات الربط النحوي، والتماسك الدلالي والنماذج الهيكلية المتنوعة،النظرية والتطبيقية." [40].

إذن فهو يهتم بالنص ودراسته من جوانب عدّة، وكذا مختلف العلاقات القائمة بين عناصره.

فهـــــم النص:

إن فهم النص هو في الحقيقة مفهوم علوي يتضمن مكونات خاصة ببراغماتية النص وكذلك عوامل غير لغوية كثيرة [41].

ويرجع ذلك إلى إمكان أن يظهر النص الخاص قواعد تخرج عن نمطية قواعد اللغة المعينة وإمكان أن تكون الانحرافات ناتجة عن الحفز ،الذي نجده في النص ،أو أن الذي دفع بها هو تشكيل النص ذاته فللنصوص أعراف خاصة بها .وهي مستقلة عن لغة معينة على أية حال، ليست هذه النظريات بمعزل عن عناصر شاركت إسهامات مختلفة

38- من نحو الجملة إلى نحو النص،سعد مصلوح،الكويت،1990،ص416.

39-علم لغة النص،المفاهيم والاتجاهات،سعيد حسن بحيري، ص161.

40- السابق ،ص143.

41- علم النص ،مدخل إلى مشكلات بناء النص ،زتسيسلاف واورزنياك، تر :سعيد حسن بحيري،ص74.

41- علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيـــــد حسن بحيري،ص33-34.

في وضعها ،وحرصت على إيجاد صيغة دمج مناسبة بينها لإزالة شكل من أشكال التنافر. ولا يمكن أن ننكر جهود الباحثين للوصول إلى معايير موضوعية في التعامل مع النص ومع ذلك تظل هذه الموضوعية نسبية ،إذ إن من يعالجها هو ذات في المقام الأول، ومهما حاولت هذه الذات أن تتجرد وتنأى بنفسها عند التحليل ، فإنها لا يمكن أن تصنع ذلك في العملية الأولى حين تقع على النص ،ويبدأ من خلال عمليات القراءة صراع شديد في محاولة منها للتغلب على لغته والدخول إلى عوالمه وكشف أبنيته واستنطاق مكوناته وسبر أغواره[42].

فحين تحليل النص لابد من تجاوز الفهم السطحي لمفردات وألفاظ النص محاولة القارئ للوصول إلى المعنى الخفي وما وراء المعنى ، وذلك باستنطاق مكوناته،والتفسير والتأويل لدلالات الألفاظ وتحديد مختلف الروابط والعلاقات بين مكونات النص ، وكذلك فهم الانحرافات عن قواعد اللغة وظهور الانزياح في مختلف النصوص. إذن لا يمكن "أن يفهم علم اللغة النصي على أنه علم شامل ، ولا على أنه أيضا علم النص بمفهوم "فان دايك" ،بل يجب على علم اللغة النصي أن يبقى بحثه في أبنية النصوص وصياغتها ، مع إحاطته بالعلاقات الاتصالية والاجتماعية والنفسية العامة".

وهو يهتم بالشكل دون إهماله، غير أنه ينطلق أساسا من مضمون النص ككل بوصفة وحدة كبرى متماسكة الأجزاء ويتجاوز إطار القواعد الخاصة التي تنطبق على أبنية متفردة دون إهمالها، ويركز على الوصول إلى القواعد العامة التي تصلح كأسس مشتركة ليس في لغة بعينها بل في لغات عدة.[43]

وهذا يعني أن التحليل النصي حقيقة لا يهمل تلك الظروف المحيطة بالكاتب أو المبدع وثقافته الخاصة وكذا الموقف الذي أنتج فيه النص فهو يحاول من خلاله الوصول إلى قوانين عامة تستخدم كأسس يعتمد عليها في التحليل[44].

ومن هنا تغيرت الأهداف وتحددت أهداف كبرى جديدة نصية حيث عني علم اللغة النصي في دراسته لنحو النص بظواهر تركيبية نصية مختلفة، كما يقول سوينسكي SOWINSKI "علاقات التماسك النحوي النصي وأبنية التطابق والتقابل والتراكيب

---

[43]-علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات سعيد حسن بحيري، ص71،70.
[44]-نفسه، ص143.

المحورية والتراكيب المجتزأة وحالات الحذف، والجمل المفسرة والتحويل إلى الضمير والتنويعات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية، وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملا دقيقا إلا من خلال وحدة النص الكلية" (45).

[45]-نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص40.

الهدف من تحليل النص:

فتحقيق الهدف الأسمى لتحليل النص يتجلى في تبيان تلك الروابط بتجديد الجملة المحور المكررة والتي يدور حولها موضوع النص، واستخراج تطابق الألفاظ وما يحتويه النص من محسنات بديعية وصور بيانية كالمقابلة، ومدى استعمال المنتج للضمائر ودلالتها في النص، والإحالة النصية والسياقية وما تحمله من دلالات ومعان تخدمه، وكل هذا يكون مرتبطا بعضه ببعض ومتصلا اتصالا شديدا، فلا يمكن تحقيق المعاني من خلال الجمل كل واحد منها على حدا، بل يظهر ذلك كله من خلال النص باعتباره وحدة كلية موحدة، وهذا ما يختص به علم اللغة النصي ويسعى إلى تحقيقه على كل النصوص باختلاف أنماطها وتنوع مواضيعها. ولذلك تعد دراسة النصوص هي دراسة للمادة الطبيعية التي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة، "لأن الناس لا تنطق حين تنطق ولا تكتب حين تكتب جملا أو تتابعا من الجمل، ولكنها تعبر عن الموقف اللغوي الحي من خلال حوار معقد متعدد الأطراف مع الآخرين".(46)

وهذا يعني أن التحليل يكون على مستوى النص كله بتحديد العلاقات والروابط القائمة بين جملة مكوناته اللغوية، فيصبح القارئ وفي حوار متبادل مع النص، وهذا القارئ يصبح منتجا ثانيا للنص بعد دراسته وتحليله وسبر أغواره، ولغة النص هي وسيلة اتصال بينه وبين القراء، وكل قارئ يقرأ النص بطريقته الخاصة، ويفهمه ويصل إلى معنى معين من زاويته الخاصة أيضا، وكل يتناول النص بنظرته المميزة، لذلك تتعدد القراءات وتختلف من قارئ إلى آخر، وهذا ما يؤدي إلى تنوع المناهج المتبعة في تحليل النصوص ودراستها.

وقد ظهرت اتجاهات عديدة في تحليل النصوص منها: منهج التجزئة النحوية للنصوص عند فاينريش وهو يعالج النصوص من حيث ترابط أجزائها وهذا الترابط لا يكون إلا على مستوى الجملة أولا ثم ينتقل بعد ذلك على مستوى النص، وكلما كانت الجمل متماسكة كلما كان النص متماسكا أيضا، وبذلك يتحقق التواصل ويتحقق هدف النص الذي أنتج من أجله.

---

[46]-علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، ص36.

وهناك اتجاه آخر هو نحوية النص "أجرومية النص" لصاحبه فندايك وهذا الاتجاه يتجاوز مستوى الجملة، فالنص ليس متوالية من الجمل فقط، بل هناك عناصر لغوية وتداولية تساعد في تحديد المعاني، فالقارئ يحاول فهم النص وتفسيره والمعاني التي يتوصل إليها غير ثابتة بل متحركة، فالسياق الذي وضعت فيه دوال النص له دور في إعطاء المعنى، وهو يعتمد في تحليله على أغلب قواعد النحو التحويلي التوليدي.

كما ظهر اتجاه آخر عرف بالتحليل التوليدي للنص أو التحليل الدلالي للنص وهذا عند بيتوفي Pitovi وهذا الاتجاه يهتم بالمتلقي وكيف يتلقى النص وعملية التواصل، كما أعطى أهمية للمعاني الخارجية للنص كالإحالية والاشارية والتداولية وفي تصوره هذا يشبه أصحاب نظريات الدلالة التوليدية.

إذن فلسانيات النص تهتم بتحليل النصوص وتفسيرها وتأويلها وفهم مقاصدها وغاياتها.

مقدمة:

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شاء من ذلك بعد، والصلاة والسلام على رسوله الأمين (صلى الله عليه وسلم)، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

إن الحديث عن النص، وآليات التحكم فيه يعد أمرا تكتنفه الصعوبة، فالمناهج التي يستعان بها في تحليل النصوص متعددة ومتنوعة، فهي في تزايد مستمر، إذ تحاول إزالة غموضها، وسبر أغوارها، وكشف الحجب عنها.

فقد كان النص موضوع الدراسات اللسانية الحديثة، إذ تدرس النصوص وتقوم بتحليلها، وفق قواعد المناهج اللغوية المعروفة، كما يقوم القارئ باستنطاق مكامنها، وقد وقع اختلاف في كيفية تناول النصوص إذ ذهب فريق إلى أن النص يدرس لذاته وفي حد ذاته، بتجريده عن صاحبه وما يحيط به من ظروف مختلفة (اجتماعية، ثقافية، سياسية...)، وفي المقابل نجد فريقا آخر يذهب إلى أن النصوص تحلل بالإستعانة بكل الظروف المحيطة به، ويبقى تحليل النص يستقصي معرفة الحقيقة وتبيان مقاصد المنتج، والمغزى الذي يهدف إليه.

وبظهور النص ظهرت مصطلحات مرافقة له، تسهم في كيفية تحليله، ومن بينها نجد مصطلح "الانسجام" الذي يعد آلية من آليات التحليل، ذلك أن القارئ –في تحليله للنص– يحاول اكتشاف مدى انسجامه، وقدرته على التبليغ والتأثير في المتلقي.

فتحليل النص يقتضي دراسته من خلال التركيب والدلالة، أي الشكل والمضمون، مع مراعاة مقاصد وغايات المنتج، إذ أن المحلل يقوم بدراسة الأدوات اللغوية والدلالية لتماسك النص وانسجامه، وهذا بتوفر السياق الذي ورد فيه.

وفي نفس الاتجاه كان هذا البحث معنونا بـــ: "الانسجام النصي في الرسالة الهزلية لابن زيدون". إذ باعتبار علم لسانيات النص علما حديث النشأة، فقد أدى ذلك إلى قلة الأعمال اللغوية النصية، فذلك يتطلب التعريف بكيفية تحليل النصوص، وتحديد انسجامها، وأيضا إمكانية تطبيق الأدوات عليها.

وقد يتساءل أحدهم لماذا الرسالة الهزلية وليس غيرها؟ وما النتائج التي يأمل القارئ التوصل إليها؟.

فيعود سبب اختياري للرسالة الهزلية، وميولي إليها كونها تعد ثروة أدبية، رغم مجيئها في قالب هزلي إلا أنها تحمل في طياتها ما يزيد الباحث بلاغة، وقدرة على التعبير، فقد أثارت فيّ الإعجاب لدراستها، وإخضاعها للنظرة الموضوعية باستخدام أدوات الانسجام.

والإشكال الذي يحاول البحث معالجته هو: تحديد مفهوم الانسجام، وكذا تبيان آلياته التي تجسده، ثم محاولة تطبيقها على الرسالة.

وبذلك، فإن في هذه الرسالة محاولة لفك شفرة نص الرسالة، عبر تحليلها والحكم على مدى انسجامها، بالاعتماد على الدراسات العربية والغربية.

فالقارئ لهذه الرسالة يقوم بتحليلها وسبر أغوارها، وجعل رموزها واضحة الدلالة.

هذا وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

فالتمهيد كان بمثابة المهاد الموضح لهذا البحث، فقد تم فيه إجلاء بعض القضايا العالقة والمتعلقة بالشاعر، وهذا بتقديم تعريف له، والتعرض لذكر مولده، وسجنه وفراره منه، وعلاقته بولادة، ثم ذكر آثاره ورسائله، إذ نجد في المقابل هناك رسالة جدية

للشاعر، وبعدها جاء تعريف لهذه الرسالة الهزلية وما يتعلق بها، ثم مفهوم لسانيات النص باعتباره علما حديث النشأة، فهو يعنى بدراسة النصوص وتحليلها.

وقد تلا التمهيد الفصل الأول المعنون بـــ: "النص، الخطاب، الانسجام (المصطلح والمفهوم)"، فهو يختص بتحديد مفاهيم كل من النص، الخطاب، الانسجام، الاتساق والتوازي باعتبارها مصطلحات مترابطة لا يمكن الفصل بينها، وهذا من منظور لغوي ثم من منظور نقدي.

أما الفصل الثاني المعنون بـــ: "الانسجام النصي: أهميته وآلياته"، فقد تم فيه تحديد أهمية الانسجام، ودوره الفعال في تحقيق نصية النص، وإعانة القارئ على الفهم. ثم ذكرت آلياته وأدواته، وذلك بالتطرق إلى الجوانب الثلاثة. فأولا كان الجانب البلاغي وتم الحديث فيه عن "الفصل والوصل" وما يحققه من تماسك نصي وثانيا كان الجانب البنيوي، وتعرضت فيه إلى الإحالة وكيف أنها تربط عناصر النص، السابق منها مع اللاحق والعكس، وأيضا الاستبدال والحذف، والاتساق المعجمي، فهي عناصر تسهم في بناء النص وإعطائه شكلا متسقا منسجما، أما الجانب الثالث فهو الجانب التداولي، فتناولت فيه السياق ودوره الكبير في تحديد المعنى، وأيضا عنصر التأويل الذي هو من صنع المتلقي، كذا القياس والحالة العادية المفترضة للعوالم، وأخيرا عنصر التغريض، وهذا لما تلعبه هذه العناصر من دور مهم في انسجام الرسالة.

وأما الفصل الثالث الذي عنون بـــ: "الانسجام/ الجانب الاجرائي التطبيقي"، فقد كان ميدانا للتطبيق وقد اخترت الرسالة الهزلية لابن زيدون كنص لتطبيق المفاهيم والأدوات السابقة.

وأما الخاتمة فتضمنت أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة البسيطة، والذي كان هدفها الوصول إلى أعماق النص، ومعرفة مغزى الشاعر من إنشاء هذه الرسالة.

وفيما يخص المنهج المعتمد في هذا البحث، فقد فرضت طبيعة خطته وغايته الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وهذا في مختلف مراحل البحث، فقد سمح بتتبع عناصره الواحد تلو الآخر،عن طريق تعقب ما فيه من مفاهيم مختلفة لضبطها ثم عرضها على محك التجربة، فالتحليل كان بالنظر في العلاقات المتواجدة بين الكلمات وبين الجمل

وبين فقرات النص، ضمن سياق معين، ويقوم القارئ بتأويله وجعله معبرا عن قصد الشاعر وغايته.

فقد جمعت بعض ما قيل حول موضوع البحث من مادة علمية، تتمثل في مجموعة من المراجع، فمن أهمها: "لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب- محمد خطابي"، "بلاغة الخطاب وعلم النص لـــ: صلاح فضل"، "نسيج النص- بحث في ما يكون به الملفوظ نصا- للأزهر الزناد"، "علم اللغة النصي- المفاهيم والاتجاهات- لسعيد حسن بحيري"، "علم اللغة النصي- بين النظرية والتطبيق- لصبحي إبراهيم الفقي" وغيرها.

وإن كان لا يخلو بحث من عوائق تعترضه وصعوبات تقف في طريقه، فأثناء انجاز هذا البحث، واجهتني مشاكل وصعوبات شتى، كقلة المراجع والمادة العلمية في المكتبة الجامعية، مما جعلني أكثر سعيا للبحث عن المادة، خاصة وأن المدونة تتطلب التسلح بمادة علمية متنوعة، لفهم معانيها ودلالات ألفاظها وعباراتها، والإحاطة بشتى العلوم، والإلمام بمختلف المعارف، فالقارئ لا بد وأن يكون ذا كفاءة لغوية أدبية، للتقرب من المعنى الصحيح، وتجاوز كل العراقيل.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات إلا أنها جعلتني أكثر قوة وسعيا واجتهادا بغية تحقيق الهدف الأسمى وإنجاز هذا البحث، راجية من الله تعالى التوفيق والسداد، فما التوفيق إلا من الله.

وبعد كل عناء وجهد مضن، راحة ومتعة، إذ تم إخراج هذا البحث البسيط في هذه الصورة التي يظهر فيها.

وقد تم هذا بفضل الله تعالى، ثم فضل الأستاذ الدكتور المشرف: محمد بوعمامة، وهذا بما لاقاني به من رحابة صدر وصدق نصيحة، وسداد رأي، وحسن توجيه، إذ رعى البحث وصاحبته طوال مدة الإنجاز، فكان نعم الأستاذ المشرف الموجه، فله مني خالص الشكر، وفائق الاحترام والتقدير، وتبقى هذه العبارات لا تفيه حقه، فجزاه الله عني خير جزاء.

كما أشكر الأستاذ منصور خلخال، على ما قدمه لي من مساعدة، دون أن أنسى فضل بعض الزميلات والزملاء من إفادتي بعدد من المراجع.

وأخيرا أرجو من الله عز وجل أن يوفقني لما فيه خير وصلاح لخدمة اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم.

فإن أصبت فهذا ما أرجو، وإلا فحسبي أنني حاولت والله ولي التوفيق

الفصل الأول

النص, الخطاب, الإنسجام (المصطلح و المفهوم)

النص/الخطاب/المعنى اللغوي.

- النص/الخطاب/المنظور النقدي.
- الإنسجام/التوازي/المعنى اللغوي و الاصطلاحي.
- الإنسجام/التوازي/المنظور النقدي.

إن الحديث عن الانسجام و الاتساق و التوازي لا يستقيم دون الإشارة إلى أن كل ذلك يكون في إطار عمل أدبي. نسميه مرة نصا،و مرة خطابا.وهذا ما يستدعي الوقوف عند المصطلحين لتحديد مفهومها،وكذا محاولة التفريق بينهما,ثم بعد ذلك ننتقل إلى تحديد مفهوم الانسجام و الاتساق و التوازي، و ذلك من منظور لغوي و منظور نقدي.

1-النص/الخطاب:من المنظور اللغوي:

جاء في لسان العرب تحت مادة "ن،ص،ص" ما يلي:

"نصص:النص:رفعك الشيءُ، نص الحديث ينصه نصا:رفعه، و كل ما اظهر فقد نص,و من ذلك :المنصة, و قال عمرو بن دينار:ما رأيت رجلا أنص الحديث من الزهري، أي أرفع له و أسند .يقال:نص الحديث إلى فلان أي رفعه،و كذلك نصصه إليه,ونصت الضبية جيدها:رفعته....و نص الرجل نصا إذا سأله عن شيُ حتى يستقصي ما عنده، و نص كل شيُ منتهاه"[47]

فمن هذا المعنى اللغوي يظهر جليا أن النص يعني الظهور و الاستقصاء فإذا حاولنا الربط بينه و بين المعنى الاصطلاحي لوجدنا أن النص غايته إظهار ما في نفس قائله و توضيحه للمتلقي فالمبدع أو المنتج للنص حين كتابته يحاول إستقصاء كل ما في دخيلته للإبانة عنه و كشف الغموض وإظهار الحقيقية للآخرين وبذلك يمكنه التواصل معهم وإبلاغ مقاصده إياهم.

وأصل النص أقصى الشيء وغايته، ثم سمي به ضرب من السير السريع قال ابن الأعرابي: النص الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنص التعيين مع شيء ما، ونص كل شيء منتهاه، وفي الحديث عن علي رضي الله عنه قال: إذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة أولى، يريد بذلك الإدراك والغاية وقال الأزهري: النص أصله منتهي الأشياء ومبلغ أقصاه ونصص الرجل غريمه إذا استقصى عليه، ومنه قول الفقهاء نص القرآن ونص السنة أي

47-لسان العرب لابن منظور، اعداد وتصنيف يوسف خياط،دار لسان العرب، البيروت (د.ط) مادة "نصص" ص648.

ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام ونص الشيء حركه، ونصنص لسانه إذا حركه، والنصنصة تحرك البعير إذا نهض من الأرض. [48]

فمادة "نص" تأخذ معاني متعددة في اللغة وهذا حسب الاستعمال والتوظيف في الجمل. ونجد لفظ "نص" كثير الاستخدام في كتابات السلف الأصولية والفقهية، فكثيرا ما يتداول لدينا نص الحديث نص القرآن الكريم.

وعلى الرغم من كثرة استخدام كلمة "نص" في كتابات السلف الأصولية والفقهية، إلا أننا لا نعثر على تعريف لهذا المصطلح[49]

فهذا المصطلح من الصعب ضبطه في تعريف شامل قار وثابت، فهو متنوع المفهوم ومتعدد الدلالة.

أما بالنسبة للخطاب فقد ورد في "لسان" لا بن منظور في مادة (خ،ط،ب) أن:

48-انظر: لسان العرب لابن منظور، يوسف خياط، ص648.

49-انظر: النص، ممارساته وتجلياته، منذر عياشي، ص55.

"الخطاب والمخاطبة: مراجعه الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن التهذيب: قال بعض المفسرين في قوله تعالى: وفصل الخطاب، قال: هو أن يحكم بالبينة أو اليمين، وقيل معناه أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده، وقيل فصل الخطاب الفقه في القضاء. (50)

إذن فالخطاب هنا يعني الكلام، وخاطبه بالكلام يعني الخطاب الشفاهي ونقصد به توجيه الكلام من المرسل إلى المرسل إليه، أو من المتكلم إلى السامع والمخاطبة فيها مشاركة طرفي الخطاب في إنتاجه وتكوينه، أما فصل الخطاب يمكن أن نقول القدرة على التميز وهي حكمة ربانية لكن في سياقات أخرى نجده يتعلق بالجانب الرسمي أي الكتابي ومن ثم يتميز نصا فالخطاب له دور كبير في تبليغ المقاصد والتواصل مع الآخرين.

فقد عدّ الرازي صفة فصل الخطاب، من الصفات التي أعطاها الله تعالى لداود، معتبرا إياها من علاقات حصول قدرة الإدراك والشعور، والتي يمتاز بها الإنسان على أجسام العالم الأخرى من الجمادات والنباتات وجملة الحيوانات(51)، ففصل الخطاب من الأمور التي خص بها الله نبيه داوود عليه السلام على سائر البشرفمنحه القدرة على التمييز بين الحق والباطل وبين الخطأ والصواب وكذا الفصل بين ما هو سوي عما هو غير سوي.

كما ترددت مادة "خ،ط،ب" في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، موزعة على اثنتي عشرة سورة، ويصعب إحصاء مدى تواتر هذا المصطلح في كتب الحديث والسيرة(52).

فهذه المادة "خطب" وردت في القرآن الكريم بصيغ مختلفة ومتنوعة، وكل صيغة تحمل دلالة معينة حسب الآية التي وردت فيها، إلا أنها تبتغي لها علاقة ورابطة دلالية في المعنى العام مع الجذر أو الأصل "خ، ط،ب" الذي تفرعت وتولدت منه نذكر من بين هذه الصيغ في قوله تعالى: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) سورة الفرقان، الآية: 63) ففي هذه الآية جاءت على صيغة الفعل، وفي قوله تعالى أيضا: (رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا) سورة النبأ، الآية 37.) وهنا على

50-لسان العرب لا بن منظور يوسف خياط، ج2، ص856.

51- انظر استراتيجيات الخطاب، مقاربة لقوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص35.

52-أنظر تحليل الخطاب بالأدبي وقضايا النص، عبد القادر شرشار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006 ص9.

صيغة "خطاب" وهو مصدر وكذلك قوله تعالى عن داود عليه السلام: (وشددنا ملكه وءاتينه الحكمة وفصل الخطاب) ، وفي "فصل الخطاب" تعددت الآراء وتنوعت التفاسير أما الحديث النبوي الشريف فمن الصعب إحصاء تكرار مصطلح "خطب" وصيغة المختلفة وهذا الكثرة وروده، فمصطلح "خطاب" ذكر في عدة مواضع من الثقافة العربية فالألفاظ المشتقة من مادة "خطب" كثيرة، ونجد العرب استعملوها بصيغ متنوعة و أبرز ما أورد في ذلك، قول أبي اسحاق: "الخطبة عند العرب الكلام المنشور المسجع ونحوه"[53] .

فالخطبة هي الكلام الذي يوجهه منتج ما إلى مجموعة في المتلقين، وهذا ما يوحي بأن الخطاب مرتبط به، فهو يعني الكلام الذي يحمل موضوعا معينا وهو موجه إلى القراء والسامعين بغية التأثير فيهم وتبليغهم قصدا معينا متخذا بذلك عدة وسائل مختلفة

كما أورد قولا آخر قريبا من هذا المعنى هو: "والمخاطبة مفاعلة: من الخطاب والمشاورة" [54]. ففيه يحدث تفاعل بين المبدع والمتلقي، وهذا الأخير يصبح بدوره منتجا ثانيا للخطاب وصانعا له. بحيث يتواصل الطرفان (المبدع، المتلقي)، وهذا بتوفر ظروف معينة وسياق ما ومن ناحية صيغة اللفظ، فهو أحد مصدري فعل خاطب يخاطب خطابا ومخاطبة وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم

فالفعل "خاطب" يتعلق بزمن ماض، أما الخطاب فهو اسم يدل على الكلام الذي يرسله شخص ما إلى المتلقي وهذا يعني استخدام اللغة شفاهيا، فالخطاب هنا يشمل المنطوق. ومن جانب آخر لا تعدو الحقيقة، إذا قلنا إن لفظ الخطاب قد ورد أكثر ما ورد، عند الأصوليين، انطلاقا من أن الخطاب هو الأرضية التي استقامت أعمالهم عليها، بل كان هو محور بحثهم، فقد تردد كثير من اشتقاقات مادة (خطب) في مواضع متعددة عندهم، ومن أبين الأدلة على ذلك ايرادهم لاسم الفاعل (مخاطب) ولاسم (مخاطب) بوصفهما طرفي الخطاب[55] فهذا اللفظ استخدم كثيرا مثله مثل مصطلح "النص" كما إنه أكثر ورودا في كتب الفقه والأصول، وكثيرا ما عد موضوع بحوث متنوعة، ونجده يتوفر على الطرفين (المخاطب، المتلقي) وبهما يتم التواصل وتبليغ مقاصدهما ولكل طرف أسلوب خاص ومميز توصيل رسالته ومحاولته إقناع الآخر بكلامه .

---

[53]-لسان العرب لابن منظور، يوسف خياط، ص855.
[54]-نفسه، ص856.
[55]-انظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص36.

وبهذا يمكن القول بأن كلا المصطلحين "النص" الخطاب قد حظيا بشيء من الدراسة والأهمية، واعتبارهما المادة الأساسية للدراسات النقدية القديمة منها والحديثة كما اعتبرا النواة المركزية في الدراسات اللغوية.

2- النص/الخطاب: من المنظور النقدي:

قبل التعرض إلى تحديد مفهوم "النص" تجد الإشارة إلى أن هناك مصطلح آخر يتضافر معه في الاستعمال وهو مصطلح الخطاب وقد تشعبت تعاريف كل منهما

فالتمييز بين النص والخطاب في ضوء المناهج النقدية الحديثة يطرح إشكالا كبيرا، نظرا لتعدد الآراء، واختلافها، وكثرة التصورات وتضاربها، مما يجعل البحث أمام صعوبة تأطيرها وفرزها، وبالتالي تحليلها ومناقشتها[56] .

إذ نجد بعض النقاد يحددون معنى خاصا للنص ومعنى خاصا للخطاب المقابل وفي نجد البعض الآخر يجعل كلا المصطلحين بمعنى واحد ويطابق بينهما وذلك باتخاذهما لفظين لمعنى واحد.

وفي هذه الدراسة سيتـــم الحديث أولا عن النص، ثم يأتي بعد ذلك الخطـــاب:

إنّ البحث عن تعريف لمفهـــوم النص وقضايـــاه في الدراسات النقدية الحديثة أمـــر صعب نظرا لتعـــدد معاييـــر هذا التعريـــف، ومضامينــــه، وخلفياتـــه المعرفية في علم اللسانيات والأسلوبية، وتعدد الأشكال والمواقع والغايات التي اشترطها المنظرون، في ما نطلق عليه مصطلحيا "النص"[57] .

إذن كنا قد تعرضنا إلى إشكالية الفصل بين مصطلحي "النص" و"الخطاب" فقد ظهرت قضية أخرى وهي صعوبة تحديد مفهوم "النص" في حد ذاته

وقد أشار فو لفغانغ إيزر إلى صعوبة تعريف النص بقوله: "النص الأدبي ليس كينونة قابلة للتعريف، غير أنه إذا كان شيئا فهو حدث دينامي"[58] فهو يعطي صفة الدينامية للنص، وقد يكون ذلك سببا في صعوبة تحديد مفهوم النص وعدم القدرة على الإلمام بجميع جوانبه، فهو في حركية مستمرة ورغم أنه المادة الأساسية للتحليل والدراسة، وهو أكثر موضوع تناولا في الدراسات اللغوية واللسانية الحديثة، إلا أنه ربما لم يحظ لحد الآن

---

[56]-انظر تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص عبد القادر شرشار، ص9.

[57]-نفسه،ص19.

[58]- فعل القراءة، فو لفغانغ ايزر، نظرية جمالية التجارب (في الأدب) تر: حميد لحميداني والجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل 1994، ص11.

بتعريف شامل وتام مطلقا وهذا ما أدى إلى تعدد وتنوع التعاريف، على الرغم من تقاطعها في بعض النقاط الأساسية والمهمة.

ارتبط ظهور مصطلح (نص texte) بظهور عدد من المؤسسات في المجتمع البشري عبر تطورها التاريخي، وكان أولها ظهور الكتابة من حيث وسيلة لتجاوز ضعف الذاكرة، وفعل الزمن، فاتخذ بذلك الملفوظ حيزا في الفضاء واستقل بوجوده، وهو ما هيأ له الإستقرار[59] .

فالنص في البداية كان وسيلة للترسيخ والحفظ تخوفا من النسيان والتغلب على ضعف الذاكرة، فكلما طالت المدة الزمنية كلما تعرض الملفوظ للنسيان، فكانت أفضل وسيلة للتذكر هي الكتابة وتجسيدها على شكل نصوص مدونة وتعتبر هذه الوسيلة من أبلغ الوسائل وأنجحها .

إن النص عند اللسانيين يشمل المنطوق والمكتوب وهو يمثل مجموع الملفوظات اللسانية الخاضعة للتحليل، فهو إذن عينة من السلوك المكتوب والمنطوق[60]. إذن فالنص يشمل المنطوق والمكتوب، وكلاهما خاضع للتحليل، وهو لا يقتصر على الملفوظ أو المكتوب فقط بل يشمل كليهما.

والنصوص هي" منطوقات كتابية وشفهية أيضا يمكن أن تكون ذات أطوال متباينة بدءا من النص المكون من كلمة واحدة حتى النص الكلي لرواية متعددة الأجزاء"[61] والملاحظ هنا إضافة إلى أن النص يشمل المنطوق والمكتوب فإنه لا يتحدد بالطول أو الحجم، فنطلق أحيانا على كلمة نصا وعلى قصة ما نصا، رغم اختلاف طولهما، إلا أن لفظ النص لا يولي الحجم والطول أهمية، فالنص إذن يمكن أن يكون كلمة واحدة ويمكن أن يكون جملة واحدة ويمكن أن يكون امتدادا من جمل كثيرة ونؤكد أنه يجب في النوع الثالث وجود روابط شكلية ودلالية بين هذه التتابعات من الجمل أما بالنسبة للنوعين الأمل والثاني فلا يمكن أن نعد هما نصا إلا إذا توفر السياق الذي يوضح كلا منهما[62]. إذن النص المتكون من عدة جمل يشرط فيه وجود روابط لغوية مثل حروف العطف ....الخ و أيضا روابط دلالية فالجملة الأولى مثلا يحيل معناها على الجملة الثانية، وذلك بوساطة

59- تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، عبد القادر شرشار. ص20.

60 -Dictionnaire de linguistiques et des Sciences du langage : j dubois, imprimerie latipografica s.p.a.Italie depot ligal, 1999,p :482.

61-علم النص، مدخل إلى مشكلات بناء النص، زتسيسلاف واورزنياك، تر: سعيد حسين بحيري ص15.

62-علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية ،صبحي إبراهيم الفقي ص31.

دلالات مختلفة أو ضمائر في جمل النص، فتتماسك الجمل وتأتي متسلسلة ومتوالية فتشكل بترابطها وحدة كاملة هي النص، أما الكلمة المفردة، أو الجملة الواحدة فلا بد من توفر سياق ما لتحقيقهما النصية، فلو عزلنا الكلمة عن سياقها الذي وردت فيه يخرج معناها إلى معنى آخر غير الذي قصده المنتج، فالسياق له دور كبير في تحديد المعنى، وبه تكون الكلمة والجملة نصا. أما حين نعود إلى الأصل اللاتيني لكلمة "نص" في اللغات الأوروبية، فالنا نجد كلمتي: Texte,Text مشتقتين من "Textus" بمعنى النسج "Tissu" المشتقة بدورها من "Texere" بمعنى نسج. [63]

فالنص يشبه في شكله النسيج المتضام، فهذا الأخير تتضام خيوطه بشكل منتظم وتشكل في النهاية نسيجا متناسقا، كذلك بالنسبة للنص بحيث تتضافر أجزاؤه وعناصره المكونة له وفق عمليات تركيبية ودلالية، ويتم بمقتضاها إنشاء وحدة كبرى متكاملة ومتحدة هي النص في النهاية

ويعرف هارفج النص بأنه تتابع مشكل من خلال "تسلسل ضميري متصل، لوحدات لغوية"[64] فتتابع جمل وعبارات النص ضروري وشرط أساسي لنصية النص، وهذا يكون بتوفر ضمائر لغوية تربط بين الجمل فتجعلها متماسكة ومتسقة، فتأتي متتابعة ومتتالية بحيث تحقق المعنى الذي وجدت لأجله فالقارئ للنص يحس بتسلسل العبارات وتوالي الوقائع والأحداث، وبذلك يكون النص تتويجا لمجموعة من العلميات المتعاقبة.

غير أن الدراسات الأسلوبية الحديثة، فتحث أفقا جديدا للتعامل مع النص، تعتمد بشكل أساسي على رؤية أكثر شمولية، حيث تنظر إلى النص الإبداعي على أنه وحدة لغوية متكاملة نفثتها ذات المبدع في فترة آنية ضمن إطار المفهوم الإبداعي للحظة النفث التي تهيمن على المبدع[65] .

فالنص إبداع من المنتج، ذلك أنه قام بتوظيف اللغة وفق قوانين خاصة وإنشاء علاقات متنوعة بين عناصر النص فأنتج وحدة متكاملة في لحظة معينة.

إن النص وحدة دلالية، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص، أضف إلى أن كل نص يتوفر على خاصية كونه نصا، يمكن أن يطلق عليها نصية، وهذا ما يميزه

---

[63]-تحليل الخطاب وقضايا النص، عبد القادر شرشار، ص17.
[64]-علم النص مدخل إلى مشكلات بناء النص، سعيد حسن بحيري، ص55.
[65]-مجلة عالم الفكر، مج 27، ع1 الكويت، 1998، ص63.

عما ليس نصا فلكي تكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة[66].

نفهم من هذا التعريف أن النص نشأ من اتحاد مجموعة من الجمل والعبارات المكونة له فهي مادته الأساسية وبها يحقق نصيته لكن بشرط ارتباطها اللغوي والدلالي، فنصية النص تحقق بمدى ترابط مكوناته وأجزائه وعناصر بنائه، كما أن الجمل هي وحدات صغرى تتّحد فيما بينها وتترابط لتشكل وحدة كبرى متكاملة هي النص، بحيث يكون حاملا للدلالة العامة ويحقق المعنى المقصود.

والنص في رأي هاليدي Hallyday :الكلام الذي يقال أو يكتب من أجل أن يكون كيانا متحدا، ولا عبرة بطوله أو قصره، وهو ترابط مستمر يوافق فيه محور الاستبدال Paradigmatic محور المجاورة، بحيث يتجلى فيه الترابط النحوي على أشده والعناصر التي يتألف منها لا بد أن يتبع بعضها بعضا بطريقة تيسر على القارئ أو المتلقي تسلّم الرسالة التي يبثها المتلكم أو الكاتب فيه، ويستوعب محتواه الكلي، ويقتضي هذا الترابط أن يبني المتأخر منه على المتقدم أو العكس، بحيث يكون المظهر الخارجي له مشاكلا مظهره الداخلي، ممثلا في الموضوع وذلك لا يتحقق إلا بالتماسك أو السبك Cohésion الانسجام أو الاتساق Cohérence[67] .

فالنص في رأي هاليداي يشمل المنطوق والمكتوب وهو غير محدد بحجم معين كما أن عناصره مترابطة لغويا ونحويا، فالجمل ترتبط فيما بينها بوجود أدوات مثل الحروف بحيث تجعل الجمل متماسكة، إضافة إلى ذلك تكون مترابطة دلاليا فمعنى الجملة الأول يوحي إلى معنى الجملة التي تليه (الثانية) أو العكس فيكون شكل النص متسقا متماسكا ومنسجما، فالقارئ أو المتلقي تسهل عليه عملية تسلم الرسالة واستقبالها، فيستطيع فهمها وتحليلها، واستخلاص معناها العميق، وبذلك يتحقق التفاعل بينه وبين النص فيقرأ ثم يجزأ ويحلل ويتعدى بذلك إلى التفسير والتأويل، ويكشف خبايا النص ويحقق المغزى العام.

فالنص إذن تركيب وأداء وتقبل أو هو ملفوظ وتلفظ واستقبال[68]. بمعنى أن المنتج يبني نصه في عالمه وظروفه المحيطة به، ليوجهه الى المتلقي فيستقبله ويساهم في

66-انظر لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1 1991، ص13.
67-علم النص وأسسه المعرفية وتجلياته، حسين جميل، عالم الفكر الكويت، ع2، 2003، ص145.
68-قضية البنوية، دراسة ونماذج عبد السلام المسدي دار الجنوب تونس 1995، ص52.

تفكيكه، ثم يعيد تركيبه وبناءه بطريقته الخاصة، وذلك بغية فهمه فيصبح منتجا له مكونا لعناصره الجديدة ويصبح النص جديد التأليف، وهذا النص الجديد هو نفسه النص الأول فقط أعيدت صياغته في قالب جديد، بعد تحليله وتفسيره وإخضاعه لعملية التأويل، وذلك بإتباع منهج معين من مناهج التحليل اللسانية الحديثة.

كما أشار هاليدي Hallyday ورقية حسن Ruquiya Hassan إلى أن كلمة نص Textتستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة ويذهب برنكر Brinker وايزنبيرج Isenberg وشتايتنز Steinitz وغيرهم إلى أن النص، تتابع مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزءا صغيرا ترمز إلى النص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام، أو علامة تعجب ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنها وحدة مستقلة نسبيا[69] .

فالنص ليس إلا سلسلة من الجمل المتتابعة المتوالية الواحدة تلو الأخرى، وقد يتحدد النص بجملة واحدة، وإذا وضعنا في نهايتها نقطة فإنها تؤدي معنى خاصا كالتقرير مثلا، والسؤال بوضع علامة استفهام فالمرسل يكون جملة ويرسلها إلى المتلقي وبها يتواصل معه، فهي تمثل نصا أما إذا كان النص مشكل في مجموعة جمل فيشترط الترابط والتماسك، والمعنى العام للوحدة المتكاملة الكلية لا يتأتي إلا باتحاد عناصرها وأجزائها المكونة لها.

ويرى "هاليدي ورقية حسن" أن أهم ما يحدد ما إذا كانت مجموعة من الجمل تشكل نصا يعتمد على علاقات الترابط النصي داخل الجمل وفيها بينها مما يخلق بنية النص: "للنص بناء نصي مما يميزه عمالا يمثل نصا... نحصل على هذه الحبكة عن طريق علاقة الترابط"[70] .

فالترابط والتماسك شرط أساسي لتكوين النص، وبه تتحدد نصيه النص.

ويؤكد ديفيد كريستال David Cristal, في تعريفه للنص, على الامتداد, و كونه منطوقا أو مكتوبا, ثم يؤكد الوظيفة الاتصالية Communication function, ثم يذكر نماذج للنص, مثل التقارير الإخبارية و القصائد, و إشارات الطريق و غيرها[71] .

---

[69]-علم اللغة والدراسات الأدبية (دراسة الأسلوب والبلاغة) برند شبانر، تر: محمود جاد الرب،ص188.
[70]-تحليل الخطاب، ج، ب، براون، تر محمد لطفي الزليطي ومنير التركي الرياضي، 1997، ص228.
[71]-علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق, صبحي ابراهيم الفقي,ص32.

هنا نلاحظ ميزة أخرى للنص وهي الاتصال, فهو وسيلة للاتصال, و المتلقي حين يتلقى النص فهو في اتصال مع منتجه, وهو أيضا يتفاعل مع النص و يحاول سبر أغواره, والوصول إلى معاني الألفاظ السطحية منها والعميقة, وما ترمي إليه من أهداف و مقاصد. من مثل ذلك: إشارات الطريق هي نصوص, ولو كانت كلمة واحدة, و هي تهدف إلى معنى معين مثل أن تأمر بالتوقف, ففهم النص يحقق وظيفة التواصل, و بها يحقق النص نصيته.

أما س.ي. شميت فإنه يقدم تعريفا للنص:" النص هو كل جزء لغوي منطوق من فعل التواصل في حدث التواصل, يحدد من جهة الموضوع, و يعني بوظيفة تواصلية يمكن تعرفها, أي يحقق كفاءة انجازية يمكن تعرفها[72]. فالنص عند "شميت" هو استعمال لغوي يتم تحقيق فيه التواصل, و انجاز فعل ما و هذا يتم بين الطرفين (المرسل, الملتقي), فالنص عبارة عن حدث تواصلي.

و النص أيضا لا بد أن يكون مكتملا في دلالته مكتفيا بذاته بالإضافة إلى كونه قولا لغويا مستديرا مكتملا يحقق مقصدية قارئه في عملية التواصل اللغوي[73], فالنص كل متكامل, إذ أنه شكل و مضمون يؤدي وضيفة التواصل بين الطرفين (المرسل و المتلقي).

فالنصوص تتفاضل فيما بينها حسب ما يبدعه المنتج و كيفية اختياره لألفاظ النص و استعماله للغة, و الربط السليم للجمل و العبارات, فقد تكون مجموعة من الجمل سليمة نحويا ولغويا, و اختل فيها عنصر الترابط فهي لا تشكل نصا, فهي ليست بوحدة متكاملة منتظمة داخليا.

أما هارتمان فيحد النص بأنه علامة لغوية أصلية تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي ومن الواضح التأكيد على خاصية الاتصال و العمومية اللغوية و الدلالية, أما فاينريش wenirich فقد يحدد بعضها بعضا. إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم الكل فالربط هو السمة الأساسية في هذا التعريف [74].

72-علم النص, مدخل الى مشكلات بناء النص, سعيد حسن بحيري, ص58
73-مناهج النقد المعاصر, صلاح فضل, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1996, ص115.
74-نحو النص, اتجاه جديد في الدرس اللغوي: أحمد عفيفي, ص37.

يرى " هارتمان و فاينريش" أن النص يبنى من مجموعة الجمل المترابطة, فهي وحدات صغرى تتماسك و تلتحم فيما بينها مشكلة وحدة كبرى تحمل دلالة معينة و تؤدي وظيفة اتصالية.

و على الرغم من أن هناك من يقول بأن علاقات التماسك في النصوص إنما يستغلها الكتاب لتيسير القراءة أو الفهم على المتلقين [75] . إلا أنها تبقى العنصر الأساسي لنصية النص, حقيقة هذه العلاقات تسير على المتلقي فهم حقائقه و تكشف له عن الغموض, كما أنها تعينه على التأويل, و التفسير و التحليل, فالتماسك يكون على المستويات النحوية, الدلالية و التداولية, فالمعاني المعجمية للمفردات لا تبقى نفسها في النصوص, بل كيفية استخدامها في النص و ترابطها هو الذي يضبط المعنى و يمكننا من الفهم.

و من المعروف أن رقية حسن, تسمى كل قطعة من اللغة, مكتوبة كانت أم محكية نصا, بشرط أن يكون لها طول معين, وتؤلف وحدة متكاملة, فثمة بعد شاسع بين النص, وأي مجموعة من الجمل تفتقر إلى الترابط[76] . نفهم هنا أن ليس كل مجموعة من الجمل عبارة عن النص, كما أن غرضه الأساسي هو نقل المفاهيم و إيصال مقاصد معينة إلى الآخرين سواء شفهيا أو كتابيا, كما أنه مجموعة من الرموز اللغوية.

و لا يمكن النظر إلى النص بزعم أنه مجرد صورة مكونة من الوحدات الصرفيةmorphèmes أوالرموز , إنه النص تجل لعمل Action إنساني ينوي به Intendsشخص أن ينتج نصا و يوجه السامعين به إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة, و هكذا يبدو هذا التوجيه مسببا لأعمال إجرائية[77] إذ لا يمكننا اعتباره بأنه يعني فقط تلك العبارات المكونة له و الألفاظ المركبة و وحدات صرفية أو رموز اشارية, بل هو قطعة من الكلام الذي يحمل موضوعا ما, ينشئه المبدع و يرسله إلى المتلقين باختلاف تفكيرهم ليقوموا بتحليله وفق مناهج متعددة, فهو وحدة دلالية, وليس شكلا فقط فالنص يحمل رسالة معينة, و القارئ يحاول فك رموزها و الإحاطة بمعناها ذلك أن:" المعنى هو

---

[75]-تحليل الخطاب, ج, ب, بروان, تر: محمد لطفي الزليطي و منير التريكي, ص 30.
[76]-في اللسانيات و نحو النص, ابراهيم خليل, دار الميسرة للنشر و التوزيع و الطباعة, الأردن, ط1 2007, ص192
[77]-النص و الخطاب و الإجراء, تمام حسان, ص92.

الفكرة التي يريد الأديب أو الشاعر تصويرها و أداءها و الترجمة عنها ليفهمها القارئ و السامع "[78] . فكل نص له دلالة معينة يريد المنتج إبلاغها للمتلقي.

و يرى بارت أن "النص تعددي, فهو يخلق التعددية على مستوى الفكر, النص بهذا التصور يحتوي عودة المعنى كاختلاف و ليس كتطابق, ولا يمكن إخضاعه إلى تفسير أو تأويل, لأنه ينفر من أحادية المعنى و يطالب بتفجير المعاني فيتحول بموجب هذا التفجير إلى مجرة من المدلولات"[79]. فالنص الواحد قد يأخذ تفسيرات متعددة و مختلفة, فكل قراءة تحقق اكتشافا جديدا, وتكشف غموضا ما فالمحللون حين دراستهم له يستخلصون معاني متنوعة و تأويلات متقاربة, فيصبح للنص الواحد عدة دلالات, فهو في تغير و حركية مستمرة, إذا أنه حدث دينامي لا يخضع لقوانين ثابتة مطلقا, و هو مجموعة مركبات نحوية و تصورات كلية متماسكة دلاليا, لذلك تعددت المناهج المستخدمة في تحليل النصوص, فمن الصعب تحليل النص بالاعتماد على نظرية بعينها, كما نجد التفسير يختلف و يتغير عند القارئ الواحد, فهو عند قراءته للنص للمرة الأولى يأخذ دلالة, ثم عند قراءته للمرة الثانية يأخذ دلالة أخرى, و هذا ما يفسر تعدديته.

كما أن النص يتكون من نقول متضمنة و إشارات و أصداء للغات أخرى و ثقافات عديدة, تكتمل فيها خريطة التعدد الدلالي, أن النص مفتوح ينتجه القارئ في مشاركته, لأن ممارسة القراءة إسهام في التأليف[80] .

فما يعكس الثقافات هو النص, لأنه استعمال للغة في سياق تداولي معني بإحاطة ظروف ما, و هو مفتوح لتعدد القراءات و اختلاف الدلالات الموجهة له, و القارئ يشارك في إنتاج النص و تأليفه, بالتحليل و التفسير و محاولته تأويل وقائعه المختلفة, فيصبح بذلك صانعا له مساهما في بنائه من جديد.

و في معرض آخر عرّف(هاليدي ورقية) النص بقولهما:(نحن نستطيع تحديد النص بطريقة مبسطة بالقول إنه اللغة الوظيفية التي تفعل أو تؤدي بعض الوظائف في

78- البلاغة العربية بين التقليد و التجديد, محمد عبد المنعم خفاجي و عبد العزيز شرف, دار الجبل, بيروت, ط1 1992 , ص139

79- محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر, دراسة في الأصول و الملامح و الاشكالات النظرية و التطبيقية بشير تاوريريت دار الفجر للطباعة و النشر ط1 2006, ص127.

80-بلاغة الخطاب و علم النص, صلاح فضل, ص231

السياق)[81]. فالنص سواء المنطوق أو المكتوب يتم تكوينه في سياق معين, بتوفر مجموعة من الظروف المحيطة.

فهو عبارة عن مجموعة من الجمل المرتبطة بقوانين خاصة, نحوية و لغوية, كما تتماسك فيما بينها بروابط دلالية كإحالة الجمل على بعضها البعض, و يقصد إلى هدف التواصل, و تتحقق نصية نص ما, إذا كان متماسكا و منسقا و منسجما بحيث يؤثر في الملتقى, و يجعله شريكا له في التأليف و الصناعة, فيحقق المنتج غرضه من النص.

فقد تم ذكر مجموعة من التعاريف, و آراء الباحثين المتنوعة حول مفهوم النص, و هي آراء متعددة و مختلفة, و هذا راجع إلى تعدد وجهات النظر و تعدد المعايير المعتمدة في التعريف, و على الرغم من كثرة استخدام النصوص في التحليل و الدراسة إلا إنه لم يتم وضع تعريف اصطلاحي شامل, إذ تبقى محاولات الباحثين مستمرة في ذلك, فبالنسبة لهيلمسليف:<<النص من جهة التعريف غير محدد>>[82] . وذلك راجع إلى وجود مصطلح آخر, كما ذكرنا سابقا, يتضافر معه في الإستعمال و هو "الخطاب", فالبعض يتناول هذين المصطلحين على أنهما مرادفين و أنهما وجهين لعملة واحدة.

ظل قدماء النحويين في جدول مستمر حول تحديد مفهوم مصلح "الخطاب"-إذا كان موضوع أبحاثهم- إلا أنه يبقى لحد الآن لم يحظ بتعريف شامل قار. و هذا رغم إستعماله في الإنتاجات اللغوية.

إلا أن الإتجاه الغالب الآن هو إختيار مصطلح "الخطاب" و تفضيله على نظيره, و لعل السبب في هذا التفضيل هو أن مصطلح "الخطاب" يوحي أكثر من مصطلح "النص" بأن المقصود ليس مجرد سلسلة لفظية (عبارة أو مجموعة من العبارات) تحكمها قوانين الإتساق الداخلي الصوتية و التركيبية و الدلالية الصرف) بل كل إنتاج لغوي يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية و ظروفه المقامية(بالمعنى الواسع)[83] .

نستشف من هذا الحديث أن مصطلح الخطاب أكثر إيحاءا من نظيره "النص", إذ يمكن أن تندرج بعض النصوص تحت مصطلح "الخطاب", لأنه قد يكون أكثر إبلاغا للمقاصد و تحقيقا للغايات, فهو لا يعني فقط مجموعة الجمل المنسقة, فهو أكثر ما يتعلق

---

[81]- Langage ,context-and texte :Aspects of langage in a social semiotic perspective :Halliday and Hassan, oxford university press,1989,p :10 .

[82]-علم النص, مدخل إلى مشكلات بناء النص سعيد حسن بحيرى, ص53.

[83]- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص), أحمد المتوكل, دار الأمان , الرباط 2001,ص 16.

بالمقام الذي ورد فيه و الذي أنشئ فيه, فالسياق يلعب دورا مهما في تحديد المعنى العميق و تجاوز المعنى السطحي.

و تعود جذور مصطلح الخطاب إلى عنصري اللغة و الكلام, فاللغة عموما نظام من الرموز يستعملها الفرد للتعبير عن أغراضه و الكلام إنجاز لغوي فردي يتوجه به المتكلم إلى شخص آخر يدعى المخاطب, و من هنا تولد مصطلح الخطاب, بعده رسالة لغوية يبثها المتكلم إلى الملتقي, فيستقبلها و يفك رموزها[84] .

فالخطاب إذن عبارة عن رسالة لغوية ينشأها المتكلم أو المبدع و يوجهها إلى الملتقى, فيحال هذا الأخير فهمها و فك رموزها اللغوية المختلفة, و يحاول أيضا الوصول إلى مقاصد المتكلم, كما يقوم بتحليله فيشارك بذلك المتكلم في إنتاج خطابه و التفاعل معه,

و هذا التحليل يكون بإتباع مناهج متعددة و نظريات مختلفة في علم اللسانيات. و بما أن هذا العلم حديث النشأة لذلك نقول أن تحديد الخطاب يبقى من الأمور المستعصية لحداثته أيضا.

واختلفت الدلالات التي كانت تقرن –عادة– بمادة " Discours" في بداية القرن العشرين, لأن اللسانيات الحديثة اقترحت مفهوما مرنا للخطاب, حيث اعتبرته ملفوظا يرتهن من خلاله (الباث, المتكلم) اللغة بالكلام بمفهوم دي سوسير للمصطلح, و بذلك أصبح الخطاب في العلوم الإنسانية (سوسيولوجيا, علم النفس التحليلي, اللسانيات ...الخ). موضوعا علميا و نقديا[85] . فاعتبار الخطاب هنا على أنه موضوع علمي و نقدي إلا أنه لا يخضع لقواعد ثابتة قارة, كما أن تحليله لا ينتهي إلى استنتاج دلالات مطلقة و لا نصل من خلاله إلى معنى واحد, كما نجد النتائج المحصل عليها متغيرة باستمرار فهي ليست نتائج رياضية, وهذا راجع لاختلاف المتلقين و القراء و كذا القراءات المتنوعة, فالملتقي للخطاب للمرة الأولى تختلف استنتاجاته عن تلقيه و قراءته للمرة الثانية, و دوال الخطاب تحمل عدة مدلولات و ليست يقينية بل في حركية مستمرة, و تتميز بالدينامكية دوما.

و بالرجوع إلى معجم اللسانيات نجد الخطاب يحمل ثلاث تعاريف هي:

1–الخطاب يعني الكلام (La parole) .

2–الخطاب مرادف الملفوظ (Lénoncé) .

84- تحليل الخطاب الأدبي وفقا بالنص, عبد القادر شرشار, ص11.

85- تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص, عبد القادر شرشار, ص13.

3-الخطاب مرادف للغة (Langue) و هو يعني ملفوظ أكبر من جملة, أي متوالية من الجمل ينتجها مرسل واحد يتلقاها المخاطب [86] . من هذا التعريف نتبين أن مصطلح "الخطاب" يأخذ عدة مفاهيم فهو متغير, و هذا الاعتماد معايير مختلفة في التعريف منها: الدلالية و النحوية و السياقية, فكل واحد يتناول من جانب معين, فهو يبقى صعب الإلمام و الإحاطة به, إلا أنه يبقى استخدام اللغة سواء شفهيا أو كتابيا في سياق ما, و هو شكل و مضمون, يهدف منه منتجة التأثير في المتلقي.

و هناك من يعرف الخطاب بالنظر إلى ما يميزه بالممارسة داخل إطار السياق الاجتماعي, بغض النظر عن رتبته حسب تصنيف النحويين, أي بوصفه جملة أو أكثر أو أقل فلا فرق بين هذه المستويات النحوية في الخطاب[87] . فالدراسات الحالية, فأصبح الاهتمام بالسياق التداولي الذي أنتج فيه و كيفية توجيهه من المرسل إلى المرسل إليه, فلا ينظر إلى الجمل مستقلة عن بعضها بل يتحدد معناها من السياق الذي وردت فيه و الواقع المحيط به.

و أيضا "الخطاب هو الواقع اللغوية "[88].إذا إنه استعمال للغة, و هذا يستغرق زمنا معينا, حيث يتم فيه إنشاء سلسلة خطية متتابعة و هي مادته الأساسية لبنائه, كما أنها مجموعة من الوقائع و الأحداث المتوالية لوصف ظواهر معينة تتجاوز حدود الجملة.

أما في الأدبيات الحديثة, فقد ورد مصطلح "الخطاب " غالبا, و لأول مرة عند "هايمز". بين أن مفهوم الخطاب قد ناله التعدد و التنوع, و ذلك بتأثير الدراسات التي أجراها عليه الباحثون, حسب اتجاهي الدراسات اللغوية الشكلية و الدراسات التواصلية, و لهذا, فهو يطلق اجمالا على أحد مفهومين, يتفق في أحدهما مع ما ورد قديما, عند العرب, أما في المفهوم الآخر فيتسم بجدته في الدرس اللغوي الحديث, و هذا ن المفهومان هما:

- الأول: أنه ذلك الملفوظ الموجه إلى الغير, بإفهامه قصدا معينا.
- الآخر: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة[89]

---

[86]- Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage : J, Dubois imprimerie « latipografica ,S P A » Italie dépôt légel 1999,p : 152-153

[87]-استراتيجيات الخطاب, مقاربة لغوية تداولية, عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 37.

[88]-نظرية التأويل, الخطاب و فائض المعنى, بول ريكور , تر: سعيد الغانمي,المركز الثقافي العربي, المغرب, ط$_2$,2006, ص12.

[89]- استراتيجيات الخطاب,مقاربة تداولية, عبد الهادي بن ظافر الشهري: ص36-37.

فمفهوم الخطاب عند العرب القدماء يشمل الملفوظ, أي إبلاغ المتلقي (السامع) منطوقا لغويا قصد التواصل و هذا بوجود كل من المتحدث و السامع, ثم تطور مفهومه إلى أنه استعمال لغوي يتجاوز فيه مستوى الجملة, و هذا دليل على أن مصطلح "الخطاب" لا يمكن تحديده بمفهوم شامل جامع فمن الصعب إعطاءه تعريفا ثابتا قارا, فهو مصطلح رجراج, إلا أن البعض لا يهتم بتعريف الخطاب و ذلك لبداهته عندهم, أما البعض الآخر فولوه اهتماما, نجد من مثل ذلك الآمدي, فبدوره قام بتقديم تعريف له, حيث يرى أنه:« اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه » [90].

فالخطاب عند الآمدي هو اللفظ الذي اتفقوا على وضعه, و هو يهدف إلى إفهام المتلقي, و هذا الأخير لا بد أن تكون له قدرات على فهم و هو في تعريفه هذا يخرج العلامات غير اللغوية, كما أنه يجعل تعريف الخطاب و معرفة ماهيته منطلقا لمعرفة الأحكام الشرعية, و قريب منه ما قاله الجويني: «الكلام و الخطاب, و المتكلم, و التخاطب, و النطق, واحد في حقيقة اللغة, و هو ما يصير به الحي متكلما»[91] .فكل هذه المفاهيم تدل على مصطلح "الخطاب", وكلها استعمال للغة, إلا أنه لم يحدد بالضبط تعريفا خاصا و ثابتا, فجعل الكلام, التكلم و النطق و الخطاب كلها في مقام واحد, فهذا تعريف عام و يقصد به أي كلام يتكلمه شخص ما.

ينبغي إذن فهم "الخطاب" على أنه تنوع الخطابات الشفهية المختلفة من حيث الطبيعة و المستوى في مجال الكتابة, هو أيضا كافة الأجناس التي يخاطب فيها أحدهم الآخر و يعلن عن نفسه باعتباره متحدثا ينظم ما يقوله في مقولة الشخص[92]. إذن إضافة إلى أن الخطاب يشمل المنطوق نجده أيضا يحوي المكتوب, وعليه فهو يضم كل أشكال التواصل الشفاهي منها و الكتابي, و هذا ما أدى إلى صعوبة الفصل بينه و بين مصطلح النص", و نجد البعض لا يفرق بينها مثل: رابح بوحوش حيث قال:« إن قضية الخطاب الأدبي إشكالية.

90-نفسه, ص 36.

91- استراتيجيات الخطاب, مقاربة لغوية تداولية, ص 36.

92- الملفوظية, جان سيرغوني, تر: قاسم المقداد, منشورات اتحاد الكتاب العرب,1998,ص33.

من إشكالية النقد الحديث التي تحتاج إلى إثراء ومناقشة واهتمام... لأن النص الأدبي مادته اللغة فحسب [93] . فهو ككثير من غيره لا ير ى فرقا بين المصطلحين، إذ يستخدمها كمرادفين، وجعلها متطابقين فهما وجهان لعملة واحدة من النتاج الأدبي.

ولم يكن مفهم الخطاب في منتظر البلاغة الكلاسيكية مجرد وسيلة يعبر بها عن الفكرة، ولكن كان ينظر إليه باعتباره كيانا مستقلا، يحمل خصائصه الذاتية، ويتجلى ذلك في المراسلة الصادرة من الكاتب نحو المتلقي سواء أكان مشاهدا أم قارئا بحيث يتوخى المرسل (الباث/ الكاتب) في كل الحالات التأثير في المتلقي (القارئ/ الشاهد) [94]. فللخطاب خصائصه المميزة التي تميزه عن باقي المنتجات اللغوية، فهو رسالة يرسلها المبدع إلى المتلقي بغية التأثير فيه وإقناعه وإيصال فكرة ما ليه، فهو كيان مستقل بذاته إذ أنه مجموعة من المعطيات المتنوعة و الأفكار المجسدة تتضافر فيما بينها لتكون وحدة متكاملة هي الخطاب.

فكل خطاب عبارة عن مجموعة من الجمل و العبارات اللغوية في سياق معين, و بها يتواصل كل من المخاطب و المتلقي أو المنتج و القارئ فهو : <<وحدة التواصل التي تكمن في وحدة المقام و الموضوع و العرض, بهذا المعني يمكن أن نقول إن الرواية خطاب و المقالة خطاب و المحاضرة خطاب و النقاش حول موضوع ما خطاب إلى غير ذلك>>[95] .

ففي مقام ما يتفاعل الفاعل و ينشئ عالمه في ذلك المحيط و قد يشاركه المتلقي في ذلك بتواصله معه. فالخطاب يحمل موضوعا معينا, فيقدمه المبدع في شكل متسق منسجم للمتلقي للتأثير فيه, فهو في اجتهاد و إبداع مستمر لإيصال فكرته على الغير.

والخطاب لا يتحدد بالحجم, فهو غير مقيد بطول معين, إذ إنه << يمكن أن يكون جملة بسيطة أو جملة مركبة كبرى إذا كانت هذه الجملة تشكل وحدة تواصلية كاملة >> [96]

فقد يتشكل الخطاب من جملة سواء كانت بسيطة أم معقدة, أو عدد معني من الجمل, فهي تشكل وحدة تواصلية فيتحقق التواصل بين المرسل و المرسل إليه, و بذلك

93- الخطاب و الخطاب الأدبي و ثورته اللغوية, رابح بوحوش, مجلة اللغة و الأدب, ع12, دار الحكمة, الجزائر, 1997, ص184

94- تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص, عبد القادر شرشار, ص13.

95- نفسه.

96- قضايا اللغة العربية في السانيات الوظيفية, أحمد المتوكل, ص 81 .

تمر الرسالة و تصل إلى الآخر, فيقوم هذا الأخير بتحليله و فهم محتواه و ما يهدف إليه, و المغزى الذي يقصده.

يكتب ديك و هو بصدد تعريف "الخطاب" :<<لا يتواصل مستعملو اللغة الطبيعية عن طريق جمل منعزلة بل إنهم يكونون من هذه الجمل قطعا أكبر وأعقد يمكن أن نطلق عليها اللفظ العام <<الخطاب>>[97] . ذلك أن جمل الخطاب لو عزلت عن السياق الذي وجدت فيه, لحملت دلالات بعيدة عما يريده المنتج أو المبدع, و بذلك لا يفهم المتلقي تلك المجموعة من الشفرات و الرموز و الإشارات اللغوية إلا في سياقها الذي فيه, فجمل الخطاب ترتبط فيما بينها لغويا و دلاليا و هي في علاقة وطيدة بالسياق التداولي و هذا الأداء وظيفة التواصل.

و يمكن القول :<< بأن كل خطاب مرتبط على وجه الإطراء بالفعل التواصلي>>[98] . فالخطاب حدث او فعل يقصد به التواصل, و كل خطاب له موضوع خاص و قد يشترك بعض الخطابات في مواضيع معينة لكنها تأتي بصيغ مختلفة و رموز متنوعة. إلا أن مهمتها تبقى توصيل الرسالة.

و الذي يسعى "كليفن و شيفلين" إلى تأكيده هو أن:<<موضوع الخطاب ليس مجرد مركب إسمي بسيط, و إنما هو قضية (تصدر بشأنها أو توضح دعوى معينة)>>[99] . فالخطاب كما نعلم استعمال اللغة شفهيا أو كتابيا و يشمل طرفي الخطاب "المرسل و المرسل إليه". و يتناول قضية معينة و يعالجها و يحاول توجيهها للمتلقي ليشاركه في الدراسة و التحليل. غذ أنه ليس فقط سلسلة مركبة من قوانين اللغة، بل يسعى إلى هدف أسمى, فغرضه التواصل تحقيق التفاعل و هذا في سياق و مقام معين, و الخطاب غير محدد بحجمه و طوله فهو يختلف من خطاب إلى آخر إذ إنه <<يمكن أن نعد خطابا مجموعة من الجمل أو جملة أو جزء من جملة >>[100] , فيمكن أنها تحقق التواصل و تؤدي غرضها و مغزاها يحقق المبدع هدفه من خلاله و يتمكن من التأثير في متلقيه .

و ما يمكننا استنتاجه هو أنه قد وقع خلط كبير بين المصطلحين"النص" و"الخطاب", فمن الصعب التفريق بينهما, و فصلها فصلا دقيقا, و ما نخلص إليه, هو أن معظم

97- نفسه, ص17

98- النص و السياق, استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي , فان دايك , تر :عبد القادر قنيني, افريقيا الشرق, المغرب , 2000 ,ص20

99-تحليل الخطاب:ج.ب.براون, تر:محمد لطفي الزليطني و منير التر يكي ، ص87

100- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية, أحمد المتوكل , ص79.

الباحثين و الدارسين لا يفرق بين المصطلحين , بل نجد من جعل التطابق بينهما عنوانا لأحد كتبه وهذا عند الأستاذ: محمد خطابي مثلا في كتابه المعنون بـــ " لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب" فهو جعلهما مترادفين، وكذلك يفعل في المتن، فنجد مثلا قلوله: "... من تعميق لمسألة انسجام النص/ الخطاب، مع إغناء...."[101]. فحقيقة نجد الرأي الأغلب هو عدم التفريق بين المصطلحين وتداخلهما الشديد، لذلك نجد أنه يستحسن استعمال المصطلحين بمعنى واحد.

3- الانسجام/ التوازي: من المنظور اللغوي

إن تحديد مفهوم الانسجام لغويا واصطلاحيا، يتطلب توضيح بعض التشعب في الاستعمال، وهذا بينه وبين مصطلح آخر وهو الاتساق فالدراسات اللسانية الحديثة لا تخلو من استخدام هذين المصطلحين، إذ وقع خلط كبير بينهما على غرار مصطلحين "النص والخطاب" فالبعض يجعلها بمعنى واحد، والبعض الآخر حاول التفريق بينهما بتحديد أدوات وآليات كل واحد منها، غير انه هناك مصطلح آخر ذي ارتباط وثيق بهما وهو مصطلح " التوازي"، الذي رأى محمد خطابي في كتابه المعنون بـــ: "لسانيات الخطاب – مدخل إلى انسجام الخطاب" ضرورة إضافته إلى الاتساق بحكم ارتباطهما الوثيق، حيث قال: "ضرورة اغناء بعض المفاهيم مثل "الاتساق" الذي أنتهينا إلى ضرورة أن يضاف إليه التوازي[102] ".

فيتسم عرض بعض المفاهيم اللغوية منها والاصطلاحية لهذه المصطلحات وهذا لكشف الغطاء عنها ومعرفة ما تحمله في طياتها.

وورد الانسجام في لسان العرب بالمعاني الآتية: "سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجمه وتسجُمه سجما وسجوما وسجاما، وهو قطران الدمع وسيلانه، قليلا كان أو كثيرا، وانسجم الماء والدمع فهو منسجم إذا انسجم، والانسجام هو الانصباب"[103]

فالانسجام بالمعنى اللغوي يعني الانصباب، وهذا ربما يتصل بمعناه الاصطلاحي، وإذا ربطنا بين المعنيين نجد هناك علاقة في انصباب معاني النص، فالجملة الواحدة

101- لسانيات في النص، مدخل إلى انسحاب الخطاب، محمد خطابي، ص 06
102- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 385.
103- لسان العرب، ابن منظور، مادة سجم، مج2، ص103.

يوحي معناها على الجملة الموالية، كما أن القراء يستخلصون معاني متعددة وكثيرة، كلها تصب في اتجاه واحد، وتكون هذه الدلالات متقاربة وهذا ما يحقق الانسجام.

وقد جاء في المعجم المحيط: "انسجام (س ج م)، (مص، انسجم)

1- تمتاز كتابة بانسجام الأفكار أي لا تناقض بين أفكارها.

2- انسجام التعبير أي وضوح ألفاظه لا تعقيد فيه، سهل التركيب.

3- انسجام الأصوات: أصوات لا نشاز فيها منسجمة متناغمة.

الانسجام: مص: الانصباب،انسجام الدمع في الكلام، عذوبة ألفاظه وسهولة تراكيبه، في الفلسفة هو أن أجزاء الشيء تأتلف وظائفه المختلفة فلا تتعارض بل تتفق وتتجه إلى غاية واحدة"[104] .

فالنص يكون منسجما إذا كانت أفكاره تصب في مصب واحد، وغير متناقصة والملتقي يحس بتسلسلها وتواليها، كذا عدم الانتقال المفاجئ من فكرة إلى أخرى، فعلى المبدع أن يحسن اختيار الألفاظ المناسبة مع حسن توظيفها ليكون نصه منسجما.

أما بالنسبة للاتساق، فقد جاء في لسان العرب:

"وسقت الناقة وغيرها تسق أي حملت وأغلقت رحمها على الماء، والوسوق ما دخل فيه الليل وما ضم، وقد وسق الليل واتسق، وكل ما انتظم فقد اتسق... واتسق القمر: استوى، وفي التنزيل: "فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق". قال الفراء: وما وسق أي: وما جمع وما ضم، وا تساق القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه... والوسق: ضم الشيء إلى الشيء واتسقت الأبل واستوسقت: اجتمعت، والاتساق الانتظام... وهذا كما وقيل للسائق القابض، لأن السائق إذا ساق قطيعا من الأبل قبضها: أي جمعها لئلا يتعذر عليه سوقها، ولأنها انتثرت عليه لم تتابع ولم تطرد على صوب واحد"[105]

فمعنى الاتساق في اللغة، يأتي في صور متعددة حسب وقوع اللفظ في الجملة، ويحدد معناه السياق التداولي الذي وضع فيه، إلا أن هذه الدلالات تبقى متقاربة وتشترك في المعنى العام، فهي توحي إلى الانضمام والاستواء والاجتماع والانضمام فكلها تصب في اتجاه واحد، هو مرتبط بالمعنى الاصطلاحي بحيث نجد في النص انتظام الجمل

104-معجم المحيط، أديب اللجمي وآخرون

105- لسان العرب، ابن منظور، مادة وسق، مج3، ص 926-927.

وانضمامها واجتماعها لتركيب وحدة كلية متكاملة، فالنص ليس فقط مجموعة من الجمل العشوائية بل يشترط فيها عنصر الانتظام.

وبالنسبة للتوازي فنجد: وزي الشيء يزي اجتمع وتقبض، وأوزي ظهره إلى الحائط: أسنده، قال أبو البحتري: فوازينا العدو وصافقناهم، والموازاة: المقابلة والمواجهة، قال: وللأصل فيه الهمزة، يقال: آزيته إذا حاذيته"[106].

فالتوازي يعني المواجهة والمحاذاة وكذا المقابلة، فالنص تتقابل فيه الجمل وتأتي متوازية بحيث تحقق انسجام النص والتحامه، وأكثر ما نجد التوازي في الشعر، فالشطر الأول من البيت الشعري يوازي الشطر الثاني وهذا ما يجعل القصيدة أكثر تماسكا وانسجاما، وقد يكون التوازي في تقارب دلالات جمل النص وألفاظه فتكون متصاقبة لتصاقب معانيها، والتوازي أيضا يكون بين الجمل.

** كما تجدر الأشارة إلى بروز مصطلح آخر يستخدمه د/ محمد مفتاح وهو "الالتحام" ويجعل هذا المفهوم جامعا لكل من الاتساق والانسجام في محا ولته لتحديد كيفية تحقيق دينامية النص، كما يطلق لفظ "التنضيد" على الاتساق، ولفظ "التنسيق" على الانسجام وما يلبث أن يعود فيطلق لفظ الانسجام بدل الالتحام وكل من "التنضيد والتنسيق" فقط وسائل لتحققه .

فيرى أن "الالتحام" يعني الانسجام ويحتوي على عنصرين (التنضيد والتنسيق) ويقول عن التنسيق: "ونعني بالتنضيد الجمل التي نجد فيها أدوات العطف ومختلف الروابط الأخرى التي تعلق جملة بجملة"[107]، وهذا في الحقيقة ذكر سابقا وهو يجسد عناصر الأتسا ق، ويعرف التنسيق بأنه: "العلاقات المعنوية والمنطقية بين الجمل حيث لا تكون هناك روابط ظاهرة بينهما"[108]، ويعني هنا الروابط الدلالية ويندرج ضمن الأنسجام ويواصل الباحث حديثه عن هذه الاصطلاحات فيقول: "ن هذا الالتحام وما يقتضيه من تنضيد وتنسيق هو ما يدعى -غالبا- بانسجام النص لدى الدارسين البنيويين المحافظين والمحللين للخطاب من اللسانيين" [109]

---

[106]- لسان العرب، ابن منظور، مادة وزي، ص 9220.
[107]- دينامية النص، تنظيم وانجاز، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1990، ص 44
[108]- نفسه
[109]- نفسه

فأساس تعدد التعاريف لدى الباحث للاتساق والانسجام هو عدم إعطائه إياها الاهتمام اللازم، وهذا لقناعته بأنها من المدركات بالبداهة، فهو يتحدث عنها بالضبابية ولا يدقق في تحديد ماهيتها، فهو القائل: "... وهذه المفاهيم جميعا ترجع إلى مقولة جامعة هي: "الدينامية" وقد اعتبرناها جميعا أولية غير معرفة لأن المتلقي يدرك معناها ودلالتها بالسليقة والحدس"[110]

كما نجد دي بوجراند، يجعل السبك بمعنى الاتساق، والالتحام بمعنى الانسجام.

4- الانسجام/ التوازي: من المنظور النقدي:

يعد مصطلح الانسجام جانبا من الجوانب المهمة في دراسة النص أو تحليل النص: "بإعتبار الوحدة الكبرى؛ فهو ذو طبيعة دلالية متعلقة ومشروطة بمدى التماسك الكلي للنص، لذلك فإن الذي يحدد إطارها هو المتلقي"[111] . فالانسجام يعمل على بناء النص أكثر ترابطا وأكثر تماسكا مما يحقق التواصل بين المتلقي والمنتج والنص.

وبه يصل إلى غاية إبداعه وقد عرفه السيوطي بقوله: "أن يكون الكلام لخلوه من الانعقاد منحدرا كتحدر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه، وعذوبة ألفاظه أن يسهل رقة، والقرآن الكريم كله كذلك... وقد جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه"[112]

فسهولة التركيب والبناء، وتسلسل الجمل وتواليها وترابطها يخلق الانسجام، وبالتالي يسهل على القارئ تحقيق الفهم فليس كل مجموعة تشكل نصا، إذ لا بد من عنصر الترابط وانسجام العناصر، ذلك أن المتلقي يحاول التأويل والتحليل وما يعينه على ذلك انسجام النص، فكلما كان النص منسجما كلما كانت نسبة التأويل كبيرة فتتحقق نصيته.

وما يبدو جليا هو بروز مصطلحات متنوعة ومتداخلة أدت إلى صعوبة تحديد المعنى الدقيق للمصطلح و تتضافر في الاستعمال منها: الانسجام الاتساق، التماسك، الترابط، وانتظام...إلخ، وكذا نجد عند الغربيين تداول المصطلحين: cohérence / cohésion فنجد "cohérence " الذي استعمله الباحث دافيد كارتر david carter مرادفا

110-السابق، ص 07

111- ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فيصل، ص 338

112- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، دت، ج3، ص 259-260.

للمصطلح cohésion وهو يعني العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية وبنية البيئة المحيطة من ناحية أخرى" [113]

فالباحث دافيد جعل كل من الانسجام والاتساق دلالة لمعنى واحد ويمثل في تلك الروابط التي تربط بين مكونات النص والسياق الذي وردت فيه، إلا أن البعض يجعل الاتساق خطوة هامة للوصول إلى الانسجام، وهذا ما يراه مفتاح بن عروس حين قال: "إنه لا يمكن أن نتصور نصا منسجما دون أن يكون متسقا، وبهذا المعنى يكون الاتساق (cohesion) شرطا ضروريا للانسجام[114] .

فتحديد المصطلح بدقة أمر غير هين، فهذا التشابك والتقارب يجعل الكثير من الباحثين يستخدمون عدة مصطلحات بمعنى واحد.

إلا أنه حاول (بن عروس) التفريق بين المصطلحين فقال: "يقابل مصطلح الاتساق الأجنبي (coherence)" [115]. وبهذا نقول أن المصطلحين الاتساق والانسجام" قد تم تحديدهما بما يقابلها في المصطلحات الأجنبية، وتبقى قضية فصلهما عن بعضهما قضية شائكة.

كما أن الانسجام ليس معطى في النص، بل نتيجة القارئ من خلال "صرف الاهتمام تجاه العلاقات الخفية التي تنظم النص تولده بتجاوز رصد المحقق (أوغير المحقق) أي الاتساق إلى الكامن "الانسجام"[116]. فتفاعل القارئ والنص يكشف عن القيم الأدبية والجمالية للنص فيتحقق المعنى الكلي بتحقق التواصل بين المنتج والمتلقي، فهذا الأخير يتذوق النص ويحس بالمتعة واللذة حين قراءته له، وتحليله وتأويله، ذلك استنادا إلى مجموعة العناصر التي تكونه وتلك الروابط التي تربط بين أجزائه، إلا أن الانسجام لا يتحقق بالعناصر اللغوية بل بالعناصر غير لغوية، فهو يركز على المستوى الدلالي والتداولي.

وأما الانسجام من المنظور الفلسفي فهو: "أحد المفاهيم والمصطلحات الوظيفية التي يتأسس عليها أي نظام وظيفي في الحياة الإنسانية فبدون انسجام العناصر والمعطيات المكونة لهذه الظاهرة أو تلك لا يمكن للحياة أن تتسق وتنتظم، ثم إنه لا يمكن أن نأخذ

113-Interpretiny anpharsin natural language ; texts- daid- carter : ellis hodrwood limited, englend, 1987, p :32

114-حول الاتساق في نصوص المرحلة الثانوية (مقاربة لسانية)، مفتاح بن عروس مجلة اللغة والأدب جامعة الجزائر، ع12، 1997، ص 431.

115-نفسه، ص 430.

116-لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص6

الحياة اتجاه البناء الذي يؤدي إلى تحقيق مردود كمي ونوعي يكافئ الجهد المبذول من جهة ثانية"[117] .

فمن هذا المفهوم يتضح جليا أن الانسجام لا يتحقق إلا بالانتظام وباعتبار النص وحدة كبرى منتظمة وليست رصفا عشوائيا للجمل. إذا يقوم محلله بالانتقال من المستوى الأفقي له وصولا إلى المستوى العمودي، لاستقصاء مدى انسجامه، وهذا بتأويله، واستنطاق مكامنه وكشف خباياه.

والانسجام يعمل على تحقيق الاستمرارية في النص، فنجد أن "cohérence" يتصل إلى هذا المعيار برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عماله أو العمل على إيجاد "الترابط المفهومي"[118].

أما بالنسبة للاتساق فقد جاء في معجم المصطلحات البلاغية لأحمد مطلوب ما نصه: "اتساق النظم:هذا الفن من صفات الشعر الجيد، وقد ذكره ثعلب وقال أنه ما طاب قريظه وسلم من السناد والإقواء والإمضاء والإجازة والإيطاء وغير ذلك من عيوب الشعر، وما قد سهل العلماء إجازته من قصر ممدود، ومد مقصور...، ومعظم الشعر يتصف باتساق النظم، ولا يخرج منه إلا ما وقع فيه عيب أو ضرورة "[119]

وقد يكون هذا التعريف أشمل التعريفات التي قدمت للاتساق في الفكر النقدي القديم، ولعل المعنى ذاته ورد عند الأستاذ محمد خطابي، حين قال: "يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/ خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"[120]، ثم ينتقل الباحث إلى توضيح كيفية رصد تحقق الاتساق في نص من النصوص، فيواصل قائلا: "ومن أجل وصف اتساق الخطاب النص يسلك المحلل الواصف طريقة خطية، متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته"[121] وهذا باعتبار النص مجموعة من الجمل المترابطة فيما بينها، وبعد ذلك –وبإيجاز– يضيف آليات تحقق الاتساق فيرى أنه على المحلل أن يرصد "الضمائر والإرشادات المحلية إحالة قبلية أو

117- ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليب، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص161.
118- النص والخطاب والاجراء، تمام حسان، ص 103
119- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، ط1966،2، ص30
120- لسانيات الخطاب، مدخل إلى انسجام النص، محمد خطاب، ص 50-
121- السابق، ص 05

بعدية، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة والاستدراك وهلم جرا" [122].

فالإتساق يظهر في تلك الروابط اللغوية التي تربط بين عناصر النص لتجعله كلا متكاملا، وهذه الأفكار والمطارحات تبين مدى دقة تحديد المفهوم الذي أعطي للاتساق من قبل هذا الباحث.

وحسب الباحثين هاليدي ورقية حسن (halliday- hasan) فإن مصطلحcohesion: "لا يركز على ماذا يعني النص بقدر ما يركز على كيفية تركيب النص باعتباره صرحا دلاليا"[123] إذ لا بد من توفر وسائل الربط في النص وهذا حفاظا على استمراريته وتحقيق نصيته وكينونته.

ويتحدث الدكتور علي أبو المكارم عن الاتساق فيقول: "إن الاتساق اللغوي لا يمكن أن يعزل مستوى من مستويات النشاط اللغوي عن غيره من مستويات هذا النشاط، ويستحيل أن يكون الأداء اللغوي صحيحا مع فقدان الصحة في أي مستوى من مستوياته الصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية"[124].

فالإتساق هنا يعني الترابط بين أجزاء النص كله، فلكي يكون النص متسقا لا بد أن يكون مترابطا، وهذا الترابط سواء بين جملة أو فقراته أو حتى نصوص، مثل نصوص الكتاب الواحد، أو سور القرآن مثلا، والترابط يكون من البداية إلى النهاية وهذا بين جميع المستويات المتنوعة و"لعل تحقيق ذلك أمر بالغ الصعوبة –كما يقول الدكتور على أبو المكارم– إذ تحقيق الاتساق على هذا المستوى يتطلب قدرة على النظر الشامل ويستلزم دقة في تلمس العلاقات المتشابكة يحتاج إلى بصر بأساليب بأساليب تشكيل الظواهر المشتركة"[125] و مما ذكر يتضح أن الاتساق أخذ معنى الترابط، وهذا الترابط يكون بتوفر قرائن لغوية وهذا ما يساهم في جعل النص مترابط ترابطا دلاليا.

فالسبك أو (الربط) أو (التضام) cohésionوهو معيار يهتم بظاهر النص، ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي، وهو يترتب على إجراءات تبدو بها

122- نفسه.

123- Cohesion in english : a. hallidoy. M.A.K and ruquaya hassam longman, london, 1976, p126

124- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص 95.

125- السابق، ص 96

العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الوصفي[126].

الملاحظ هنا تعدد المصطلحات للاتساق (cohésion) وهذا باختلاف أفكار الدراستين وصعوبة تحديد المصطلح بدقة.

فكل المصطلحات متقاربة ومتداخلة إلا أنها تصب في اتجاه واحد وتتقارب لأداء معنى واحد.

فالاتساق يعني الترابط، ذلك أن النص نسيج متضام موحد فهو بنية كبر ى، أساسها الجملة بحيث تنمو وتتشكل بتوالي باقي العناصر وهذا ما يجعل النص مستمرا، مشكلا متتالية متنامية بترابط أجزائه وعناصره، والقارئ أو المتلقي يلاحظ هذه العناصر أنها سطحية وخطية تحكمها قواعد لغوية، وكل عنصر يشترط العنصر الموالي، وبترابط كل العناصر تتشكل وحدة متكاملة مترابطة.

ولهذا كان للترابط ووسائله حيز كبير في حقل الدرس اللغوي المعاصر، فقد شرع علماء النص يولون التماسك عناية قصوى ويذكرون أن خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكونة في النص في علاقتها بما يفه م من الجمل الأخرى ويشرحون العوامل التي يعتمد عليها الترابط[127]

فالوسائل اللغوية والروابط الشكلية القائمة بين وحدات النص وأجزائه المختلفة هي التي تجسد الاتساق، وهذا ما يعين القارئ على تحديد معنى النص، وذلك بمعرفة دلالات الجمل، فالكاتب لا يضع الجمل بعضها إلى جوار بعض دونما أدنى اهتمام بالروابط.

ويستعمل فإن رأيك مفهوم الترابط للإشارة إلى علاقة خاصة بين الجمل، ولما كانت الجملة تركيبية والترابط علاقة دلالية فقد فضل الباحث الحديث عن العلاقة بين قضيتين (أو قضايا) جملة ما أو جمل ما[128]

فمجموعة الروابط والعلاقات اللغوية تجعل النص متماسكا وتمنحه القوة، ذلك أن القارئ لا يصل إلى فهم خفاياه إلا بممارسات مختلفة كممارسة التأويلية، "إذ تكمن قوة النص في قدرته على إخفاء حقيقته، كما تكمن في حجبه ومخاتلته، لا في إفصاحه

126- النص والخطاب والاجراء، تمام حسان، ص 103

127- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ص 263.

128- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 31.

وبيانه"(129) فكلما كان النص مترابطا كلما حقق نصيته، واستطاع المتلقي تحقيق التفاعل معه، وكشف حجبه وسبر أغواره، فمعرفة دلالته الجملة يعين على فهم الجمل الجمل السابقة لها والموالية، وبذلك تكون إمكانية فهم النص كله.

فالكاتب أو المنتج لا بد أن ينتج في النهاية وحدة واحد متكاملة ومتماسكة.

والتماسك كما يقول هاليدي ورقية حسن: "هو علاقة معنوية بين عنصر في النص وعنصر آخر يكون ضروريا لتفسير هذا النص، هذا العنصر الآخر يوجد في النص غير أنه لا يمكن تحديد مكانة إلا عن طريق هذه العلاقة المتماسكة"، وبهذا يكون السبك مرتبط باللفظ والحبك مرتبط بالمعنى دائما(130)

إذن فالوسائل اللغوية والروابط الدلالية لا بد من توفرها لفك شفرات النص ورموزه، إذ نجد بعض الضمائر المحلية، سواء قبلية أم بعدية فهي تعمل على التوضيح، وبها يتمكن المتلقي من قراءة النص قراءة عميقة ويتفاعل معه بحيث يصبح منتجا ثانيا له.

فالسبك يتعلق بالألفاظ وذلك أن تأتي مترابطة متسلسلة والحبك يكون في مرتبط بالانسجام .

فالسبك أحكامك علاقات الأجزاء ووسيلة ذات إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة وقرينة الربط النحوي من جهة أخرى واستصحاب الرتب النحوية إلا حين تدعوه دواعي الاختيار الأسلوبي ورعاية الاختصاص والاختصار في تقريب الجمل(131)

والسبك أيضا: "أن تتعلق كلمات البيت ببعضها ببعض من أوله إلى آخره"(132).

وهكذا يؤكد على القول بأنه ليس كل مجموعة من الجمل تشكل نصا إذ يجب أن تكون الكلمات متعلقة ببعضها البعض والجمل مترابطة ومتماسكة سواء لغويا بوجود قرائن مثل: حروف الجر، حروف العطف....إلخ، أم دلاليا بمختلف الوسائل المعنوية كوجود ضمائر تحيل على المعنى.

فكلما كان فالتماسك والترابط يحقق مدى اتساق النص. و"الاتساق لا يتم في المستوى الدلالي فحسب، وإنما يتم أيضا في مستويات أخرى كالنحو والمعجم، وهذا

129- الحداثة وفكر الاختلاف، عبد القادر بودومة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص19

130- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص 90

131-البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النص، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998، ص 78-79.

132- نفسه.

مرتبط بتصور الباحثين للغة كنظام ذي ثلاثة أ بعاد /مستويات: الدلالة (المعاني)، والنحو، المعجم (الأشكال)، والصوت والكتابة (التعبير)

يعني هذا التصور أن المعاني تتحقق كأشكال، والأشكال تحقق كمعايير وبتعبير أبسط تنقل المعا ني إلى كلمات والكلمات إلى أصوات أو كتابة"[133].

فالاتساق لا يكون في الدلالة فقط، فقد نجده في المفردات فنقول اتساق معجمي، وأيضا في النحو فيكون الاتساق النحوي. واللغة هي تعبير عن الأفكار، فنجد المعاني تتحقق بكتابة الألفاظ، وتكون أكثر دلالة حين تأتي متسقة ومترابطة لغويا أو دلاليا.

فمحلل النص يستعين بهذه الروابط والقرائن للتفسير والتأويل، فقد لا يفهم معنى جملة إلا بالرجوع إلى ما تحيل إليه الجملة السابقة لها، ففي الغالب نجد تحاوليه العناصر في النص وهذا له دور في تحديد المعنى.

وقد استعمل دي بوجراند مصطلح (chesoion) بمعنى "الترابط الصرفي وبحيث يمكن استعادة وسائل التضام التي تشمل على هيئة نحوية المركبات والتراكيب والجمل، وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية والأدوات والإحالة المشتركة والحذف والروابط"[134]

فالتكرار شكل من أشكال الاتساق المعجمي، ويكون بإعادة اللفظ أو ذكر مرادفه، وكذا الضمائر المحلية على معاني متوالية، أما الحذف فالمحذوف لا يحل محله شيء والقارئ وحده يحاول ملأ الفراغ اعتمادا على ما سبقه في النص، وكل هذه الحالات توجد في النص وعلى القارئ فقط توضيحها.

يقول كل من هاليدي ورقية حسن: "تظهر الروابط عن طريق الأدوات بين الجمل أكثر وضوحا، لأنها المصدر الوحيد الخاصة للنص"[135]. وقالا في مو ضع آخر: " التي تملك قوة الربط في الواقع هي العلاقة المعنوية الضمنية"[136] يستشف هنا أن الربط اللغوي خاصية مميزة للنص كما أن الربط المعنوي يجعل النص أكثر تماسكا فكل منهما يكمل الآخر، وهذا التماسك يحقق نصية النص ويخلق بنيتها، فكانت " روابط التماسك بين

133- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 15.

134- ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، ص 78

135- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي ، ص 99.

136-نفسه.

الجمل هي المصدر الوحيد للنصية" [137] . فبناء النص يكون وفق نظام معين وفي سياق تداولي خاص.

فالنص ينتج في ظروف معينة، وعلى المتلقي أن يعرف صاحب النص والزمان والمكان الذي أنشىء فيه وكذا الظروف المحيطة به. فكل هذه العناصر تساعد على التأويل والتفسير والتحليل، وبذلك الوصول إلى غايات ومقاصد المتكلم، "فأي نقطة أو جملة تعد البداية –أي بداية النص– ترتبط بما سبقتها وبالبيئة المحيطة وترتبط بما سوف يأتي بعد وتسهم عناصر أساسية في التماسك مثل المرجعية والإبدال والحذف والعطف والتماسك المعجمي وهي علاقات دلالية تسهم في تحديد النص كما يسهم السياق كذلك"[138]

فالسياق له دور كبير في تحديد المعنى المقصود، فبإمكان المحلل التنبؤ بما يقال من خلال معرفة الظروف المحيطة بالنص، والمقام الذي ورد فيه النص، فكل نص قابل للتأويل فهو نص متسق ومترابط، ونسبة التأويل والفهم تتحد بنسبة الترابط والتماسك، ويرى هاليدي ورقية حسن الترابط النصي هو الذي يخلق بنية النص ذلك أن " للنص بناء نصي مما يميزه عمالا يمثل نصا...نحصل على هذه الحبكة عن طريق علاقة الترابط"[139]. إذ تترابط عناصر وجمل النص بحيث نجد الجملة لها علاقة بما يسبقها وبما يليها، فتأتي متسلسلة متوالية فتنتج وحدة متكاملة متسقة ومنسجمة ومتلاحمة، "فحينما يعتمد فيه عنصر معين في الخطاب على عنصر آخر فالأول يغير الثاني بمعنى أننا لا يمكننا فك شفرته بنجاح إلا بالعودة إلى الثاني"[140]. وهذا دليل على إحالة دلالة الجمل على بعضها البعض، ولا يستقيم معنى جملة إلا بالرجوع إلى سابقتها والنظر إلى ما يلحقها، فهناك علاقات شكلي ة ودلالية تبني النص وتضمن له استقراره واستمرار يته بحيث يؤدي قصده وغرضه في سياق ما.

وما نخلص إليه هو أن مصطلح cohesion يهدف إلى تحقيق نصية النص التي تتحدد بسبعة معايير كما ذكرها روبرت دي بوجراند(rolert de beaugrand) : (1-

---

137- تحليل الخطاب، ج، ب، براون، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، ص 194.

138-. langage, contesct and texte : aspecte of langage social simiotic perspective, halliday and hassam, axford université presse, 1989

139- تحليل الخطاب، ج،ب، براون ص 228.

140- نفسه.

السبك cohesion 2- الالتحام cherence 3- القصد intentionality 4- القبول acceptality 5- رعاية الموقف informatioty[141] .

ومما سبق يظهر جليا أن هناك خلط في استخدام الألفاظ، فمنهم من يجعلها مترادفة إذ يصعب التفريق بينها وتحديد المعنى بدقة وذلك لتشابك المعاني وتداخلها إذن فالاتساق والانسجام لهما دور في تحديد مدى تماسك النص وترابطه، وبذلك تحقيقه التواصل، والاتساق ذو طبيعة شكلية، أما الانسجام فهو ذو طبيعة دلالية تداولية، فكلما كان النص متسقا منسجما كلما كان أك ثر تماسكا، وكلما كان أكثر تماسكا كلما حقق نصيته، "فالنص منت وج مترابط، متسق ومنسجم، وليس تتابعا عشوائيا لألفاظ وجمل وقضايا وأفعال كلامية"[142]. فكل نص لا بد أن يتوفر فيه كل من الاتساق والانسجام، فهما عنصران متكاملا متلازمان، وبهما تتحدد نصية النص، وبهما نطلق على المنتوج أو العمل الأدبي نصا.

وبعد الحديث عن الاتساق والانسجام لابد وقفة مع مفهوم آخر الا وهو "التوازي " الذي رأى خطابي بضرورة ضمه إلى مفهوم الاتساق.

إن مفهوم التوازي غير متوفر بالقدر الوافر في كتب علم النص ولسانيات النص، بعض الباحثين قدموا مفاهيم متقاربة للتوازي، وهذا ما ورد في كتاب "تحليل النص الشعري" يوري لوتمان الذي ترجمه د/ محمد مفتاح أحمد: "إن الأمر هنا لا يتعلق بالتطابق بين الحياة الإنسانية والحياة الطبيعية بل ولا يتعلق حتى بالموازنة التي تفترض الوعي بتوزع الموضوعات التي يوازن بينها، إنه بالأخرى- التوازي- يعني ضربا من المقارنة بعلامة الفعل" [143] هذا المفهوم فكسيولو فسكي.

ويواصل الكاتب بقوله: "وبهذه الصورة فإن التوازي يتضمن بالتأكيد نوعا من التشابه على العكس مما هو عليه الوضع في حالتي التطابق التام أو التمايز المطلق"[144]

وبعد ذلك قدم قولا للباحث أو سترليتز الذي عرف التوازي بأنه: "كل شطرتين في البيت يمكن اعتبارهما متوازيتين، إذا كانتا متطابقتين فيما عدا جزءا واحدا يشغل في كل منهما نفس الموقع تقريبا....إن التوازي يمكن النظر إليه كضرب من التكرار، وإن يكن تكرار

141-ينظر: النص والخطاب والإجراء، تمام حسان، ص102-104.

142-élément de linguistique textuelle, théorie pratique de l'analyse textuelle, mardago, paris, 1990, p117.

143-نقلها عن: تحليل النص الشعري (بينة القصيدة)، يوري لوتمان، تر: محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص129.

144-نفسه.

غير كامل"[145] فالتوازي غالبا يتوفر في الشعر، فتقول أن الشطر الأول يوازي الشطر الثاني، وقد نلمس ذلك من خلال طول الجمل والعبارات وكذا توفر المقابلة تبين جملتين، والقارئ هو الذي يحس بمدى توازي جمل النص.

ويعلق لوتمان بعد ذلك يقوله: "ويمكن أن نحدد الخصائص الملحوظة بهذه الطريقة: التوازي مركب ثنائي التكوين: أحد طرفيه لا يعرف إلا من خلال الآخر، وهذا الأخير بدوره- يرتبط مع الأول بعلاقة أقرب إلى التشابه تعني أنها ليست علاقة تطابق كامل ولا تباين مطلق ومن ثم فإن هذا الطرف الآخر يحظى من الملامح العامة بما يميزه الإدراك من الطرف الأول، ولأنه في نهاية الأمر طرفا المعادلة وليسا متطابقين تماما، فإننا نعود ونكافيء بينهما على نحو ما، بل ونحاكم أولهما بمنطق خصائص وسلوك ثانيهما"[146]. فالتوازي يعني المشابهة وليس المطابقة، وهو يشكل ثنائية مع عدم اشتراط التضاد فيهما ولا التطابق، فقط نجد بين الجملتين تشابه مع اختلاف في بعض العناصر ويمكن القول أن التوازي يندرج ضمن الدراسات البلاغية، من مثل ذلك استخراج الصور البيانية والمحسنات البديعية من النصوص يتم تحليلها والتوازي يعني "توازي البنية التركيبية لعدد من الجمل، فهذا التوازي ليست له أية وظيفة نحوية، لكن قد تكون له وظيفة بلاغية مرتبطة بأثر القول في القارئ" [147]. فالتوازي مظهر من مظاهر البنيات البلاغية وهو يكون بين الجمل فدلالة الجمل الأولى يرتبط بدلالة الجملة الثانية ومعناهما بصب في اتجاه واحد، فتأتي الدلالات متصاقبة، متقاربة تكاد تكون تكرارا، وهذا بتوفر ضمائر محلية، ولا يتحدد معنى جملة إلا باقترانها مع الجملة الموالية لها

ورغم ذلك فان التوازي لا يمكن أن يستقل كعنصر قائم بذاته، وإنما يضم فقط إلى الا تساق كعنصر متمم له كما رأى الأستاذ محمد خطابي.

145-نفسه.

146-السابق.

147-لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص30.

الفصل الثاني

الانسجام النصي: أهميته وآلياته:

- أهميته.
- آلياته:

أولا: من المنظور البلاغي.

ثانيا: من المنظور البنيوي.

1-أهمية الانسجام

يعد الانسجام أحد العناصر المهمة في النص، يضمن له استمراريته، ويساهم في كشف قيمه الجمالية والأدبية، وذلك بتمكن القارئ من تفاعله مع النص، فيقوم بالتحليل والتفسير والتأويل واستنطاق مختلف عناصره.

والانسجام يسمح للقارئ أن يبقى في حوار مفتوح دائم مع النص، لذلك "فإن الدراسات التي اهتمت بانسجام النص اعتادت أن تطرح جملة من الأسئلة التي يمكن أن تساعد في فهم النص ومن أهم هذه الأسئلة: التساؤل عمن فعل؟ وماذا فعل ؟ وأين ؟ ومتى؟ وكيف؟ ولماذا؟"[148] .

فكل هذه الأسئلة مهمة جدا في تحليل الخطاب أو النص، فيها يتحقق التواصل ويتم إبلاغ الرسالة ومرورها والقارئ المتمرس يسعى إلى كشف كل ما هو غامض ومبهم كما يحاول كشف أسرار النص وسبر أغواره، وإضاءة خباياه واستخراج كوامنه.

وأهمية الانسجام أيضا، تكمن في إعطاء أهمية لعناصر الرسالة من مرسل ومتلقي والنص، وكذا "مناقشة النص في سياق الإبلاغ الأدبي (poetic communication) من حيث إنتاجه والاستقبال (réception) والعوامل الأدبية الاجتماعية(socio poetic) والنفسية (psycho poetic) التي تؤثر في النص أو الخطاب[149].

والانسجام له الدور في تحديد المعاني المفترضة والوصول إلى الدلالات اللازمة، فشكل بناء النص المنسجم يسمح بتحقيق الفهم الصحيح بمعرفة معنى المعنى أو ما وراء المعنى.

والانسجام هو معطى نصي فإذا حصل وأن انعدم الانسجام، فإن القارئ المتمكن هو الذي سيعيد للنص انسجامه من خلال "صرف الاهتمام تجاه العلاقات الخفية التي تنظم وتولده بتجاوز رصد المتحقق فعلا (أو غير المتحقق) أي الاتساق إلى الكامن (الانسجام) [150]

148- دينامية النص، (تنظير وانجاز)، محمد مفتاح، ص 52.

149- علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، سعيد حسن بحيري، ص 75.

150- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي،ص 6.

إذن يبقى للانسجام أهمية بارزة وكبرى في بناء النص وتحقيقه. إلا أن السؤال الذي يتمحور حوله الحديث هو كيفية الانسجام؟ وما آلياته وأدواته التي تعمل على تحقيقه؟

2- أليات الانسجام

أولا: من المنظور البلاغي

1- الفصل الوصل:

إن مفهوم الفصل والوصل كثيرا ما ارتبط بتعريف البلاغة فقد جاء في تعريف الجاحظ للبلاغة قوله: "معرفة الفصل من الوصل"[151]. بمعنى أنه وضع الفصل والوصل حدا للبلاغة.

ومعرفة موضع الفصل عن الوصل أمر صعب، إذ لا ينبغي إلا لمن يتقن اللغة وضوابطها ويفهم ما يقال عن كلام العرب، ذلك أن النص ليس مجرد سلسلة من الجمل المتوالية، بل لا بد من وجود عناصر تجعله متماسكا ومنسجما.

وقد قال أبو لعباس السقاح لكتابه يوما: "قف عند مقاطع الكلام وحدوده، وإياك أن تخلط المرعي بالمهبل"[152].

والمرعي المهبل: الجمال التي رعت العشب، والأخرى التي تركت على سجيتها، إذ يلزم ربط عناصر النص ربطا محكما وبالطريقة المناسبة وهذا لتحقيق نصية النص

وقد اهتم كل من الجرجاني والسكاكي، باعتبارهما قطبي البلاغة- بالفصل والوصل، وهذا لإدراكهما مدى ارتباط ذلك بتحديد معنى النص بالنظر إلى كيفية ارتباط عناصره وتماسكها. ذلك أن "تماسك النص وتعالق الجمل بعضها ببعض لا يقومان على الترابط فقط، فقد يقومان على ما يعرف بالفصل disjonction مثلما يقومان على الوصل والعطف " conjunction [153] .

فالوصل يأخذ معنى العطف ويستعمل بعض الباحثين مصطلح "الربط" للدلالة على "الفصل والوصل"، وهذا ما جاء في كتاب "تحليل الخطاب" ل .ج.ويول. فالجمل ترابط فيما بينها فتكون بينها روابط معينة وقد تأتي مفصولة أو موصولة

151- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تح: حسن السندوبي، دار الفكر، بيروت دت، ج1، ص 111.
152- الصناعتين، أبو الهلال العسكري، تح: على محمد البجاوي ومحمد أ بو الفضل ابراهيم، القاهرة، ص 497.
153- في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص 197.

كما تجدر الإشارة إلى أن "الفصل" هو "الوصل" عارض بزيادة حرف من حروف العطف"[154] بمعنى أن أصل النص جمل مجزأة والمنتج يستخدم روابط متنوعة للربط بينها لضمان استمرارية النص ويمكن أن تكون جمل النص مفصولة بعضها عن بعض ولا وجود لربط لغوي بينها أي غير معطوفة بعاطف "ويسمى ترك العطف بينها فصلا"[155] فالفصل هو ترك العطف بين الجمل لكن لا يعني القطع الكلي للدلالة والمعنى بين الجملتين بل تحقق المعنى المقصود من غير خلل ولا سوء.

ويؤكد الجرجاني على معرفة مواطن ترك الواو (الفصل) ومواطن ذكرها (الوصل)، ويرى أن من بين أسرار البلاغة القدرة على الإتيان بالجمل معطوفة بعضها على بعض أو منثورة بدون روابط لغوية والمعنى يبقى سلميا، وهذا من حسن الكلام، ويصف كل من الجرجاني والسكاكي هذه الظاهرة (الفصل والوصل) بالدقة والغموض، فيقول الجرجاني: "واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول إنه فيه خفي غامض. ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب..." [156]. فالجرجاني أدرك حقيقة هذه الظاهرة وقيمتها، فهي ليست مجرد ذكر حرف الربط أو حذفه بل لها أبعاد دلالية لا يدركها إلا ذو حكمة بليغ هذا المفهوم السكاكي بقوله: "واعلم أن تميز موضع العطف من غير موضعه في الجمل كنحو أن تذكر معطوفا بعضها في الجمل ومتروكا العطف بينها تارة أخرى هو الأصل في هذا الفن"[157] فالتمكن من فن البلاغة يكون بمعرفة استخدام حروف الربط كالعطف والجر، وكذا معرفة موضع عدم ذكرها مع المحافظة على استقامة المعنى، وهذا أمر يتطلب الدقة في التمييز بين الفصل والوصل.

وللتوضيح، يضرب الجرجاني مثلا لا يستقيم فيه العطف وهو قول أبي تمام الشاعر:

لا والذي هو عالم أن النوى ** صبر وأن أبا الحسين كريم

فهذا المثال لا يستقيم العطف فيه ولا يصح، إذ لا توجد مناسبة بين الكرم والمرارة، فذكر كرم الممدوح أبي الحس ين ومرارة النوى، فالجمع بينهما وتعلق أحدهما بالآخر، لا يجعل الكلام سليما ولا يؤدي إلى قوة المعنى، والجرجاني يرى أن أداة

154- ينظر: هامش: الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القويني، تح، ع، المنعم خفاجي، دار الجبل، بيروت، مكتبة القاهرة، ط3، مج، ج3، 1980، ص 187.

155- البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، ص 134.

156- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، 1980، ص 187.

157- مفتاح العلوم، السكاكي (يعقوب يوسف أبي بكر بن علي)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، ص 119.

العطف لا يمكن الاستغناء عنها في وصل الجمل، ويجب اختيار موضوعها المناسب، وقد فرق بين حروف الواو وباقي حروف العطف التي لها أهمية كبرى في ربط الجمل.

فالاستعمال الغالب لحرف الوصل "الواو" يتوسط الجمل مما يجعله رابطا دلاليا على وجه الحصر، وفي هذه الأحوال ينبغي أن يكون ترتيب القضية يوازي ضروب الترتيب الزمانية والعلية أو الشرطية[158].

فحرف "الواو" يربط بين الجمل ويفيد المشاركة والجمع بين قضيتين فالنص يحوي روابط متنوعة، إذ هناك علاقات داخل الجمل وهي " تقوم على ثلاثة أنواع من القرائن هي: تناوب علامات الإعراب المختلفة، واستعمال أدوات الربط، وعدم استعمال أدوات الربط، أما العلاقات بين الجمل فإنها تقتصر على الضربين الثاني والثالث من القرائن"[159] وهذا يعني أن في الجملة الواحدة مرفوعا ومنصوبا ومجرورا مع وجود حروف الربط كالواو، ثم الفاء وحروف الجر مثلا، وكذلك بالنسبة لما بين الجمل فقد تكون حروف الجر مثلا، وكذلك بالنسبة لما بين الجمل فقد تكون هذه الروابط متوفرة هو الوصل وقد تترك وهو الفصل.

وبنية الخطاب تتشكل من تفاعل النص مع السياق الخارجي ومنه يمكن استخراج بعض قواعد الربط التي تساهم في التماسك النصي. "والأدوات النحوية التي تستخدم في كتاب ة هذه البنية كثيرة، وبها يستطيع الكاتب الانتقال من بنية كبرى إلى بنية كبرى ثانية، وترابط مثل هاتيك الأبنية باستخدام تعبيرات ولكن... ومن أجل ذلك... وبناء على ذلك، يجعل النص، أو المقال كله شديد الانسجام أو الاتساق والترابط"[160]. فالانتقال من جملة إلى جملة يتطلب الربط بينهما وإلا اختل المعنى وكانت وغير متوالية، فالنص ليس بمجموعة من الجمل العشوائية بل يشترط فيها عنصر الربط، كما ينبغي أيضا الربط حين الانتقال من فقرة إلى فقرة، فتكون الأفكار مترابطة وتشترك في الموضوع فتشكل وحدة متكاملة متماسكة في الشكل والموضوع، وكل ذلك يكون باستعمال آليات وأدوات مختلفة وكذا تعابير متنوعة.

إذ هناك حروف تربط بين عناصر، نجد منها:

158- النص والسياق، فان دايك، تر: ع القادر قنيني، ص 282 .
159- أصول تحليل الخطاب، في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ج1،ط1، 2001، ص 542
160- في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص 226

"الواو: لمطلق الجمع.

لا: لنفي الحكم عما وراءها.

أو: للتقسيم والأباحة، والتخيير، والأبهام.

أم: تحمل معنى "أي" الاستفهامية، و"بل".

إما: تؤدي دلالة "أو" في الخبر، والشك، والإباحة، والتخيير.

بل: لتقرير نص الحكم.

الفاء: للتعقيب.

ثم: للامهل.

حتى: لبلوغ الغاية

لكن: لإثبات الضد"[161]

فكل بنية تركيبية تحتاج إلى مثل هذه الحروف وهذا لتحقيق التماسك والترابط لبلوغ الهدف المقصود، وبذلك تكون ظاهرة الفصل والوصل، ظاهرة لغوية ضرورية، فلا بد من معرفة كيفية إنشائها من قبل المنشئ وتلقيها من طرف المتلقي، بغية تحقيق التواصل بينهما، وتبليغ الرسالة المحمولة.

فقد عرفها الخطيب القزويني بقوله: "الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه"[162]. والعطف هنا إما بحرف "الواو" أو بأحد حروف العطف الأخرى، وهو –العطف– "من زخرف الكلام وليس من ضروراته كالتورية أو التغريض، وهو غالبا ما يعبر عن الإضافة"[163]، فمن حسن النسج والبناء حسن توظيف العطف، إذ به يتشكل النص بنمو عصره وتكثفها وذلك بذكر جملة أولى ثم إضافة جملة ثانية فثالثة إلى أن تتكون بنية موحدة منسجمة محققة لأغراض وغايات المنتج وتكون أكثر تحقيقا بتفاعل المتلقي ومشاركته في بناء نص ثان جديد بعد قيامه بعمليات التفسير والتحليل والتأويل.

"وعند النجاة حديث عن عطف الجملة مقابل قطع الجملة عن الجملة وابتداء الكلام واستئنافه، اعتمادا على البنية العمالية الصرف وعند علماء المعاني حديث عن الوصل بعطف الجملة مقابل الفصل بترك العطف" [164].

161- الأسلوبية، وثلاثية الدوائر البلاغية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط1، 2002، ص350.

162- نفسه، ص351.

163- مدخل في اللسانيات، صالح الكشو، الدار العربية للكتاب، 1985، تونس، ص88.

164- أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش، ج1، ص 529

فقد اهتم الباحثون والبلاغيون بهذه الظاهرة لأهميتها البالغة، وما تؤديه استمرارية الكلام وتوضيح للمعنى. وللربط دلالة في النص، فالربط اللغوي يحقق ترابط العناصر والربط الدلالي يعمل على تماسكها وترابطهما المعنوي، فالجمل إذا ذكر فيها حروف للربط جاءت متسلسلة وإذا تحقق الفصل بينهما بترك العطف جاءت أيضا متسلسلة ومترابطة بوجود عناصر دلالية تعمل على ربطها وجعلها مشاركة بعضها البعض، تخدم بعضها البعض.

" وتصنف روابط اللغة الطبيعية ولا سيما التشريكية في النحو التقليدي أصنافا أهمها:

أ- الوصل التشريكي.

ب- الفصل والتخيير البدلي.

جـ- المعارضة بالتقابل.

د- التعارض بالاستدراك.

هـ- الشرط.

و- العلة والسبب.

ز- الغاية.

ج- الظروف (الزمانية والمكانية والحالية) [(165)].

فعناصر النص تأتي مرتبطة بعضها ببعض بإحدى هذه الروابط، إذ أن معناها لا يتأتى إلا بهمس ارتباطها وضمنها وتسلسلها وهذا في سياق معين، والجرجاني كلما ذكر المفردات قصد بها التراكيب لأن الألفاظ إذا أخرجت من حيزها الذي وضعت فيه أخذت دلالات أخرى ويصبح موقعها المعجم، وفي نظره أن القول عند أي كلام هل هو مبين أو غير مبين يقوم على: "النظر في الجمل التي تسرد ليعرف موضع الفصل منها من موضع الوصل، ثم يعرف ما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء، وموضع الفاء من موضع ثم وموضع أو من موضع أم، وموضع لكن من موضع بل..." [(166)]. فالمنتج يكون على دراية بحسن اختيار مواضع حروف وأدوات الربط، لما ينتقي كل أداة في مكانها المناسب، فموضع الواو يختلف عن موضع الفاء ولكل دلالته الخاصة في سياقه الخاص.

165- النص والسياق، فان دايك، تر: ع. القادر قنيني، ص 84.

166- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 64-65.

كما توصل الجرجاني إلى أن الجمل ثلاثة أنواع:

1- "نوع تكون فيه علاقة الجملة الثانية بالأولى كعلاقة الصفة بالموصوف وهذا النوع لا يستحسن فيه العطف، لأن الشيء لا يعطف على نفسه.

2- ونوع حال الجملة الثانية فيه مع التي قبلها كحال الاسم يكون غير الاسم الذي قبله إلا أنه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى، مثلا: أن يكون الاسمين فاعلا او مفعولا، أو مضافا إليه فيكون حقها العطف.

3- ونوع ثالث، الجملة فيه ليست في شيء من الحالين، وحق هذا النوع ترك العطف البتة لأن العطف لا يكون إلا فيما له حالين بين الحالين"[167]

إذن فالعطف لا يكون جائزا في كل الحالات، فذكره أحيانا لا يحق وبالتالي يترك أفضل من ذكره، كما أن الجمل أنواع متعددة في النص، فهناك جمل لها محل من الأعراب وجمل لا محل لها من الأعراب، فيجب النظر في مثل هذه الجمل ويعرف حكمها من العطف ومتى تأتي موصولة بأدوات، ومتى يستحسن ترك العطف فيها

حكم المفردات والجمل التي لها محل من الإعراب:

"إذا أتت جملة بعد جملة فالأولى منها إما أن تكون لها محل من الإعراب أولا، وعلى الأول إن قصد التشريك بينها وبين الثانية في حكم الإعراب عطفت عليها، وهذا كعطف المفرد على المفرد، لان الجملة لا يكون لها محل من الأعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، فكما يشترط في كون العطف بالواو ونحوه مقبولا في المفرد أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة.

" وإن لم يقصد ذلك ترك عطفها"[168]

ويبقى الفصل والوصل ظاهرة لغوية تعبيرية يلجأ إليها المنشي سواء في المنطوق أو المكتوب ولكي ينتج وحدة متماسكة متسقة منسجمة لغويا ودلاليا.

أما حكم الجمل التي لا محل لها من الإعراب فهو:

"أن قصد بيان ارتباط الثانية بالأولى على معنى بعض حروف العطف سوى الواو عطفت عليها بذلك الحرف وان لم يقصد ذلك:

167- في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، 225.

168- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، مج، ط3، ص 98-101.

1- فإن كان للأولى حكم ولم يقصد إعطاؤه الثانية تعين الفصل كقوله تعالى: (وإذا خلوا على شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون، الله يستهزئ بهم) سورة البقرة -الآية - . لم يعطف.

2- وإن لم يكن للأولى حكم: فإن كان بين الجملتين كمال الانقطاع وليس في الفصل إيهام خلاف المقصود عن الأولى أو بمنزلة المتصلة بها فذلك يتعين الفصل"[169]

.

و"يتم الربط بالوصل الإضافي بواسطة الأداتين "و"، "أو" وتتدرج ضمنه علاقات أخرى مثل: التماثل الدلالي ويكون بتعبير من نوع: "بالمثل" وعلاقة الشرح مثل: اعني بتعبير آخر...، أما الوصل العكسي فهو يعني على عكس ما هو متوقع والوصل السببي فتتدرج ضمنه علاقات خاصة: كالنتيجة والسبب والشرط... ويحدد الوصل الزمني كآخر نوع من أنواع الوصل وهو علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنيا"[170]

فالنص يحتوي على أنواع مختلفة من التعابير، ليتمكن المنتج من تبليغ ما يريده، ويستطيع المتلقي بذلك الفهم ويتحقق التواصل، فالوصل والفصل يجعل المتواليات مترابطة متماسكة ويمكن أن يعد الوصل علاقة اتساق أساسية في النص"[171]. فكل منها يساهم في انسجام النص والمتلقي يثبت ويبينه بتأويله له فيجعله أبين وأوضح.

ولأهمية هذه الظاهرة -الفصل والوصل- وما ينتج عنهما من ربط عناصر النص، فإن دي بوجرانة يري أن للربط أربعة أنواع:

- يربط مطلق الجمع conjunction صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهين
- يربط التخيير: وبجمع صورتين أو أكثر على وجه التخيير (أداته: أو).
- ربط الاستدراك. contrajuction
- ربط التفريع: subordination "[172]

169- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، ص 102-104.
170- أنظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 23.
171- نفسه، ص 24.
172- النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص 346.

ومن هذا التقسيم للربط عند دي بوجراند يتضح أن له دورا كبيرا في تماسك النص واتساقه، فهو أكثر أثراء للنص والتعبير اللغوي السليم، وقد حظيت هذه الظاهرة بدراسات متعددة من قبل الباحثين، ويمكن التدقيق بذكر مواضع الفصل والوصل.

مواضع الفصل:

1-"أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وهو كمال الاتصال:

- أن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى.
- أن تكون الجملة الثانية بدلا من الأولى
- أن تكون الجملة الثانية بيانا للأولى.

2- إذا كان بين الجملتين تباين تام وذلك بأن تختلفا خبرا وإنشاء أو بألا تكون بينهما مناسبة ما وهذا هو كمال الانقطاع.

3-إذا كانت الجملة الثانية جواب عن سؤال يدرك من الجملة الثانية، عندئذ تنزل منزلته، وهذا شبه كمال الاتصال أو ما يسمونه بـــ "الاستئناف" (173)

فمن مواضع الفصل الواردة في الرسالة الهزلية لا بن زيدون نجد قوله: "أيها المصاب بعقله المورط بجهله، البين سقطه، الفاحش غلطه" (174).

إذ نجد الجملة الثانية والثالثة والرابعة مترابطة فيما بينها مع الأولى دون وجود رابط لغوي بينها، فالجملة الثانية هي بيان للأولى ذلك أن الجهل يرتبط بالعقل، وبذلك جاءت الجمل مترابطة ومتسلسلة ومتحدة فيما بينها وهذا ما يمثل الفصل.

وأيضا ما جاء في قوله: "هجين القذال، أرعن السبال، طويل العنق والعلاوة، مفرط الحمق والغباوة" (175).

فقد جاءت الجمل متوالية بدون توظيف أدوات الربط اللغوية بينها، فهناك تباين بين الجملة الأولى والثانية، فالأولى تحمل دلالة فساد النسب والثانية تحمل معنى الحمق، أما الجملة الثالثة فقد جاءت بعدها الجملة الرابعة كبيان لها وتبيان درجة الحمق والغباوة، فظاهرة الفصل واضحة في هذه الجمل، كما انه أبين وأوضح من توظيف الأدوات والروابط.

173- أنظر هامش: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ع القادر عبد الجليل، ص 352-353.
174- سلسلة الروائع، بن زيدون، الرسالتان ومقطعات شتى، فوائد أفرام البستاني، ص1
175- نفسه، ص 10

وهذه المواضع التي يحق فيه ترك العطف فيكون "الفصل" أولى، إذ يجب على المنتج أو المبدع أن يعرفها ويطبقها في منتجه، أما بالنسبة لمواضع الوصل فتختلف عن هذه وسيتم ذكرها.

مواضع الوصل:

يجب الوصل بين جملتين في مواضع ثلاثة هي:

1- "إذا اتحدت الجملتان خبرا، وإنشاء دون وجود ما يقتضي الفصل بينهما، مع وجود مناسبة تامة.

2- إذا اختلفت الجملتان خبرا وإنشاء أي إحداهما خبرية والأخرى إنشائية، وكان الفصل وهم خلاف المقصود وهذا كمال الانقطاع مع الإبهام.

3- إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد المنشئ إشراك الثانية في هذا المحل الأعرابي" [(176)] .

وقد وظف الشاعر بن زيدون الوصل بكثرة في رسالته الهزلية، منها قوله: "قاطعه أنك انفردت بالجمال، واستأثرت بالكمال" [(177)]. فالجملتان موصولتان بحرف العطف "الواو"، مع وجود مناسبة تامة بينهما، فالجمال من كمال الخلق، وهذا ما أدى إلى ضرورة الوصل بينهما.

وكذلك قول الشاعر في موضع آخر من الرسالة: "قرعت عصا العتاب، وحذرت سوء العقاب" [(178)]. فهنا أيضا وظف الشاعر حرف "الواو" للوصل بين الجملتين والربط بينهما ضمان الاستمرارية لنصبه، فقصد إشراك الجملة الثانية للجملة الأولى في محلها الأعرابي فهما مشتركتان في المعنى والدلالة، فحق الوصل من الفصل.

ويبقى الوصل مهما في ربط أجزاء النص، ولم شتاته، مع حسن اختيار موضعه المناسب.

فالجهود المبذولة للبحث في هذه الظاهرة –الفصل والوصل- تتصف بالبحث المنظم الدقيق، مرافقا بالتصنيف والتحديد والتعليل والنتائج المتوصل إليها تثبت ذلك.

---

[176]- السابق، ص 353.

[177]- سلسلة الروائع، بن زيدون، الرسالتان ومقطعات شتى، فؤاد أفرام البستاني، ص2

[178]- نفسه، ص 17.

وتبقى العلاقة في الفصل والوصل علاقة نسبة وتناسب تقوم على التوازن، والتكثيف، والطرد والعكس، بحيث إذا كانت الدلالة تسير باتجاه عكسي مع المتلقي يجب الفصل إذا كان التركيب موصولا، أو يجب الوصل إذا كان التركيب مفصولا (179).

وبهذا يكون "الفصل والوصل" من بين الآليات التي تؤدي إلى تماسك النص وترابطه، فلا يمكن الاستغناء عنها بل يعمل المنتج المبدع على معرفة هذه الظاهرة أكثر وكيفية استخدامها والتمكن منها لمواجهة كل أصناف المتلقين، وإبلاغهم بمقاصده وأهدافه وذلك يكون بترابط العناصر اللاحق منها مع السابق في شكل منظم منسق منسجم.

ثانيا: المنظور البنيوي

1- الإحالة: REFERENCE

1-1 مفهوم الإحالة:

يستعمل الباحثان (هاليدي ورقية) مصطلح الإحالة استعمالا خاصا، وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة (180)

كما تجدر الإشارة إلى أن مصطلح الإحالة يقابله مصطلحان للدلالة عن الإحالة أو المرجعية.

ومن التعاريف المطروحة نذكر تعريف كيتاي Kittay الذي يستعمل مصطلح Anaphors فيقول: "تطلق تسمية العناصر الإحالية (anaphors) على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر وهي لذلك تتميز بالإحالة على المدى البعيد Gross- reference (181)

179- الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ع القادر عبد الجليل، ص 354

180- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 16-17.

181- نسيج النص، الأزهر الزناد، ص 118.

في حال الإحالة هو النص، وهي تجعل عناصره متماسكة وتلازم بعضها البعض، وتدل عناصر مذكورة في النص وفق سياق ما، و"تعتبر الإحالة علاقة دلالية، ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيد دلالي، وهو وجود تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه" (182)

فهي تعمل على التماسك الدلالي، فالكلمة في الجملة تحيل على معنى معين وهذا بتوفر سياق تداولي خاص، إذ يقول "لاينز" في سياق حديثه عن المفهوم الدلالي التقليدي للإحالة "أن العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة فالأسماء تحيل إلى المسميات" (183). بمعنى أن الاسم لا يعني ذاته وبأحرفه المكونة له الشيء المادي الموجود في الواقع، بل تحيل إليه فقط بالمعنى فقط، وهذا مخا درس كثيرا في اللغة.

ومؤخرا يعود "لاينز" ليقول: "إن المتكلم هو الذي يحيل (باستعماله لتعبير مناسب)، أي أن يحمل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية إحالة" (184)

إذن المتكلم يبحث عن الطريق المناسب لتبليغ ما يريده، يلجأ إلى توظيف تعبير إحالي لإعطاء دلالة قوية، والمتلقي يستنبط ذلك من النص، والمتكلم هو الذي يصدر أوامر مختلفة.

كما تساهم الإحالة في اتساق النص فهي تربط النص بالعالم الذهني والعالم الخارجي الذي يشكل مرجعيته، وهي "فعل تداولي تعاوني متكلم ومخاطب في بنية تواصلية معينة" (185)

وكما هو معروف أن النص يساهم في تشكيله السياق التداولي الذي ورد فيه، فالمتكلم يتوصل مع المخاطب، ولكي يوصل إليه قصده بالتعبير الواضح يستعمل عناصر إحالية تدل على ما هو في الواقع وهذا بعبارات مختلفة وآليات متنوعة.

وتعني ايضا الاحالة "reference" العلاقة بين العبارات والأشياء obgect والأحداث events والمواقف situation في العالم الذي يدل عليه بالعبارات" (186). فالاحالة هي إنشاء علاقة بين المحيل والمحال إليه مع تطابقهما وعدم اختلافهما، وهي

182- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 17.
183- تحليل الخطاب، ج.ب، براون، ويول، ص 36.
184- نفسه، ص 36.
185- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص)، أحمد المتوكل، ص 137.
186- النص والخطاب والأجراء، تمام حسان، ص 302.

تتحقق بتوفر النص، وتتم بوسائل متنوعة إذ تعمل على إنشاء. وحدة متسقة منسجمة قابلة للتحليل والتأويل.

وحسب الباحثين (هاليدي ورقية) فإن العناصر التي تملك خاصية الإحالة هي: "الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة" [187]. فهذه العناصر من وسائل التماسك الاحالية. فمثلا التشبيه وأنواعه، وبعض الكلمات مثل: أكثر، أكبر، وأقل...إلخ والضمائر مثل: أنا، أنت، نحن... إلخ كلها تستخدم وتوظف في النص وهي أدوات يقصد بها التعبير عن أشياء والاحالية إليها فتستعمل على المتلقي الفهم وتساعده في تفسير باقي العناصر الواردة في النص.

والضمائر تنقسم إلى: "وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن...إلخ وغلى ضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابنا...إلخ[188]. ولا يمكن إنكار الدور الذي تؤديه هذه الضمائر في اتساق النص وانسجامه.

أما الوسيلة الثانية من وسائل الانسجام في نوع الإحالة هي أسماء الإشارة، ويذهب الباحثان إلى أن هناك عدة إمكانيات لتصنيفها: "إما حسب الظرفية: الزمان (الآن، غدا...) والمكان (هنا، هناك...)، أو الانتقاء (هذا، هؤلاء...) أو حسب البعد (ذاك، تلك...) والقرب (هذه، هذا)" [189].

فأسماء الإشارة تفتح المجال واسعا للتحليل والتأويل أمام المتلقي ويعينه في ذلك معرفته للظروف الاجتماعية والنفسية التي وضع فيها النص، لأن أسماء الإشارة تحليل إلى دلالات معينة والقارئ من خلال معرفته بالسياق الخاص التداولي يستطيع معرفة ما تحيل إليه سواء داخل النص أو خارجه، باعتبار المجتمع له دور في إنشاء النص.

والنوع الثالث وهو المقارنة: "فتنقسم إلى عامة يتفرع منها التطابق والتشابه والاختلاف، وإلى خاصة تفرع إلى كمية وكيفية"[190].

فكل هذه العناصر والأدوات تحمل في طياتها تعبيرات إحالية تسهم في جعل النص منسجما، والإحالة في حد ذاتها تقسم إلى أنواع:

1-2- أنواع الإحالة:

187- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 17.
188- السابق، ص 18
189- نفسه، ص 19
190- لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام الخطاب، محمد خطابي، ص19

تنقسم الاحالة حسب العلاقة الاحالية إلى نوعين كما حددها الباحثان هاليدي halliday ورقية حسن R. hasan وهما: "الإحالة المقامية والإحالة النصية وهي بدورها –الاحالة النصية– تحيل إلى السابق أو اللاحق"[191].

وقد وضع الباحثان هذا الرسم يوضح هذا التقسيم:

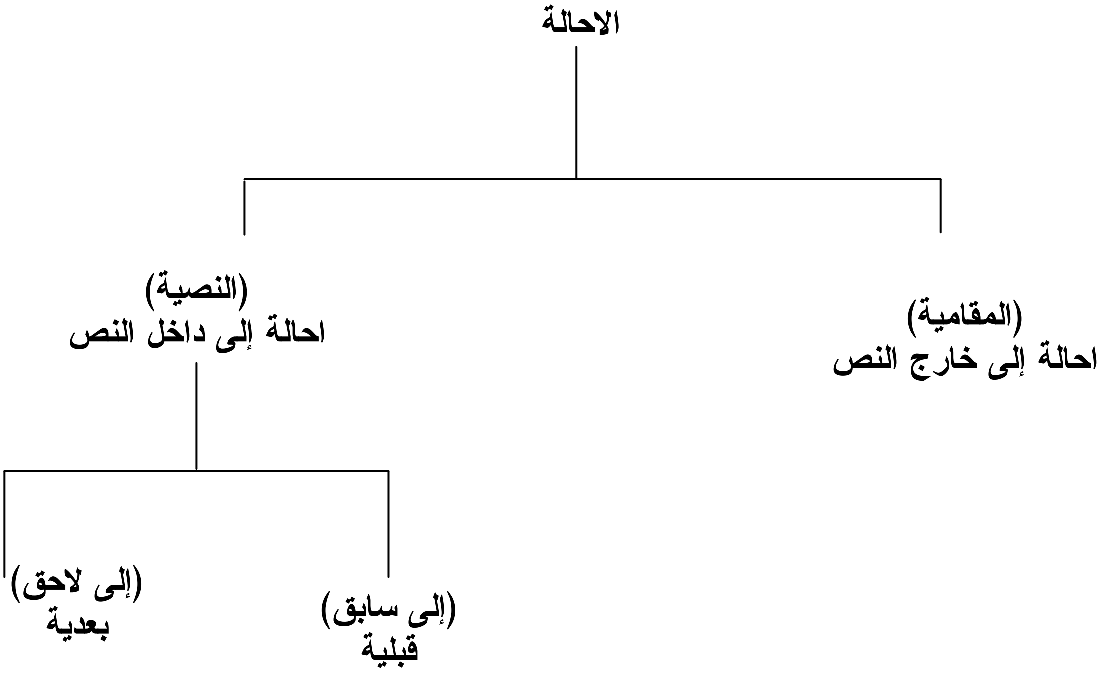

فالإحالة نوعان رئيسيان: مقامية ونصية، وهذه الأخيرة بدورها تنقسم إلى قبلية وبعدية.

والإحالة المقامية ترتبط بالسياق الخارجي للنص، فهو يعين على معرفة الشيء المحال إليه، وبذلك يكشف الغموض ويكشف الحجب عما هو خفي ليجعله بارزا موضحا، كما انها تعتني" إحالة عنصر غير لغوي إحالي على عنصر اشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كان يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم حتى يرتبط عنصر لغوي بعنصر غير لغوي هو ذات المتكلم ويمكن ان يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته في تفاصيل أو مجملا، ويمثل نائبا أو مرجعا موجودا. مسؤولا بنفسه فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلم"[192].

---

191 -SEE : cohesion in english ; halliday and R. hasan, p33

192- نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد ، ص119.

ففي النص عناصر متنوعة منها ما يوحي إلى خارجه: تكشف بواسطته الوسائل التي ذكرت سابقا، وتعد مرجعا يرجع إليه أو عائدا يعود غليه المتلقي لتمكنه من التأويل والفهم الصحيح.

والإحالة إلى الخارج هي: "ما تقوم به الجملة في مقام معين واستنادا إلى استعمال معين، وهي ايضا ما يقوم به المتكلم، حين يصل كلماته بالواقع، وكون المرء يشير إلى شيء ما في وقت ما هو واقعه، أو حدث كلامي"[193].

فهذه الإحالة هي إحالة خارج اللغة exophora وتعني الإشارة إلى شيء لم يذكر في النص وهذا بواسطة أدوات كضمير يعود على شخص ما لكن بفضل السياق يتضح المعنى وتتضح الدلالة وهذا لا يكون لدى كل متلقي وقارئ، بل القارئ الصانع للنص الذي يتفاعل معه فيحلل ويفكك ويفسر كما أنه يؤول يستطيع مشاركة المنتج في إنتاج النص، فهو ذو كفاءة عالية للقراءة والفهم، كما يذكر دي بوجران فيما يخص الإحالة المقامية ويطلق عليه "الإضمار لمرجع متصيد أو الإحالة لغير مذكور"[194].

فوجود عنصر خارج النص إلا أن المنتج وضع محيلا يحيل إليه، وهذا يجعل النص مرتبطا بسياقه التداولي، وعناصره المكونة له تكون متماسكة بالإحالة.

ويذهب "هاليدي ورقة" إلى أن الإحالة المقامية "تساهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر"[195]. وهذا راجع إلى ان معظم المحللين يركزون على النص في حد ذاته في التحليل اللساني الحديث.

أما النوع الثاني وهو الإحالة النصية أو داخل النص ويطلق عليها إحالة اللغة endophora فهي تعني "العلاقات الاحالية داخل النص سواء أكان بالإحالة إلى ما تسبق أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي (يلحق) داخل النص"[196].

ففي النص عناصر تحيل على عناصر أخرى سواء كانت سابقة لها أو لاحقة لها، وهذا ما يجعل جمل النص متسلسلة ومتوالية مع تماسكها وترابطها بهذه الوسائل، فالقارئ للنص يفهم أن هناك عناصر تعود وتحيل على أشياء في النص ذاته وداخله فيلجأ إلى الربط بينها فيتجاوز بذلك المعنى السطحي وصولا إلى المعنى العميق.

193- نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، تر: سعيد الغانمي، ص50.

194- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، تر: تمام حسن، ص 301

195- نقلا عن: cohesionh in english ; halliday and hasan, p37

196 -interpreting anaphora in natural langage tesctes david carter, england, 1987, p119.

كما أن الاحالة النصية تنقسم بدورها إلى قسمين هما:

- **الإحالة القبلية (السابقة) anaphora**: وهي "استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة سابقة في النص"[197].

وهذا كأن ترد كلمة في جملة تحيل إلى كلمة قد سبقتها في النص، وأن القارئ قد مر عليها ليصل إلى الكلمة المحلية، وهذه الأخيرة تعود على "المحال عليه" وهي المفسر "antecedent".

يأتي بعدها العنصر المحيل الذي عوض مكان المفسر، وهذا ما نسميه بالإحالة بالعودة وللتوضيح نذكر مثالا من الرسالة، فمن الإحالة القبلية نجد قول الشاعر: "إن المروءة لفظ أنت معناه"[198]. فنجد أن والشاعر وظف لفظ (المروءة) ثم أشار إليه بضمير يعود عليه وهو الهاء في (معناه) فالضمير المتصل (الهاء) عبارة عن محيل يحيل على (المروءة) وهو المحال عليه أي المفسر الذي ما بعده.

وأيضا قوله: "حتى خيلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه"[199]. فالضمير المتصل (الهاء) في (منه) يحيل على عنصر سابق مذكور هو (يوسف) فكان هذا الأخير عنصرا سابقا مفسرا لعنصر لاحق هو المحيل. وهذا ما يجعل عناصر النص أكثر تماسكا والتحاما، وتشتمل الإحالة بالعودة على نوع آخر، ألا وهو الإحالة التكرارية epanaphora وهو: "تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ"[200]. ويعد التكرار عند الجرجاني من "معاني النحو التي تبث في النظم (الكلام) الانسجام والاتساق والتناسق"[201]. فله دور في جعل النص متماسكا ومترابطا وله دلالة كبرى حين استعماله إلا أن الإحالة بالعودة تبقى أكثر استعمالا في اللغة والكلام.

- **الإحالة البعدية: (اللاحقة) cataphora**: وهي "تستعمل كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة تستعمل لاحقا في النص"[202].

بمعنى أن القارئ حيث يجد كلمة مثلا لا يمكن أن تحيل على سابق يفهم من وراء ذلك أنها قد تحيل إلى كلمة ستأتي بعدها في النص، لذلك القراءة السليمة والصحيحة تكون

197- السابق، ص 31-32

198- سلسلة الر وائع، بن زيدون، الرسالتان ومقطعات في شتى، فؤاد أفرام البستاني، ص2.

199- نفسه.

200- نسيج النص، الأزهر الزناد، ص 118.

201- في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص 231.

202- dictionary of applied linguistics, jack richard, longman, 1 st ed, 1985, p 36.

بالتركيز والتفحص فهي شرط للفهم الصحيح، فقد نجد ضميرا متصلا وهو يحيل إلى ما بعده من الكلام، وهذا ما يساهم في ترابط أجزاء النص، وجعلها كلا موحدا.

ومثال ذلك ما جاء في الرسالة من قول الشاعر: "هم الكواكب علوّ هممٍ"[203]. إذ نجد الضمير المنفصل (هم) ذكر سابقا ثم لحقه لفظ (الكواكب)، فـــ(هم) هو المحيل على الكواكب باعتبارها محالا عليه. وهذه هي الإحالة البعدية التي تعطي النص انسجامه.

وقوله: "على أنها الأيام قد صرن كلها"[204]. فنجد الهاء في (أنها)ضمير متصلا يحيل على محال عليه هو (الأيام) جاء بعدها، وهذا ما ساهم في ربط أجزاء الرسالة وجعلها متماسكة بحيث تنتج في النهاية شكلا موحدا منسجما.

فالإحالة داخل النص تعمل بشكل كبير على اتساق النص، وتعتبر معيارا أساسيا في اللغة لأنها تربط بما في داخل النص.

ويمكن الخلوص إلى أن الإحالة تعد من الوسائل المعينة على تحسين الكلام، فهي تجنب النص تشتته بجمع شتاته وضم أجزائه، كما أنها "أداة كثيرة الشيوع والتداول في الربط بين الجمل والعبارات، التي تتألف منها النصوص"[205].

ونصية النص لا تتحقق إلا بالربط والتماسك، وهذا ما تؤديه الإحالة.

2- الاستبدال:

إن شان الاستبدال هو شأن الإحالة، فهو علاقة اتساق إلا أنهما يختلفان في كون الإحالة علاقة دلالية أما الاستبدال فهو علاقة نحوية وهو "تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"[206]. كما انه يمكن "استبدال عبارة بعبارة أخرى داخل النص"[207]. فالاستبدال أن تنزع عنصر سواء مفردة أو جملة وتعوض مكانه عنصرا آخر، كما أن الإحالة تكون قبلية أو بعدية، أما الاستبدال ففي معظم الحالات وحسب الباحثين (هاليدي ورقية) فإنه يقوم على علاقة نصية قبلية، فهو وسيلة أساسية في اتساق النص، فقد تستبدل كلمة سابقة بكلمة أخرى لاحقة في النص، وهذه الظاهرة تحدث داخل النص، فهو عملية نصية.

203- سلسلة الروائع، بن زيدون، الرسالتان ومقطعات شتى، فؤاد أفرام البستاني، ص 14
204- نفسه، ص9.
205- في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص 227.
206- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص19
207- تحليل الخطاب، ج.ب. براون، وبول، ص 240

"والاستبدال صورة من صور التماسك النصي التي تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات وعبارات"[208]. كأن تأخذ كلمة أو مفردة من المعجم وتستبدلها بأخرى، وهذا يحقق التماسك والترابط في النص، ويضمن الاستمرارية له. والعلاقة الاستبدالية "لا تقوم على التطابق وإنما على التقابل والاختلاف الذي ينتج عنه الأستبعاد"[209]. ومعنى هذا أن المستبدل لا يطابق المستبدل منه في جميع خصائصه وصفاته، بل يحتفظ فقط ببعض الجزئيات وبذلك استبعد عن بعض خصائصه، وهذا ما يجعل المتلقي يقيم علاقة بين المستبدل والمستبدل منه، ويكون النص مترابطا متسلسلا من بدايته إلى نهايته، وتظهر قيمة الاستبدال في إنشاء نص متماسك منسجم.

وهو أيضا وسيلة هامة لإنشاء الرابطة بين الجمل وشرطه أن يتم استبدال وحدة لغوية بشكل آخر يشترك معها في الدلالة، حيث ينبغي أن يدل كلا الشكلين اللغويين مع الشيء غير اللغوي في نفسه"[210]. فطرفا الاستبدال: المستبدل والمستبدل منه لا بد وان يشتركا في الدلالة ويقتربا في المعنى وبذلك تكون بينهما علاقة فينشأ الربط فلا يتحقق الربط إلا بتوفير الشرط المذكور وهذا في النص. باعتباره المنتوج الأدبي والعمل الذي يتم بناؤه.

وقد تم تقسيم الاستبدال إلى أنواع، وهذا حسب نوع المستبدل والمستبدل منه.

208- دراسة لغوية لصور التماسك النصي، مصطفى قطب، ص173

209- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 21

210- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص 124

أنواع الاستبدال: ينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع:

1- **استبدال اسمي: nominal substitution:** ويتم باستخدام باستخدام عناصر لغوية اسمية مثل (آخر، آخرون، نفس).

2- **استبدال فعلي: verocal substitution:** ويمثله استخدام لفعل (يفعل).

3- **استبدال قولي:clausal substitution:** باستخدام (**ذلك، لا**) [(211)].

فالاستبدال قد يكون باستعمال اسم مكان اسم آخر أو فعل مقابل فعل، أو عبارة محل عبارة أخرى، وهذا يتحقق في النص لا غير.

وللتوضيح نأخذ بعض النماذج المذكورة في رسالة بن زيدون الهزلية: فمن الاستبدال الاسمي نجد قوله: "ومعرفة المرء نفسه أصوب"[(212)]. فهنا ذكر لفظ (نفس) وهو من العناصر المساهمة في ربط عناصر النص، وكذا قول الشاعر: "قد تهيأت للتهنئة، وترشحت للترقية"[(213)]. فهنا استبدال اسمي، بحيث استبدل لفظ (التهنئة) بلفظ آخر هو (الترفئة) وهذا الأخير يعني التهنئة للزواج ومنه الرفاء وهو الالتحام والاتفاق، فاللفظين من مستبدل ومستبدل منه يشتركان في الدلالة وهذا ما يضمن الاستمرارية للنص ويعطيه شكلا منسجما.

أما الاستبدال الفعلي فنجد قوله: "أن قارون أصاب بعض ما كنزت، والنطق عثر على فضل ما ركزت"[(214)]. فقد استبدل الشاعر الفعل (أصاب) بفعل آخر هو (عثر) ودلالة الفعلين متقاربة، فكلاهما يدل على إيجاد الشيء، فهذا التقارب يمنح النص ترابط دلاليا مع تنويع الألفاظ التي تصب في اتجاه واحد.

ومن الاستبدال القولي نجد: "رجاء الاكتئاب فيهم، وطعما في الاعتداء منهم"[(215)]. فقد تم استبدال جملة بجملة أخرى، فالأولى هي المستبدل والثانية هي المستبدل منه، وتشترك الجملتان في المعنى والدلالة، فالاكتئاب يؤدي إلى اعتداد الفرد من الجماعة وبذلك تم الربط بين الجملتين.

---

[211]- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص 123-124.
[212]- سلسلة روائع، بن زيدون، الرسالتان ومقطعات شتى، فؤاد أفرام البستاني، ص1.
[213]- نفسه ، ص12.
[214]- نفسه، ص 3.
[215]- نفسه، ص15.

وبهذا يتجلى أن الاستبدال يلعب دورا فعالا في منح النص شكله المتسق، وبه تبقى عناصره متصلة مترابطة فيما بينها ترابطا شديدا بحيث تؤدي الغرض المقصود، إذ لا يمكن إغفال مثل هذه الظاهرة أثناء التحليل والتفسير والتأويل.

3- الحذف:

لا يختلف الحذف عن العلاقتين السابقتين –الإحالة والاستبدال- باعتباره "علاقة اتساق من جهة ثم بكونه أيضا بتحقيق بوجود عنصرين اثنين –سابق ولاحق- ولكن المظهر البارز الذي يميزه عنهما هو أن الإحالة والاستبدال يشكلان –بوجود عنصريهما- علاقة حضور، بينهما يشكل الحذف بإلغاء أحد عنصريه –علاقة حضور وغياب في آن واحد؟ حضور المبدل منه، وغياب المبدل، ولذلك يميل بعض الباحثين إلى تسميته "استبدالا بالصفر"[(216)].

ويدور المعنى اللغوي لمادة "ح.ذ.ف" حول القطع من الطريق خاصة، والطرح والإسقاط"[(217)].

واصطلاحا هو: "اسقاط بعض الكلام أو كله لدليل"[(218)]. فالحذف أن تحذف عنصر ما في الجملة أو الفقرة مع الحفاظ على استقامة المعنى أو عدم حدوث خلل في النص.

وقد ذكرنا كريستال معناه الاصطلاحي في موسوعته ومعجمه تحت مصطلح "ellipsis" وهو "حذف جزء من الجملة الثانية، ودل عليه دليل في الجملة الأولى"[(219)].

فالمتكلم يلجأ إلى حذف بعض عناصر كلامه للاختصار، وعدم الإطالة فيه، غير أنه لا يبالغ في ذلك فيصبح مخلا للمعنى، ويقول عبد الطاهر الجرجاني في الحذف انه: "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما يكون بيانيا إذا لم تبن"[(220)]. فأحياننا يكون الحذف أبلغ وأبين للكلام، وربما ذكر ما ينبغي حذفه يزيد في تعقيد الكلام.

ويبقى المتلقي يحاول تحديد المعنى في صعوبة، وقد يعجز عن البلوغ إلى مراده.

216- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 21.
217- لسانيات العرب، ابن منظور، مادة "ج ذ ف"، ص 102.
218- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1988، ص 102.
219- علم اللغة النصي، (بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على أسدر المكية)، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000، ص 191.
220- دلائل الاعجاز، ع. القاهر الجرجاني، تح: عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، 1980، ص 170.

واللغة العربية كغيرها من اللغات الأخرى، تجيز بدورها حذف بعض عناصر التركيب "وذلك لا يتم إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة كافيا في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية (أو لفظية) أو مقالية تومىء إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره"[221].

والمعنى المستخلص من التركيب يحوي معنى العناصر المذكورة والعناصر المحذوفة وذلك بوجود دليل يدل عليها، وبهذا يكون المعنى أوسع وأوضح وأبين.

وقد درس العرب القدامى ظاهرة الحذف "ونعتوها بمصطلحين هما: الحذف والإضمار، ووقع استعمال كل منهما معاقبا للآخر، بحيث يبدو للناظر أن لهما دلالة واحدة ... والتفريق بين استعمالهما في أحيان قليلة، فالنحاة مثلا لا يفرقون بين الإضمار والحذف حين يقولون: إن الفاعل يضمر ولا يحذف، وذلك حيثما أمكن تقديره بضمير مستتر"[222].

وهذا الاختلاط في الاستعمال يعود إلى تقارب معنى ودلالة المصطلحين فيصعب على الباحث التفريق بينهما واستخدامهما بدقة.

كما يحدد كل من هاليدي ورقية الحذف بأنه: "علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية"[223]. فهو ظاهرة نصية ويتم حذف العنصر مع الإتيان بدليل يدل عليه لاحقا في النص، بحيث يبقى الشكل متسقا ومنتظما.

ونظر لميل اللغات إلى الحذف أصبح "ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية، حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو إلى حذف ما قد يمكن السامع فهمه اعتمادا على القرائن المصاحبة" [224]. فهذه الظاهرة يلجأ إليها كل متكلم، تجنبا للتكرار الممل أو كذا نتيجة السياق اللغوي الذي يتضح به المعنى دونما حاجة إلى ذكر المحذوف، إلا أنه يبقى على قرائن تعين القارئ على كشف خبايا النص وفهم معانيه، وهذه القرائن تعد دليلا تيسر السبل للمتلقي وتهديه إلى الفهم السوي، وبذلك تكون عناصر النص متضامة متماسكة ومترابطة

221- بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ص 208.

222- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية، د.ت، ص 19.

223 -cohesion englishe, halliday and hasan, p144

224- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، ص 6.

"والحذف deletion أو ellipsis عند بعضهم من قواعد التماسك النحوي التي أشار إليها وتناولها بالتوضيح والتمثيل، كل من فان دايك ورقية حسن وآخرون... وهو لا يقتصر عندهما على كلمة أو مفردة أو مركب إسمي (مبتدأ) وإنما يكون حذف جملة كاملة فيؤدي حذفها إلى ربط أجزاء من الخبر، وجعل الجمل المتعددة كالجملة الواحدة لا تستطيع التفريق بين أجزائها أو أن تميز أحداهما عن الآخر"[225].

والملاحظ أن هناك مصطلحات تقابله، ولأهميته البالغة ودوره في التماسك النصي تطرق إليه العديد من الباحثين، كما انه لا يكون في جملة واحدة، إذ لا بد من أكثر من جملة وقد تحذف جملة بأكملها وتبقى الجمل الأخرى متماسكة والمحذوف يدل عليه بدليل ظاهر، وعلى القارئ تمييزه ومعرفته وبذلك يكون في حالة مشاركة للمنتج إذ أن أساس الحذف هو "اعتماد المتكلم على التلميح لا على التصريح"[226].

ذلك أن المتكلم لا يصرح بكل كلامه ولا يذكر جميع العناصر بل يحذف ما أن حذف استقام به الكلام، وإلا عد من الحشو، فهو أقرب للدلالة على المراد تبليغه، وذلك ما يجعل القارئ متفاعلا مع النص ويعينه على التحليل والتأويل.

وقد أدرك السيوطي أن الحذف يحقق التماسك بين عناصر النص وقد أطلق عليه مصطلح "الاحتباك" وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول"[227].

والإحتباك يدل على حسن الصياغة، وقوة النسج والبناء، فالحذف يعمل على تماسك النص، والمتكلم يحسن كيفية اختيار مواضع الحذف ودعم ظهور الخلل، بحيث القارئ الماهر يدرك ذلك، فيحاول ملء الفراغ وسد الفجوة بالعنصر المناسب حسب تقديره.

كما انه يسعى إلى استنباط المعنى بتجاوز البنية السطحية إلى البنية العميقة، ويقوم بالتحليل واستخراج المحذوف بإتباع الدليل المرشد له ومدى إحالته، والمعلوم أن المحذوف لا يحل محله عنصر آخر، ويقول بوجراند عن الحذف أنه: "استبعاد العبارات السطحية بمحتواها المفهومي أن تقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة"

225- في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص 234.
226- نفسه، ص 233.
227- الإتقان في علوم القرآن، الحافظ جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص 183.

فالمعنى لا يستخلص من البناء السطحي الخطي للعبارات، بل يستخدم الذهن للتأويل والخروج من المعنى الضيق إلى الواسع الواضح.

وبهذا يتضح جليا أن للحذف دورا كبيرا في التماسك النصي فهو علاقة اتساق، ويتحقق بعنصرين سابق ولاحق، و"دور الحذف في الاتساق ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة"[228]. وهذا ما أكسبه المساهمة في قوة الربط، بحيث تبقى الجمل متماسكة ومتوالية، وبهما يكون النص موحدا ومتسقا.

والتماسك يتحقق بعدة جوانب:

1- تكرار اللفظ نفسه بعد إعادة المحذوف.

2- المرجعية المتحققة بين الشطرين.

3- وجود دليل على المحذوف[229].

فالتكرار لأن المحذوف من لفظ المذكور إما المرجعية فتكون سابقة أو لاحقة وقد تكون خارجية تستخلص من السياق التداولي و"إذا كانت بين المحذوف والمذكور فهي داخلية لاحقة catapharic، أما إذا كانت بين المذكور والمحذوف على الترتيب فإنها داخلية سابقة، أو لنقل أنها مرجعية داخلية متبادلة"[230].

أما بالنسبة لوجود الدليل فهو أمر بالغ الأهمية فالقارئ يعتمد على ما ذكر سابقا ليتمكن من ملء الفراغ بما هو مناسب وما هو ممثل للحذف.

وقد تحدث الزركشي عن الحذف وذكر أن: "من شروط الحذف أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف، إما من لفظه أو من سياقه، وإلا لم يتمكن من معرفته، فيصير اللفظ مخلا بالفهم... ومعنى قولهم: لا بد أن يكون فيما أبقى دليل على ما ألقى، وتلك الدلالة مقالية وحالية..." [231].

وقد ذكر السيوطي شروطا ثمانية للحذف وجعل أولها وجود الدليل[232]. وهذا راجع لأهميته ودوره البالغ في اتساق النص وتماسكه.

228- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 22

229- علم اللغة النصي، صبحي إبراهيم الفقي، ج2، ص 201.

230- نفسه، ص 203 .

231- البرهان، الزركشي، ص 111.

232- الإتقان، السيوطي، ص 177.

فالحذف حقق المرجعية ويضمن استمرارية النص، وبه يكون المعنى قائما ويعد مرشدا للقارئ ليتمكن من خلاله بتقرير المحذوف في مكانه، ويصبح صانعا للنص باستنتاجاته ودراساته، ويحقق بذلك مشاركته في إنتاج النص.

وهو ظاهرة لها أهميتها في تحقيق الترابط والتماسك، وقد قسم الحذف إلى أنواع كما قسمها الباحثان هاليدي ورقية:

1- **الحذف الأسمي: Nominal Ellipses**: ويقصد به حذف اسم داخل المركب الاسمي.

2- **الحذف الفعلي: Veroal Ellepsis**: أي أن المحذوف يكون عنصر فعليا

3- **الحذف داخل ما يشبه الجملة: clausal ellipsis**[233].

فمن الحذف في هذه الرسالة الهزلية لا بن زيدون نجد قوله: "ولو لا أن للجوار ذمة،وأن للضيافة حرمة " ،فحذف "أن"يربط مابين ما هو موجود وما هو محذوف ،وهذا يحقق الترابط بين عناصر الرسالة وبذلك انسجامها.

ومن الحذف الفعلي قوله "بعثت من يزعجك إلى الخضراء دفعا ويستحثك نحوها وكزا وصفعا"[234]. فقد استخدم الشاعر في الجملة الفعل (بعثت) ثم حذفه في الجملة الثانية، وهذا الحذف كان بلغ من الذكر فالجملتين مترابطتين ومثلا جملتين دلاليا، فالملاحظ وجود روابط مثلا الهاء في (نحوها) التي تعود على "خضراء"، فالحذف لا يخل المعنى إذ يجعل القارئ يبحث من خلال السياق الموظف عن كيفية ملء الفجوة التي تركها المحذوف.

وأيضا من الحذف نجذ: " ولعلك إنما غرك من علمت صبوتي إليه، وشهدت مساعفتي له"[235]. فأصل الجملة يتبين على النحو التالي: "ولعلك إنما غرك من علمت صبوتي إليه، ولعلك إنما غرك من شهدت مساعفتي له"[236]. فهذا حذف داخل ما يشبهه الجملة فقد استغنى الشاعر عن عبارة (ولعلك إنما غرك) في الجملة الثانية إلا أن معناها ممتد ومستمر، ويمكن للقارئ المتمكن أن يفهم بتقدير ما هو مناسب في مكان المحذوف.

233- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، احمد عفيفي، ص 127.

234- سلسلة الروائع، بن زيدون، الرسالتان ومقطعات شتى، فؤاد أفرام البستاني، ص 9.

235- نفسه، ص 18 .

236- نفسه، ص 14 .

وبذلك يكون الحذف أحد العناصر المهمة وفي اتساق النص، وجعله متماسكا مترابطا

4- الاتساق المعجمي:

يعد هذا العنصر آخر مظهر من مظاهر الاتساق النصي، ودوره يبدو مختلفا عن الأدوار التي تلعبها باقي الآليات.

ويتم الاتساق المعجمي بطريقتين: التكرار والتضام.

1- التكرار recurence: وهو "شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورد مرادف له أو شبه مرادف أو عنصر مطلق أو اسما عاما"[237]. ويطلق عليه البعض "الإحالة التكرارية". وتشمل في "تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد"[238].

فالتكرار يعمل على ربط عناصر النص وجعلها متماسكة ويبقى القارئ مرتبطا، بالنص من بدايته إلى نهايته، كما أنه "يتيح لعناصر التي يتكون منها السياق النص أن تولد تواكبا للتمثيل والتنوع"[239].

فهذا التواكب هو الذي يمنح النص خاصيته الاتساقية والتماثل، لأن من ضروب التكرار ما يتم عن طريق إعادة العنصر المعجمي نفسه أكثر من مرة.

وتتنوع صور الروابط التكرارية فيما يلي:

أ- **التكرار المحض (التكرار الكلي):** وهو نوعان.

- التكرار مع وحدة المرجع (أي أن يكون المسمى واحد).

- التكرار مع اختلاف المرجع (أي والمسمى متعدد).

ب- التكرار الجزئي: ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه ولكن في أشكال وفئات مختلفة.

ج- المرادف.

237- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 24.

238- نسيج النص، الأزهر الزناد، ص 119.

239- تحليل النص الشعري (بنية القصيدة)، يوري لوتمان، تر، محمد فتوح أحمد دار المعارف، القاهرة، 1994، ص 62.

د- شبه التكرار: ويقوم في جوهره على التوهم، إذ تفتقد العناصر فيه علاقة التكرار المحض، ويتحقق شبه التكرار غالبا في مستوى التشكل الصوتي، وهو اقرب إلى الجناس الناقص.

هـ- تكرار لفظ الجملة [240].

فالتكرار يحدث في النص بشتى أنواعه، قد يكون كليا أو جزئيا وهو راجع لتراكم المادة وغزارتها، ويحس المبدع استخدامها، وحسن توظيف العناصر البديلة المحتملة، بحيث تؤدي المعنى فهي بإحالتها تربط العناصر كلها، وباعتبارها البديل، يتم انتقاؤها بدقة واستغلالها أحسن استغلال.

أما بالنسبة للتكرار المرادف فيمكن أن يكون على نوعين:

1-المرادف دلالة وجرس: هو تكرار الكلمتين تحملان معنى واحد وتشتركان في بعض الأصوات والميزان الصرفي.

2-الترادف دلالة لا غير[241]. فالتكرار يشد انتباه القارئ إلى أن النص مترابط وأجزاؤه موصولة بعضها ببعض، فيصنع نصا متسقا يشكل في النهاية وحدة واحدة متكاملة، فنجد مثلا التكرار الصوتي يؤدي إلى ربط معنوي بين العناصر، وهناك ألفاظ متقاربة لتقارب دلالاتها.

وهناك ما يطلق عليه بالتكرار البنائي وهو "عبارة عن تكرار لنظم الجمل بكيفية واحدة أي تكرار للطريقة التي تبنى بها الجملة وشبه الجملة مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألف منها الجمل[242].

فطريقة نظم الجمل تكرار إلى نهاية النص المنتوج، فتأتي في شكل ثنائيات تدل على ترابط النص وتماسكه.

فالتكرار يعد وسيلة من وسائل الاتساق المعجمي ذلك أن أحد العنصرين المكررين يعين على فهم دلالة الآخر، وهذا يضمن استمرارية النص ما يزيد المتلقي تنبها وإحساسا بوحدة النص.

240- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص 106-107

241- نفسه، ص 109.

242- منهج التحليل النصي للقصيدة، محمد حماسة عبد اللطيف، فصول، مج 15، ع12، 1996، ص 123.

وقد عده ديفيد كريستال واحد من عوامل التماسك النصي، وجعل له مصطلح "repeated" وذكر بأنه: "التعبير الذي يكرر في الكل والجزء" [243]. فالتكرار له أهمية كبرى في إعانة المتلقي على الفهم والتحليل والتأويل، وهو اختصار لكثير من الكلام، ويمكن اعتباره اقتصاد لغويا، وتجنبا للإطناب. وفي الرسالة الهزلية لابن زيدون نجد التكرار في قوله: "قد صرن كلها عجائب، حتى ليس فيها عجائب"[244].

إذ نجد أن لفظ (عجائب) مكرر مرتين وهذا للتأكد وتبليغ المعنى، ومنح النص قوة دلالية.

---

[243]- the campridge engclopedia of langage, david crystal, p119.

[244]- الرسالتان ومقطعات شتى، مرجع سابق، ص 9

2- التضام collocation:

والتضام هو "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"[245].

وغالبا ما تكون هذه العلاقة قائمة على التعارض، أو متصلة عن طريق علاقة الجزء بالكل أو العكس، أو الجزء بالجزء، أو انتماؤهما للمجال نفسه، وهذه العلاقات لا يمكن أن تكون واضحة يدركها المحلل لأول وهلة، وأول قراءة، بل يجب على الأقل القراءة الممعنة، واعتماده على السياق الذي ورد فيه، فهو يحلل ويفسر ويقوم بعملية التأويل، وهذا للفهم الصحيح وتوضيح ما هو غامض.

فالتضام يخلق توازيات متنوعة بين الأزواج وهذا ما يؤدي إلى الاتساق النصي.

وهناك علاقات مختلفة تحكم التضام نذكر منها: التضاد والتنافي وعلاقة الجزء بالكل.

1- التضاد: كلما كان حادا (غير متدرج) كان أكثر قدرة على الربط النصي، والتضاد الحاد قريب من النقيض عند المناطقة [246].

فبالتضاد يتضح المعنى، ويسهل تحديد دلالة الألفاظ وفي الرسالة وظف الشاعر التضاد، ومن ذلك قوله: "واستشارك في الداء والدواء"[247]. فوقع هنا التضاد الحاد بين اللفظتين (الداء، الدواء) وهذا يعين على تحديد المعنى، كما يساهم في جعل الرسالة أكثر انسجاما، إضافة إلى بعض الثنائيات التي تشكل تضادا مثل: (الشرق، الغرب)، (المؤمن، الكافر)، (الصحة، المرض)... إلخ كلها تعمل على تحقيق الربط النصي.

2-التنافر: وهو مرتبط بفكرة النفي مثل التضاد، ويرتبط بالأوان، والرتبة، والزمن

3-**علاقة الجزء بالكل:** وكل هذه العلاقات تسهم في خلق التضام، وتجعل النص متسقا متماسكا ومترابط جملة جملة، ومقطعا فمقطعا إلى أن يتحقق اتساقه كلية، وباعتبار النص بنية متسقة بذاتها نظرا لتواجد هذه الوسائل وتوفرها فيه، فما على القارئ إلا التوغل فيها ومحاولة تبيان كيفية انتظام عناصره وبنائها بشكل متسق منسجم، فيقوم بالتوضيح وجعله ظاهرا مبرزا.

245- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص 113.
246- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص 113.
247- الرسالتان ومقطعات شتى، مرجع سابق، ص 6.

ثالثا: من المنظور التداولي:

1- السياق/ context:

1-1- مفهومه: السياق هو لفظ يتكون من "سابقه (con) تعني المشاركة أي وجود أشياء مشتركة في توضيح النص وهي فكرة تتضمن أمور أخرى تحيط بالنص والبيئة المحيطة، التي يمكن وصفها بأنها الجسر بين النص والحال"[248].

من هذا التعريف نستشف العلامة التلازمية بين النص والسياق فوجود النص يلزمه توفر سياق ما، وبيئة معينة يتم إنتاجه فيها، ويمكن القول أنهما متكاملان ذلك أن: "النص والسياق يتمم أحدهما الأخر"[249].

والسياق عنصر من عناصر التماسك النصي، كما انه يطلق هذا المصطلح على مفهومين:

1- السياق اللغوي.

2- سياق التلفظ: أو سياق الحال، أو سياق الموقف[250].

إن السياق اللغوي يتعلق بسياق الكلمة وكيفية ورودها في الجملة وما يحيط بها في النص، فارتباطها بباقي عناصر النص يساهم في تحديد معناها، وذلك بربطها بكل ما يحيط بها.

وقد "تعرف مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام (....) وتسمى هذه الظروف في بعض الأحيان بالسياق (context)" [251].

فإنتاج النص يكون في إطار مجموعة من الظروف المحيطة به وتحليله وتفسيره يتطلب معرفة الجوانب المتوفرة فيه لحظة وضعه، ولا يكون الفهم الحقيقي لرموزه وإشاراته، إلا بالرجوع والعودة إلى معرفة السياق الذي ورد فيه، ويكون بذلك قابلا للتأويل والتحليل وفك شفراته.

والسياق أيضا يعني: " الإنزلاق من المستوى التحليلي إلى مستوى آخر يتعلق بظروف إنتاج الخطاب"[252]. ذلك أنه عنصر دلالي، فبعد التجزئة النحوية للنص لا بد من اللجوء إلى المستوى الدلالي والتداولي، بإحضار السياق التداولي لهذا المنتوج.

---

[248] -langage, context and text, halliday and R. hasan, p5.

[249]- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، تر: عباس صادق الوهاب، ص 255.

[250]- استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 40.

[251]- السابق، ص 41.

ويذهب براون ويول إلى أن محلل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب و" السياق لديهما يتشكل من المتكلم/ الكاتب، والمستمع/ القارئ، والزمان والمكان"[253].

إذ لا بد من الاهتمام بالعناصر المشكلة للسياق، وتوظيفها في كشف الغموض، وفهم المتكلم وغاياته ومقاصده.

2-1 دوره في تحديد المعنى:

من المؤكد أن للسياق دورا بارزا في تحديد المعنى، وكذا في إنتاج النص، إذ أنه "يمكن استخدامه ليصنع تنبؤات حول بنية النص"[254]. فليس من السهل تحديد مجال السياق، فعلى القارئ المحلل محاولة الإلمام بكل الظروف المحيطة به وبالبيئة الاجتماعية، وأخذها بعين الاعتبار، وكذا انصرافه إلى "فحص العلاقة بين المتكلم والخطاب في مقام استعمال خاص بدرجة أكبر من تتبعه للعلاقة الممكنة بين جملة وأخرى"[255].

والملفت للانتباه هنا تضافر المصطلحين المقام والسياق فهما مرتبطان بتحديد المعنى، والمقام يمثل الجانب الاجتماعي من السياق، وبذلك يكون السياق عنصرا مشاركا في إنتاج النص.

فقد لا يتمكن القارئ من تأويل بعض العناصر إلا بالرجوع إلى تحديد سياقها ومعرفة الكاتب وكذا الإطار الزماني والمكاني لحدوث الفعل. فمثلا التعبيرات الإشارية تذكر غالبا في النص مثل: هذا، ذاك، تلك، والضمائر: أنا، أنت... إلخ. كلها تتطلب من المحلل أن يكون على دراية بالظروف المحيطة والتي ورد فيها النص، وما يقصده المنتج إلا أن هناك من يرى أن النص يدرس لذاته ومن اجل ذاته فلا عبرة بالنظر قائله، ولا بالظروف التي أنتج فيها، بل ينظر إليه على أنه وحدة لغوية يتعامل معها القارئ الكفء بصورة مجردة من جميع الاعتبارات الخارجية. فهناك آراء مختلفة في كيفية دراسة النصوص.

252- مبادئ في اللسانيات، جان ميشال آدم، ص 106.

253- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 52.

254 - langage, context and text, halliday and R. hasan, P.50

255- تحليل الخطاب، ج.ب، براون، ويول، تر: مصطفى لطفي الزليطي، ومنير التريكي، ص 36

وبناء عليه "يمكن اعتبار السياق شفرة يستعين بها المحلل القارئ في تأويل النص: لأن السياق يستطيع أن يوضح لنا النقطة التي تم التعبير عنها"[256]. فدوره فعال في تحديد المعنى.

ويعرف هايمز دوره –السياق– في الفهم بأنه يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة، وأنه يساعد من جهة أخرى على تبين المعنى المقصود "إن استعمال صيغة لغوية يحدد مجموعة من المعاني، وبإمكان المقام أن يساعد على تحديد عدد من المعاني. فعندما تستعمل صيغة في سياق ما فإنها تستبعد كل المعاني الممكنة لذلك السياق والتي لم تشر إليها تلك الصيغة"[257].

فالسياق له دور في تحديد معنى الوحدات اللغوية ومعنى الكلمة في حد ذاتها، ذلك أن للكلمة دلالات متعددة بتنوع استعمالها، إلا أن دور السياق يظهر في هذه المواضع، باستحضار الظروف المحيطة أثناء الاستعمال، وكذا المجتمع باعتباره المنتج للنص والمتلقي له. كل هذا يحصر المعنى الحقيقي للكلمة الواردة في سياقها التداولي، فقد تحمل كلمة دلالتين مختلفتين، أو لنقل عبارة تحمل تأويلين مختلفين، هذا راجع للسياق الذي وضعت فيه.

وبذلك لا يمكن الاستغناء عن السياق في تحديد المعنى والتأويل والتحليل.

وهكذا يمكن القول أن أهمية السياق في تحديد المعنى، أصبح يشكل "نظرية –إذا طبقت بحكمة– تمثل الحجر الأسود الأساسي في علم المعنى وقد قادت هذه النظرية بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة"[258].

إذن للسياق دور مهم في تحقيق التماسك النصي وتحديد المعنى، فتكون في النهاية وحدة منسجمة.

3-1 خصائص السياق:

للسياق خصائص متنوعة حسب الدراسات المختلفة من الباحثين والدارسين، وفي رأي هايمس أن خصائص السياق قابلة للتصنيف إلى ما يلي:

أ- **المرسل:** وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.

---

256 - langage, context and text, halliday and R. hasan, P.70

257- تحليل الخطاب، ج.ب، براون، ويول، تر: مصطفى لطفي الزليطي، ومنير التريكي، ص 47.

258- دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان، تر: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط12، 1981، ص 73.

ب- **المتلقي:** وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.

ج- **الحضور:** وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.

د- **الموضوع:** وهو مدار الحدث الكلامي.

هـــ- **المقام:** وهو زمان ومكان الحدث التواصلي، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه.

و- **القناة:** كيف تم التوصل بين المشاركين في الحدث الكلامي، كلام، كتابة، إشارة...

ز- **النظام:** اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.

حـــ- **شكل الرسالة:** ما هو الشكل المقصود: دردشة، جدال، عظه، خرافة، رسالة غرامية...

ط- **المفتاح:** ويتضمن التقويم هل كانت الرسالة موعظة حسنة، شرحا مثيرا لعواطف...

ي- **الغرض:** أي ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي(259).

فكل هذه الخصائص تعين المحلل على التأويل، إلا أنها ليست ضرورية كلها في جميع الأحداث التواصلية، فكلما كان المحلل أكثر معرفة بالخصائص كلما كحان بإمكانه تأويل النص بقدر أكبر، فنسبة معرفة الخصائص تحدد نسبة التأويل والتنبؤ لما تجدر الإشارة إلى أن الخاصية المميزة للسياق هي ميزة "الدينامية" المحركة "فليس السياق مجرد حالة لفظ وإنما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ"(260).

وهذه الأحوال تتغير من شكل لآخر، فهي غير ثابتة مستقرة، إذ تبقى في حركية مستمرة لا تخضع لقواعد ثابتة صارمة، فكل سياق يعبر ويحدد معنى ما، وهذا ما يمنح النص الانفتاح وتعدد القراءات.

1-4 أنواع السياق:

لقد قسم السياق إلى أنواع عدة، وهذا حسب رؤى الباحثين وقسمة الباحث "آمر K.ammer" إلى أربعة أقسام وهي: "السياق اللغوي، والسياق العاطفي، وسياق الموقف، والسياق الثقافي"(261).

259- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 53

260- النص والسياق، فان دايك، ص 258.

261- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1985، ص69.

- **السياق اللغوي:** وله دور فعال في إنتاج النص وتلقيه وهذا ما أكده "ريفاتير" M. riffaterre وهذا "بوصفه يقوم على المقابلات والمتطابقات والتي تلعب دورا هاما في تلقي النص، أي أن المتلقي يتخذها كوسيلة لفهم رسالة المنتج، ومن الواضح أن هذه الأسس الأسلوبية -التقابل والتطابق- ترتبط ارتباطا وثيقا بجنسين رئيسيين من الجمال وهما الانسجام والاختلاف ويسود التطابق في التراكيب على حين يكون التقابل هو السائد"[262].

ومن السياق اللغوي قول الشاعر: "رأى غيره منه مالا يرى"[263]. إذ وظف محسنا بديعيا فزاد اللغة قوة التماسك وإضافة إلى توضيح المعنى.

كما أن السياق اللغوي تهتم به نظرية الأسلوب، ذلك انه يحقق التواصل بين المرسل والمتلقي، ويمنح النص جمالا أدبيا.

-**السياق العاطفي:** ويعتمد على كيفية تأثير المرسل في متلقيه، وكيفية إقناعه، فيحسن توظيف عباراته وكيفية توجيهها للآخرين، ويتبع في ذلك طريقة خاصة من خلالها يبلغ رسالته ويصل هدفه المقصود، بحدوث التفاعل بين الطرفين والسياق العاطفي "يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال مما يقتضي تأكيد أو مبالغة أو اعتذالا"[264].

ومن الرسالة يتضح توظيف الشاعر للسياق العاطفي في قوله مثلا: "لتذوق وبال أمرك، وترى ميزان قدرك"[265]. فهذا يدل على انفعاله وغضبه الشديد وقلقه من مراودة منافسه لولادة.

- **سياق الموقف الاجتماعي:** يعد المجتمع المنتج للنص والمتلقي له. إذ له أهمية بالغة في تحديد المعنى، ودور فعال في التأويل.

واللغة نشاط اجتماعي ومؤسسة اجتماعية، فقد أكد firth على الوظيفة الاجتماعية للغة، لأن اللغة "نشاط اجتماعي للإنسان وليس مجرد معبر عن الفكر كما كانت تعرف قديما، كما أن السياق الاجتماعي مهتم بالمعنى لا يمكن الاستغناء عنه في تفسير **اللغة**"[266].

262- علم اللغة والدراسات الأدبية، شبيلر برند، تر: محمود جاد الرب، ص 117.
263- سلسلة الروائع، مرجع سابق، ص 18.
264- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 71.
265- سلسلة الروائع، مرجع سابق، ص 18.
266- فقه اللغة وعلم اللغة، نصوص ودراسات، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية ، 1995، ص 236-237.

فالسياق الاجتماعي يخلق التفاعل بين النص ومتلقيه وهذا ما يحقق نصية النص، ويضمن استمراريته.

-**السياق الثقافي:** فقد يتجلى في المستوى الثقافي للمرسل والمتلقي وإذا ما كان المرسل مثقفا وكذا المتلقي ومدى معرفتهما لشتى العلوم، وكذا تجدر الإشارة أيضا إلى أن المكانة الاجتماعية تلعب دورا في الفهم والتأويل، "فالأساطير والخرافات وبعض النصوص الشعائرية والروايات الشعبية والقصص، ونصوص أخرى مرتبطة بثقافة معينة وبعصر معين"[267].

إذن فالسياق له دور في تحديد المعنى، وتحقيق التماسك فهو يحقق انسجامه، إذ يربط النص بعالمه الخارجي، ويقول فان دايك أن السياق"يتعلق بقضايا تأويل الإشارة الإيديولوجية في العالم الخارجي"[268].

فتأويل النص يتحقق بالرجوع إلى السياق الذي ورد فيه

---

[267]- العرب والفكر العالمي، من النص إلى الخطاب، مجلة، ع5، 1989، ص76

[268]- علم لغة النص، (مفاهيم واتجاهات)، سعيد حسن بحيري، ص 244

2- التأويل:

إن الحديث عن النص وكيفية انسجامه يقودنا إلى الحديث عن العمل الذي يبذله القارئ لهذا النص، فهو في محاولة لكشف الغموض وفهم أسرار وخبايا رموزه بغية الربط بين عناصره وأجزائه، وهذا ما يستدعي تحديد مفهوم التأويل باعتباره عملية أساسية في انسجام النص.

في البداية تجدر الإشارة إلى أن هذا المصطلح قد تداولته عدة مجالات معرفية كعلم الدلالة ولسانيات النص، السيمياء، البحوث اللاهوتية الغربية، وعلم التفسير والمقاصد عند علماء المسلمين إلا أن الحديث هنا سيتعلق بالخطاب فهو مجال للحديث عن الانسجام في النص.

لقد ارتبط مفهوم التأويل ارتباطا وثيقا بالتصور الذي كونه الباحثون عن الدلالة وشروط وجودها وأشكال تحققها إذ أن المعطيات الأولية، في المجال اللساني على الأقل تشير إلى أن الكلمة لا يمكن أن تقف عند حدود التعيين المحايد لمرجع موضوعي مستقل. فبالإضافة إلى حالة التعيين هاته تشتمل الكلمة على مجموعة من السياقات المحتملة القابلة للتعيين مع أبسط تنشيط لذاكرتها[(269)].

فالكلمة تحمل دلالات متعددة، وهذا باختلاف السياقات التي وردت فيها.

كما أن التأويل "مفهوم قديم قدم النصوص نفسها دينية أو لغوية، وقد بدء محاولات تفسيرها وشرحها من خلال مجموعة القواعد والمعايير التي يتبعها المفسر"[(270)].

إذ يقترن التأويل بما هو باطن خفي، أما الظاهر فيقترون بالتفسير، فمن ذلك نجد التأويل لأحلام والرؤى، كذلك بالنسبة للمحلل لا يمر على الألفاظ والعبارات مرورا سطحيا، بل عليه أن يدرس أعماق ما تحويه من دلالات ومعاني.

فهو يعني الانتقال من المعنى الظاهر إلى المعنى الخفي، والسعي وراء تحقيق معنى المعنى، فالمراد "بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ"[(271)].

---

269 - http / said ben grad. F. R / AL/ M17/8 RTM .

270- المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، ط1، 2006، ص 201

271- لسان العرب، ابن منظور، مج1/ ج1، ص 131.

ذلك أن الجملة تحمل دلالة معينة، فإذا أخرجت عن حيزها اللغوي وكانت في سياق آخر تغيرت دلالتها فتحمل معنى آخر وبذلك يتطلب تأويلا حسب محلها وهذا ما " يعلم المستمع بأن لا ينشئ سياقا أكبر مما يحتاجه من أجل الوصول إلى تأويله"[272].

فتعدد القراءات وتتنوع، وتأتي التأويلات متقاربة تصب كلها في اتجاه واحد، وتختلف من قارئ إلى آخر، وقد يختلف التأويل عند قارئ واحد، وهذا حين قراءته للنص القراءة الأولى يكون له تأويل خاص، أما القراءة الثانية له فتظهر له دلالات أخرى بحيث يتعمق في النص، لذلك يتغير التأويل فهو ليس بقار ثابت، بل متعدد متحرك باستمرار.

كما إنه قد يعنى "الكشف عن الدلالة الموضوعية في النصوص التي تحتمل أكثر من مدلول، وفي الوقت الذي يبدو فيه التأويل بحثا عن فك الرموز وأسرارها العقيدة، فإنه يعترف بأهمية وجود هامش أو هوامش لتأويل المعنى أو إرجائه"[273].

فالقارئ يتوصل إلى تأويل نسبي غير مطلق، فهو ليس بنهائي يعتمد أو يؤخذ به، بل هناك مجال مفتوح لقراءات متتابعة تحمل تأويلات متباينة، إذ هناك "فهم أولي لمعنى القول، ثم فهم ثان أو تأويل لمعنى القول"[274].

وهذا ما ذكره الجرجاني في تمييزه بين (المعنى) و(معنى المعنى) إذ أن "الكلام عنده على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض"[275].

فالقارئ المحلل يصل إلى هدفه بتأويل لمعنى المعنى، فهو بذلك يكشف الغموض، ويقوم بعمليات محددة وفق مناهج مختلفة مستعينا بالمعلومات الواردة في النص للوصول إلى مبتغاه وتكون مهمته بذلك" توضيح المعاني الكامنة في النص"[276].

إذ يستخرج المعنى الكامن من الخفي، ينزع عنها الحجب وهذا بمساهمة السياق الخاص، وقراءته لما بين السطور أو ما وراء المعنى، وفي ذلك لا بد من وجود مبادئ لدى المتلقي تجعله "قادر على تحديد تأويل ملائم ومعقول في مناسبة قولية معينة"[277].

---

[272]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 56 .

[273]- المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس، ص 202.

[274]- عندما نتوصل نفير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التوصل الحجاجي)، عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق المغرب، 2006، ص 132 .

[275]-دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 264-265 .

[276]- فعل القراءة، فولفغانغ ايزر، ص 13-14.

[277]- تحليل الخطاب، ج.ب، بروان ويول، ص 58.

فمجموعة الظروف المحيطة بالنص الاجتماعية والنفسية والثقافية تجعل القارئ يتجاوز قصد المؤلف ويبحث عما وراء ظاهر ألفاظه وعباراته وما تحمله الرموز من دلالات بعيدة، فيمنحها تأويلا محتملا يليق والمقام الذي وضعت فيه، لذلك "فإن من المعاني اللصيقة بالتأويل الكشف عن الخبيء والغامض"(278).

وهذا هو دور القارئ المحلل، الذي يجتهد لوصول إلى أهداف وغايات سامية، ليمنح النص حرية ديناميه، ويبقى لكل قارئ تأويله الخاص، يتميز وقدراته المعرفية الخاصة والمنهج المتبع في تحليله.

وبذلك يبقى النص فضاء واسعا قابلا لتحليل والقراءات متتابعة مختلفة باختلاف تفكير القراء ذلك أن القارئ يمنحه معاني جديدة متجددة، فالنص بمثابة "أرض مجهولة، وعلى من يريد اكتشافها أن يصبر نفسه على تحمل وعثاء السفر في مجاهلها في رحلة البحث عن المعنى الذي يستعصي على التحديد ويظل قابلا للتأجيل"(279).

فالقراءة تساعد صاحبها على الإبداع، بقيامه بعمليات متنوعة من فهم وتحليل وتفسير وتأويل، ويستمر عاملا على استخراج مكنونات النص ليصل إلى المغزى المحدد للنص، فهو ليس بوثيقة ومجموعة من العبارات المتوالية، بل يحمل في طياته ورموزه وشفراته العديد من المعاني والدلالات التي لا يكتشفها إلا الناقد الموهوب، وهذا الأخير في عمله "قد يكون مساويا لعمل المبدع أو هابطا عنه أو متفوقا عليه، وفق قدرة الناقد وثقافته"(280).

فالقارئ يتفاعل مع النص إذا يقوم بتجزئته وفك شفراته وهي عملية هدم ليوم بإعادة صياغته وبنائه من جديد، في قالب وصيغة جديدة بإعطائه تأويلا معينا كخلاصة لعلاقته به، ويساهم في ذلك الشكل اللغوي لنص، وبنيته الخارجية المنسجمة.

كما أن عملية التأويل تتطلب إتباع طريقة خاصة، واتخاذ إستراتيجية ما، ولا يتحقق ذلك بإتباع منهج من المناهج النقدية المساعدة، وهذه المناهج قد تكون خارجية أو داخلية.

278- المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس، ص 201

279-نفسه، ص 210

280- السابق، ص 12.

وفي الحقيقة لا يمكن الفصل بين المناهج، فيؤخذ منهج واحد رئيسي وتبقى الأخرى ثانوية، وهذا لارتباطها الوثيق وصعوبة تجسيد فصلها في الواقع" فالمناهج الخارجية مثلا: التاريخي والنفسي والاجتماعي... في حين المناهج الداخلية كالشكلانية، الروسية والنقد الجديد"[281]. فهي تمنح النص انفتاحه على أنواع متعددة من القراءات أو انغلاقه على قراءة واحدة.

والمنهج المتبع في التحليل يساهم بنسبة ما في تحديد المعنى وتقدير التأويل.

وبهذا يكون التأويل في "أبسط معانيه هو قراءة للنص، أو مقاربة له، تتحكم فيها الفرضيات الخاصة بالقراءة المنبثقة من معطيات النص أولا، ومن قدرات المؤول ثانيا، والتأويل في أوسع معانيه هو القراءة بمعناها الواسع: النقدية أو إيديولوجية أو مغرضة أو بريئة... إلخ" [282].

وفي مقابل التأويل تظهر نظرية التأويل وهي الهرمنيو طيقا **Hermeneutir** وهي "نظرية تأويل النصوص، أو هي المعلم الذي يبحث في آليات الفهم"[283].

وبذلك تكون عملية التأويل مهمة في تحليل النصوص إذ تساهم في ترابطه وتماسكه، بارتباط عناصره دلاليا، بحيث يضمن استمرارية النص، كما يعمل على انسجامه وتحقيق نصيته، فيكون القارئ قد شارك في إنتاج النص بتوصله إلى قصده وتجاوز قصدية المنتج، إذن فالتأويل عنصر أساسي في انسجام النص.

وإذا تفحصنا الرسالة الهزلية لابن زيدون وجدناها كلها سخرية وهزلا وتهكما بمنافسه وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على رغبة الشاعر في التخلص منه فقد وظف تعبيرات مجازية ذات تأثير قوي، كما استعان بكل ما يملك من معارف، إذ أحسن توظيفها في صورة متسقة منسجمة.

3- القياس:

يقول براون ويول: "يمثل مبدأ القياس إحدى الأدوات الأساسية التي تمكن السامعين والمحللين من تحديد فهمهم داخل السياق، فهم يفترضون أن كل شيء سيبقى على ما كان عليه ما داموا لم يعطوا إشعارا خاصا بتغيير الخصائص"[284].

---

[281]- السابق، ص 19.
[282]- نفسه، ص 210.
[283]- نفسه، ص 203.
[284]- تحليل الخطاب، ج.ب، براون ويول، ص 78

ذلك أن المتلقي بتناوله لنصوص متعددة متشابهة بتجاربه السابقة يستنبط عناصر وآليات يجعلها قابلة للتعميم، وعليها يقيس باقي الدراسات الموالية، فالأمور في الغالب تسير حسب توقعاتنا التي نكون قد بيناها من تراكم تلك التجارب.

فالمتلقي في تعامله مع نص معين يقوم بمماثلته بنص سابق من خلال تأويله وفهمه، لكن على المتلقي أن لا يعتقد بأن "عصا سحرية تمكن آليا من مواجهة جميع أنواع الخطاب مهما كانت جدتها ومهما كان اختلافها" [285].

بمعنى أنها ليست قواعد قارة ثابتة، يتم القياس عليها في جميع الحالات، فالتوافقات غالبا ما تكون موافقة لما هو في النص، غير أنه من الممكن أن "يحدث وأن تخرق القوانين المتعارف عليها، فيدخل خلل على توقعاتنا سواء كان ذلك بصفة مقصودة لحصول علة وقع أسلوبي معين أو عن طريق الخطأ والسهو"[286].

وعلى القارئ أن يتكيف مع هذا الخلل والعطل، إذ يحاول المواجهة بابتكار أدوات مناسبة وملائمة للمقاربة وتحقيق الانسجام في النص وعدم إظهار الفجوة فيه، لذلك ليس كل متلقي هو قارئ للنص فعليه أن يبذل جهدا في إعطاء معنى قوي في سياق خاص، ويبقى هذا الأخير مساهما في تحديد التأويل وبذلك افتراض الانسجام للنص.

إلا أن النصوص قد تكون متقاربة ومتشابهة لكن إلى حد ما والتغيير لا يكون إلا طفيفا.

ونجد الشاعر قد استعان بمبدأ القياس في صياغته للفقرات فنجد مثلا قوله: " أيها المصاب بعقله، المورط بجهله"[287]. بنفس الطريقة حاول في موضع آخر أن يأتي بصياغة مشابهة للأولى في قوله: "مفرط الحمق والغباوة، جافي الطبع" [288]. إذ قاس على الجزء الأول وانشأ الجزء الثاني.

فالقياس له أهمية كبرى في تأويل القارئ للنص تأويلا منسجما وفق سياق ملائم، وتتجلى أهميته أيضا في انه: "يوفر للسامع والمحلل –في أغلب الأحيان– إطارا مضمونا

285- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 58
286- تحليل الخطاب، ج.ب، براون ويول، ص 77-78.
287- سلسلة الروائع، مرجع سابق، ص 1.
288- نفسه، ص 10.

إلى حد ما لعملية الفهم" [289]. وهذا ما يسمح بتوالد القدرة التنبؤية من تراكم الخبرات، وتكون للقارئ طاقة توقعية، يتوقع بها ما سيأتي في النص ملائمة مع سياقها الخاص.

إذن فالقياس أحد العناصر الأساسية لتحقيق الانسجام إذ يعين على الفهم الملائم والتأويل المنسجم وللنص.

4- الحالة العادية المفترضة للعوائم:

ويعد هذا المبدأ شرطا معرفيا حسب فان دايك، فهو أداة لمعرفة مدى انسجام خطاب ما، ويعني به "أن توقعاتنا حول البنيات الدلالية للخطاب تحددها معرفتنا حول بنية العوالم عموما والحالات الخاصة للأمور أو مجرى الأحداث" [290].

والمقصود بذلك أن المتلقي له معرفة مسبقة بالأفكار والأشياء مخزنة في الذهن، وهذا حسب تجاربه السابقة، فهو قارئ موهوب قادر على الاحتفاظ بالعناصر الأساسية للنصوص حين معالجتها وتحليلها كما إنه لا بد من توفر شرط أساسي، يتمثل في الحس الفني، والذوق الرفيع وآليات التحليل.

إذن فهو حين يواجه نصا جديد يحاول استحضار ما يملك من مخزونه المعلوماتي فيما يخص هذا النص ، فيأتي بما يحتاجه في دراسته. كما أن هذه المعرفة المسبقة ومجموعة المعلومات تكون منظمة غير عشوائية، إذ أن "تمثيلات المعرفة هذه تتسم بأنها منظمة بطريقة ثابتة كوحدة تامة من المعرفة الجاهزة في الذاكرة"[291].

وهذا التنظيم في التخزين يسمح للقارئ باختيار ما هو مناسب حين الحاجة إليه، لذلك فإن "فهم الخطاب يعد بالأساس عملية تسحب للمعلومات من الذاكرة وربطها مع الخطاب المواجهة"[292].

إلا أنه قد يحدث وان يدخل على العالم الخاص للنص ما ليس منه، أن يواجه ذلك، بإيجاد تأويل لمثل هذا العنصر الغريب، ويقوم برابطة بباقي عناصر النص في عالمه المفترض مع مراعاة استمرارية تماسك النص، والحفاظ على انسجامه، فهو يأتي ببدائل مقبولة ومنسجمة مع عالم النص، وحسب شروطه الملائمة.

289- تحليل الخطاب، ج، ب ، براون، ص 77 .
290- النص والسياق، فن دايك، ص 99، نقلا عن لسانيات النص، محمد خطابي، ص 35.
291- نفسه، ص 62
292- نفسه.

إذن فالقارئ حين يتلقى نصا ما، فهو بحوزته العديد من المعارف السابقة والدراسات التي يمكن أن يعتمد عليها في تحليله ذلك أنه قد تراكمت مجموعة معينة، وفق نظام خاص لديه في ذهنه، فهو يعود أليها ليستعين بها تماشيا مع العالم الذي يدور في فلكه، وإذا ما حدث خرق للنظام إلا أنه ليس بطفرة يفقد النص نصيته، فقط يحسن القارئ كيفية تسوية ذلك بإعادة تصحيح الوضع داخل بنية النص.

إذن فالمعارف مرتبة ومنظمة بطريقة خاصة وفق عالم خاص يلجأ إليها القارئ أثناء مواجهة نص من النصوص مع عدم إفقاد الحق في التماسك والانسجام.

فإذا عدنا إلى الرسالة الهزلية وجدنا مثلا قول الشاعر: "العاثر في ذيل اغتراره، الأعمى عن شمس نهاره"[293]. فالمعلوم أن فاقد البصر يتعثر ويسقط، فهذه الحالة هي حالة عادية في عالمنا الواقعي، فهذا يعين على وجود ترابط بين نص الرسالة وما هو في الواقع.

293- سلسلة الروائع، مرجع سابق، ص 1.

5- التغريض:

وهو عنصر من عناصر تحقق الانسجام ويعني "ذلك الجانب من بنية الخطاب الذي يحدد نسبة الأهمية التي تعطى لمقاطع متعددة من الخطاب"[294]. فالخطاب باعتباره متوالية من الجمل لها بداية ونهاية مرتبطة فيما بينها، هذا الشكل له تأثير في تأويله، ويعطيه دلالات خاصة. إذ "تتمحور كل تركيبة لكل جملة، كل فقرة، كل حلقة وكل خطاب يتمحور حول عنصر واحد خاص، يكون هو نقطة الانطلاق"[295].

مما يدل على أن العنوان يشكل ركيزة أساسية في فهم القارئ لمضمون النص، وبه يتحدد ما سيفهمه القارئ، وعليه ينبني تأويله لما يليه من جمل، وهذا لا يعني أن النصوص الخالية من العناوين لا يمكن للقارئ تحليلها، بل بعد انتهائه من القراءة والتحليل يستطيع أن يضع عنوانا للنص.

فالتغريض يمنح المتلقي توقعات قوية حول موضوع النص، ويتحكم العنوان في تحليل المتلقي وتفسيره وتأويله.

كما انه يتحكم في تغريض الخطاب باعتباره "أحد التعبيرات الممكنة عن موضوع الخطاب ووظيفة العنوان هي انه وسيلة خاصة قوية للتغريض" [296].

إذ إنه له وقع خاص في ذهن المتلقي، فمجرد تلقيه العنوان تكون له استنباطات لمحتوى النص، كما إنه حين تغيير العنوان يكيف المتلقي تأويل النص مع العنوان الجديد، فالعنوان له دور كبير فعال للتغريض إذ أنه نقطة البداية، فقد يذكر فيه اسم وهو الاسم المغرض ويختلف من نص لآخر، إما اسم علم أو حادثة... إلخ.

كما أن الجملة الأولى في نص ما تحدد ما سيفهمه المتلقي من النص، وعليها تتراكم الدلالات الموالية، باعتبار النص نسيج متضام من الجمل المترابطة، فالجملة الأولى هي الجملة المنطلق تنمو وتتكاثر وتكبر إلى أن ينشأ نص منسجم بمعنى: "أننا نفترض أن كل جملة تشكل جزء من توجيه متدرج متراكم يخبرنا عن كيفية إنشاء تمثيل منسجم"[297].

فالعنوان والجملة البداية، أو الجملة المفتاح في النص، إذ بها يفتح النص ويتم بناؤه وتشكيله، لهما دور كبير وأهمية بالغة في التغريض، وكذا في توجيه تأويل القارئ.

294- تحليل الخطاب، ج.ب، براون ويول، ص 156 .

295- نفسه..

296- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 60.

297- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 59 .

فنجد "الرسالة الهزلية" هو عنوان المدونة التي هي بصدد البحث في كيفية انسجامها، فالعنوان له امتداد واستمرار في المضمون والمحتوى، فعبارات النص تحمل في ثناياها معنى السخرية والهزل، كذلك إذا لاحظنا الجملة الأولى: "أيها المصاب بعقله"[(298)]. دلالة على استهزاء الشاعر بمنافسه فهذا يعد من التغريض.

وهناك مصطلح آخر أكثر عمومية وشمولا هو "الإخراج" وهو كاستعارة عامة تغطي استغلال مثل هذه الظواهر في الخطاب، وهذا المصطلح يتردد لدى علماء النفس خاصة، فهم "يعتقدون كيفية إخراج مقطع من الخطاب لابد أن يؤثر بشكل كبير على عملية الفهم"[(299)]. فهذه العناصر تعمل على إعطاء لمحة عن محتوى النص وما يهدف إليه المنتج.

أما الطرق التي يتم بها التغريض، فمتعددة "تكرير اسم الشخص، واستعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية...." [(300)].

وهذا ما تتوفر بكثرة في كتب التراجم، فبهذه الطرق يتم تغريض المتحدث عنه فيكون بجعله بؤرة الموضوع، أو النواة التي يتشكل منها النص وهي النواة المكثفة، فقد ترد في النص كلمة تعد الكلمة المحور التي يدور محور الحديث عليها، ويمكن استخراجها بتوظيف عملية إحصائية من طرف المتلقي. فتكون أكثر تكرارا في النص، وأكثر إيرادا لها.

فالتغريض مهم جدا، ويجعل المتلقي في حوار مستمر دائم مع النص، ويضمن لهذا الأخير انسجامه وترابط عناصره من بدايته إلى نهايته، فيتمكن المتلقي من قراءته قراءة جيدة، وينتهي إلى تأويل ملائم غير غريب وبعيد عما هو مألوف لدى الدارسين.

---

[298]- سلسلة الروائع، مرجع سابق، ص1.

[299]- تحليل الخطاب، ج.ب، براون ويول، ص 156.

[300]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 59.

الفصل الثالث

- الانسجام
- الجانب الإجرائي التطبيقي
- انسجام الرسالة

انسجام الرسالة

إن القارئ لهذه الرسالة، يجدها منسجمة، متماسكة، وذلك من خلال المظاهر التي تبدو جلية واضحة فيها.

فمن بين هذه المظاهر نجد: الفصل في قواه: "أيها المصاب بعقله المورط بجهله، البين سقطه، الفاحش غلطه، العاثر في ذيل اغتراره، الأعمى عن شمس نهاره[(301)]. فهذه الجمل جاءت متوالية مترابطة لكن، دون وجود حروف اربط، فهي جمل غير معطوفة بعاطف، كما أنها تؤدي المعنى المقصود، والجمل عبارة عن موصوفات تصف حال الشخص بأنه مجنون ومصاب بعقله، وواقع في الهلاك ويلحقه الشاعر بباقي الصفات الذميمة "المتهافت تهافت الفراش إلى الشهاب"[(302)].

فوقعت الجملة الثانية بدلا من الجملة الأولى

وكذلك ما جاء بعدها في قوله: "مرسلات خليلتك مرتادة، مستعملا عشيقتك قوادة، كاذبا نفسك أنك ستتزل عنها إلي"[(303)]. فالشاعر هنا يصف حال منافسه، دون توظيف لأدوات ربط لغوية، وهذا ما يعطي قوة التماسك، وقد جاءت الجملة الثالثة بيانا للأولى لا غراء "ولادة" واستمالتها.

كما يبدو الفصل في قول الشاعر: "هجين القذال، أرعن السبال، طويل العنق والعلاوة، مفرط الحمق والغباوة، جافي الطبع، سيء الجابة والسمع، بغيض الهيئة، سخيف الذهاب والجيئة، ظاهر الوسواس، منتن الأنفاس كثير المعايب، مشهور المثالب"[(304)].

فالملاحظ في هذا الجزء أن الجمل متسلسلة متوالية، بدون ذكر أدوات الربط بينها، إلا أنها متماسكة، وقد لجأ الشاعر إلى توظيف الفصل عمد ليجعل نصه أكثر انسجاما، وأكثر تبليغا، دون تعقيد، كما أنها جمل واصفة لهيئة المتحدث عنه، فهي توضح حاله، وهذا اتحاد تام في الجمل وهو أيضا كمال الاتصال.

وأما المظهر الآخر وهو الوصل، فنجد مثل ذلك في قوله: "ولاشك أنها قد قلتك إذ لم تضن بك، وصلتك إذ لم تغر عليك، فإنها أعذرت في السفارة لك"[(305)]. فورد حرف لنفي الحكم وهو "لا"، وهذا لإعطاء قوة المعنى والقدرة على التبليغ، واستعمل الشاعر

---

[301]- سلسلة الروائع، بن زيدون، الرسالات ومقطعات شتى، فوائد أفرام البستاني، ص 1

[302]- نفسه، ص 1

[303]- نفسه، ص 2

[304]- نفسه، ص 11.

[305]- السابق، ص 2.

حرف الوصل "واو" (وملتك" الذي يفيد مطلق الجمع، فهو يجمع بين الفعلين (قلتك، ملتك)، فقارئ يفهم أن "ولادة" قد قلته وملته، ويعني هذا الأشراك في الفعلين، وهذا لإيصال البغض والكره الذي تكنه "ولادة" لابن عبدوس. وهذا يبقى في تقدير حكم الشاعر لمحاولة إبعاده عنها، ثم أعقب الشاعر كلامه بجملة موالية محافظا على الربط والوصل باستخدام حرف "الفاء"، والذي يفيد التعقب، فيأتي الحديث متواصلا غير منقطع، ومستأنفا، وهذا ما يساهم في انسجام النص.

وأيضا قوله: "وشيرين نافست بوران فيك، وبلقيس غايرة الزباء عليك"[306]. فتوظيف "الواو" للجمع بين الفعلين (نافست، غايرت) ويذكر الشاعر هنا شدة التنافس على منافسه (على لسان ولادة) بغية الاستهزاء، والتهكم به، فكأن "ولادة" تسخر من ابن عبدوس، والشاعر في محاولته لإبعاده عنها، فقد أحسن توظيف حرف "الواو" للوصل، إذ جاءت في مكانها المناسب.

وفي قول الشاعر: "وأبقراط علم العلل والأمراض بلطف حسك، وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة نظرك، وكلاهما قلدك في العلاج، وسألك عن المزاج، واستوصفك تركيب الأعضاء، واستشارك في الداء والدواء" [307].

فالشاعر وظف حرف "الواو" للربط بين الجمل، والمحافظة على انسجام نصه، فهو جمع بين الأفعال (علم، عرف، قلد، سأل، استوصف، استشار)، فجاءت جملة منسجمة بفضل ترابطها وتماسكها.

كما جاءت هذه الجمل معطوفة بعضها على بعض، إذ تتوالى بإضافة جمل إلى جملة أخرى، فتنمو وتتكاثف لتشكل نسيجا متضاما، وتجدر الإشارة إلى أن الظرف المستعمل هو زمن الماض، فهو يسرد الأحداث، فجاءت موصولة ومشاركة لبعضها، وهو الوصل التشريكي.

أما في قول الشاعر: "ولو لا أن للجوار ذمة، وللضيافة حرمة، لكان الجواب في قذال الدمستق" [308]. فهذا الصنف يتضمن الشرط، كما إنه امتناع لوجود، فوجود ذمة

306- نفسه، ص 3.
307- نفسه، ص6.
308- السابق، ص.9

الجوار وحرمة الضيافة، تمنع الجواب في قذال الدمستق، وهذا ما فعله سيف الدولة، عندما هرب من أمامه فوقعت الرماح والسيوف في قذاله. وهذا يعني انهزامه شر هزيمة.

فقد كانت الجمل مترابطة، إذ استخدم الشاعر أسلوب الشرط للتفريغ وإعطاء النص سمة مميزة، بحيث يأتي متسقا ومنسجما.

وبعدها استعمل أداة الربط "لكن" وهذا لإثبات الضد، فقال: "ولكن النعل حاضرة إن عادت العقرب، والعقوبة ممكنة إن أصر المذنب"[309]. فهو تهديد ووعيد لابن عبدوس على إصراره لإقامة علاقة مع "ولادة".

وفي قوله أيضا: "ولم تعرك شهادة ولا تكلفت لك زيادة بل صدقتك سن بكرها فيما ذكرته عنك"[310]. فقد نوع الشاعر في استعمال أدوات الربط، فالواو لمطلق الجمع، والنفي بـــ "لم"، "لا" لنفي الحكم عما وراءها من الأحكام، ثم بعد ذلك يقرر الحقيقة بعدها بتوظيف حرف الربط "بل"، فهو يسخر من عدوه، ويثبت له أن ما قلته عنه "ولادة" صادق، وأنها لم تزد ولم تبالغ، بل ذكرت الحقيقة، وهذا من باب السخرية.

كذلك من بين الأدوات الموظفة للربط نجد "حتى" التي تفيد بلوغ الغاية في قوله: "حتى أن باقلا موصوف بالبلاغة إذا قرن بك" [311]. وهذا مثلا يضرب في العي، وهو منتهى الاحتقار والازدراء إذ يصفه بالجهل والحمق والغباوة، ثم تلاها بجمل معطوفة على الأولى، وهي : " وهبنقة، مستحق لاسم العقل إذا نسب إليك، وطويسا مأثور عنه يمن الطائر إذا قيس عليك"[312]. وهبنقة وأبا غبشان رجلان يضرب بهما المثل في الحمق، وهذا يعني أن ابن زيدون يزدري منافسه، ويصفه بأرذل الصفات وأقبحها. وكذلك في قوله: "وأن احتيال هرم لعلقمة حتى رضي كان ذلك عن إشارتك" [313]. وهذا لحكم هرم بين عامر وعلقمة في التسمية، وإرضائهما فيسخر منه كأنه ذو حكمة وحكم وعدلا، فـــ "حتى" أفادت استمرار المعنى وكذلك الربط بين الجمل والدلالات التي تحملها.

وأيضا حرف الفاء "ف" الذي أعقب به الشاعر حديثه، وبه حقق الامتداد والاستمرار في رسالته، ومن ذلك قوله: "فوجودك عدم، ... فما هم إلا بدون ما هممت

309- نفسه، 10.
310- نفسه
311- السابق، ص11.
312- نفسه.
313- نفسه، ص5.

به...، فدهن الست بزيت،... فيدعوه إليك ما دعا ابنه الخنس"[314]. فهذا الحرف "ف" يضمن للجمل تسلسلها وتواليها وترابطها، وبذلك يكون النص متضاما في شكل وحدة واحدة. وقد وظف الشاعر أسلوب الاستفهام، وكان ذلك تعجبا منه وإنكارا له، بغية الإطاحة به، والاستهزاء به، فجاء قوله، كيف رأيت لؤمك لكرم كفاء، وضعتك لشرف وفاء؟ وأنى جهلت أن الأشياء إنما تنجلب إلى أشكالها، والطير إنما تقع على ألآفها"[315].

ثم يواصل حديثه فيقول: " وهلاّ علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان أو شعرت أن المؤمن والكافر لا يتقاربان!" [316]. وهذا لتعجيز، وبذلك يؤثر في منافسه وقد يمنعه من التفكير للعودة إلى "ولادة"، إذ أنه يحبطه ويقطع له الآمال، ويخبره بأنه بعيدا كل البعد عن محبوبته، وأنه لا يمكنه الفوز بها، في مجمل حديثه نجده يسخر من منافسه، فيحاول بشتى الطرق النيل منه، وإبعاده عن "ولادة"، بجعل عباراته متسلسلة ومرتبطة، مع انسجام أفكاره.

فالشاعر استخدم في رسالته هذه روابط لغوية متنوعة، خاصة منها التشريكية في النحو التقليدي، نذكر من ذلك التعارض في قوله "الجنة، سقر"، "الاغتباط ، الخيبة" ، "الشرق، الغرب"، "مؤمن، كافر" ،"الخبيث، الطيب"، "الجوهر، العرض"، "الصحة، المرض" ، "وصل، قطع"، فهو تواز عن طريق التضاد "التعارض" وهو صنف من أصناف التشريك، وهو عنصر مهم في الربط النصي.

ونجد الوصل السببي في قوله: "وإن كنت إنما بلغت قعر تابوتك، وتجافيت لقميصك عن بعض قوتك، وعطرت أردانك، وجررت هميانك، واختلت وفي مشيتك، وحذفت فضول لحيتك، وأصلحت شاربك، ومططت حاجبك، ورققت خط عذارك، واستأنفك عقد إزارك رجاء الاكتتاب فيهم، وطمع في الاعتداد منهم"[317]. فهذه مجموعة من الصفات التي اتصف بها ابن عبدوس، وقم الشاعر بتعدادها، ويخبره بأن له من وراء ذلك غايات وأسباب يريد من خلال ذلك الانتساب إلى قوم غير قومه، فهو تذكير له بأنه دخيل عليهم وغريب عنهم، فجملة الأفعال جاءت في عبارات مترابطة متسلسلة بحيث تتعلق ببعضها البعض، لتصل إلى نتيجة واحدة، والشاعر قصده الاستهزاء بمنافسه.

314- نفسه ، ص 11.
315نفسه.
316- نفسه.
317- نفسه، ص 15.

ومن الوصل السببي أيضا نجد: الشرط في قوله "وإن بادرت بالندامة ورجعت على نفسك بالملامة، كنت قد اشتريت العافية لك بالعافية منك" [318]. فشرط معافاة "ابن عبدوس أن يبادر بالندم واللوم على نفسه، والتراجع بالتخلي عن ولادة، وهذا بمثابة التهديد والوعيد له، فهناك شرط وجوابه، فالعبارات جاءت مترابطة للامتداد معنى الأولى، إلى الثانية والثالثة، وهذا بمجيئها موصولة بعضها ببعض.

ومن "الشرط أيضا، استشهاد الشاعر لبيت شعري للتمني حيث قال:

فمن جهلت نفسه قدره *** رأى غيره منه مالا يري

ذلك أن احتقار النفس، ومعرفة قيمتها ووزنها يؤدي إلى احتقار الناس له وعدم تقديره واحترامه، كما أن المرء يرفع من شأنه ويجعل لنفسه مكانة رفيعة بين أفراد مجتمعه، كالبيت الشعري يمل دلالة الشرط وجوابه، وهذا ما ربط شطريه، وأصبح له علاقة ودلالات العبارات السابقة.

وأما الوصل العكسي، فنجده في قوله: "ما كان أخلقك بأن تقدر بذرعك وتربع بذلك على ضلعك، ولا تكون براقش الدالة على أهلها وعنز السوء المستثيرة بظلفها لحذقها، فما أراك إلا قد سقط العشاء بك على سرحان"[319]. فهو دلالة على عكس ما هو متوقع، فالشاعر كأنه يريد أن يكون مصيبا في أقواله وأفعاله، إلا أنه يريد تحطيمه، وتشكيكه في نفسه، إذ يصبح في ذلك مضطربا ومتذبذبا في أفكاره فيفقده القوة والعزيمة.

وبالنسبة للوصل الزمني، فالرسالة غنية بذلك، ففي قوله: "بعثت من يزعجك إلى الخضراء دفعا، ويحثك نحوها وكزا وصفعا"[320]. فالجملتان مرتبطتان دلاليا، متتابعتان زمنيا، فنجد الفعلين "يزعج، يستحث"، متواليان في زمن المضارع، وهذا يضفي على الجمل الاستمرارية، وبذلك التسلسل والانسجام.

أما فيما يخص الوصل الإضافي متوفر بكثرة في الرسالة، إذ يكون بواسطة الحرفين "الواو" و"أو" ، وضمنه علاقات أخرى مثل علاقة الشرح كقوله: "والمعنى لقول أبي تمام:

فلو صورت نفسك لم تزدها *** على ما فيك من كرم الطباع"[321].

318- نفسه، ص 17.
319- نفسه، ص 16.
320- نفسه، ص 18.
321- نفسه، ص 8.

فهو يريد التوضيح والتفسير، فاستشهد ببيت شعري، ليفهم القارئ وتكون قراءته سليمة، وهو بهذا البيت يستهزئ بمنافسه لتكبره وتفاخره بالفوز بـــ "ولادة"، وقد تكون غيرت من الشاعر وتضخيمه، وتفخيمه للمواقف، بتنويع الأساليب ذما له، فتكون بمثابة نازلة تنزل عليه، ضننا منه أنه موجه إليه من طرف "ولادة"، وبذلك يفوز الشاعر بتخلصه من عدوه. ونجد أيضا قول الشاعر: "وتمثلت:

أيها المنكح الثريا سهيلا *** عمرك الله ! كيف يلتقيان!"[322].

فالفعل "تمثلت" يعني التماثل وهو علاقة من علاقات الوصل الإضافي، ويزيد من وضوح الدلالة وتشبيه العلاقتين، إذ يرى الشاعر استحالة التقاء "ابن عبدوس" بـــ "ولادة"، كاستحالة التقاء "الثريا" بـــ "السهيل"، والثريا "هي بنت علي ابن عبد الله ابن الحارث ابن أمية الأصغر، وسهيل هو ابن عبد العزيز ابن مروان" [323]. وكل هذا له تأثير على نفسية منافسه واستصغاره واحتقاره قد يجعله يبتعد عن "ولادة" ولا يحاول حتى التفكير بها.

ومن التماثل أيضا ما ورد في قوله: "... مثل النجوم التي يسري بها الساري"[324]. فلفظ "مثل" يماثل بين شيئين، وهنا الشاعر ماثل بين أفراد قومه والنجوم في علوهم ورفعتهم، فهو يفتخر بنسبه وبنفسه، فهو يرى قرب ومحبة "ولادة" له، لا لمنافسه وهذه سهام يرسلها إليه ليضل الحرج صارخا فيه، بحيث لا يعاود التقرب من محبوبته. فهذه الروابط المختلفة تعين على فهم النص وحدة متكاملة، بحيث يستطيع القارئ الولوج إلى أعماقه، وكشف خباياه.

وبذلك نقول أن "الفصل والوصل" قد ظهر جليا في هذه الرسالة، بظهور أدوات الربط المتنوعة، وهذا ما يثبت انسجامها، وتسلسل جملها وعباراتها، وهذا من إبداع الشاعر وتفننه في التنويع والزخرفة.

ومن آليات التماسك النصي، وما يظهر بارزا في انسجام الرسالة، عنصر الإحالة، والتي -كما ذكر سابقا- تعتبر علاقة دلالية تربط بين المحيل والمحال إليه، وعناصرها هي: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة. فمن الضمائر المحلية نجد قول الشاعر في بداية الرسالة: "أيها المصاب بعقله، المورط بجهله، البين سقطه، الفاحش غلطه، العاثر

---

[322]- نفسه، ص 12.
[323]-نفسه.
[324]- سلسلة الروائع، ابن زيدون، الرسالتان ومقطعات شتى، فؤاد أفرام البستاني، ص 14.

في ذيل اغتراره، الأعمى عن شمس نهاره"[325]. فنجد في: "أيها" ضمير الهاء المتصل، يعود على المخاطب وهو "ابن عبدوس" فالقارئ بهذا الضمير يفهم أنه يحيل إلى هذا الشخص، وكذلك نجد ضمير الهاء في "عقله، جهله، سقطه، غلطه، اغتراره، نهاره". كلها تضم ضمير متصل يعود على ابن عبدوس واستخدم الشاعر هذه الضمائر للإحالة إلى منافسه وتجنبا للتكرار، فجاء في الجمل في صورة مترابطة دلاليا ومتماسكة.

ومن الضمائر أيضا نجد في قوله: "والأحنف إنما احتبى في بردك، وحاتما إنما جاد بوفرك، ولقي الأضياف لبشرك، وزيد ابن مهلهل إنما ركب فخذيك، والسليك ابن السلكة إنما عدا على رجليك، وعامر ابن مالك إنما لاعب الأسنة بيديك، وقيس ابن زهير إنما استعان بدهائك، وإياس ابن معاوية إنما استضاء بمصباح ذكائك، وسحبان إنما تكلم بلسانك" [326]. فالملاحظ هنا وجود ضمير متصل وهو ضمير المخاطبة" الكاف" "ك" في "بردك، وفرك، بشرك، فخذيك، رجليك، يديك، دهائك، ذكائك" وهو ضمير من ضمائر الملكية فالبرد والوفر، البشر، الفخذين والرجلين...إلخ، كلها تتسم إلى منافس الشاعر الذي وجه له هذه الرسالة. ولها دور فعال في إحالة العناصر وتساهم هذه الضمائر في انسجام النص بربطها لعناصره.

وأيضا من الضمائر الموظفة في الرسالة قول الشاعر: "ما أنت وهم؟ وأين تقع منه، وهل أنت إلا واو عمرو فيهم، وكالوشيظة في العظم بينهم" [327]. فالضميران "أنت" و"هم" يحيلان على شخصين أو لنقل شخص وجماعة، "فأنت" تعود على منافس الشاعر، أما "هم" فتحيل إلى القوم، "وهم" جاءت متصلة في "فيهم، منهم، بينهم"، وهذه الضمائر هي ضمائر وجودية، إذ لا يمكن إنكار دورها المهم في الربط والانسجام.

أما فيما يخص أسماء الإشارة التي لها دور كبير في انسجام النص، نجد قول الشاعر: " ... كاذبا نفسك أنك ستنزل عنها إليه، وتخلق بعدها عليا" [328].فهنا ورد ظرف زمان يحيل إلى وقت معين، وحرف السين "س" يدل على التسويف بمعنى أن الفعل يحدث في الحاضر أو المستقبل، كما نجد ظرف الزمان "بعد" يدل على وقت سيأتيه فيما بعد، وهذا بمرور فترة زمنية فالشاعر يخبر منافسه بأفعاله، إذ ينوي التخلي عن عشيقته

---

[325]- المرجع السابق، ص1.
[326]- نفسه، ص4.
[327]- نفسه، ص15.
[328]- نفسه، ص2.

والعودة إلى "ولادة" وبعدها سيأتي بأخرى وهذا استهزاء به بتقبيح صورته لديها، وتلميحه بخيانته لها.

فظرف الزمان من خلال السياق الذي ورد فيه، يحدد للقارئ المعنى المقصود فهو وسيلة من وسائل الربط الدلالي، فهو يحيل إلى دلالة ما ويربط بين أجزاء النص، فيساهم في ترابطه وانسجامه كما يضفي عليه لمسة جمالية وأدبية. وقوله أيضا: "وجوابه لعمر– وقد سأله عن أيهم كان ينفر؟. وقع عن إرادتك... وقتيبة فتح ما وراء النهر بسعدك" [329]. فوظف ظرف الزمان "بعد" و"وراء". فهو مزج بين ظرف الزمان والمكان "وراء" و"ما وراء النهر هنا يراد به ما وراء نهر جيجون في خورسان"[330]، وقتيبة فتح هذه البلاد وكأن ابن عبدوس ساعده في فتحها، وهذا تهكم وسخرية.

أيضا قوله: "ربّ صلف تحت الراعدة" [331].

فظرف المكان "تحت" يحيل إلى دلالة معينة، وهذا المثل يضرب لمن يتوعد ولا يفعل، والصلف يعني البركة والخير، ويدل على قلة المطر مع صوت الرعد القوي، إلا أنه يتحدث عن منافسه مع غضبه الشديد، وعدم القيام بأي فعل، وهو دائما في سخريته المستمرة.

وقول الشاعر: "كالوشيظة في العظم بينهم"[332]، فوظف الشاعر الظرف "بين" وهنا جاء ظرف المكان، بحيث بين ويحيل إلى مكانة ابن عبدوس في قوم غير قومه، حيث شبهه بقطعة العظم الزائدة في العظم الصميم، فهو دخيل على هؤلاء القوم، وليس منهم، ومعنى ذلك أن الشاعر يريد إبعاد منافسه باحتقاره ووصفه بأنه غير مرغوب فيه ولا حاجة إليه. فهو يذكره بنسبه ومكانته الدنية.

ومن الظرفية حسب البعد قوله: "... وما كنت إلا ذاك... أليس مصير ذاك إلا الزوال" [333]. فنجد "ذاك" ظرف اسم إشارة تعين القارئ على الفهم، وتربط شتات الرسالة، وتجعلها مترابطة.

بالإضافة إلى الضمائر وأسماء الإشارة لا بد من التطرق إلى عنصر جد مهم، ألا وهو أدوات المقارنة. باعتباره عنصر من عناصر التماسك النصي. فهو تماسك إحالي.

329- نفسه، ص 2.
330- نهاية الأرب، فنون الأدب، شهاب الدين ابن أحمد ابن عبد الوهاب النويري، ص 277.
331- سلسلة الروائع، ابن زيدون، فؤاد أفرام البستاني، ص 17.
332- نفسه، ص 15.
333- نفسه، ص 15.

ومن ذلك قول الشاعر: "الساقط سقوط الذباب على الشراب، المتهافت تهافت الفراش على الشهاب" [334]. فالفراش فهذا تشبيه حيث شبه تهافت منافسه على "ولادة" كتهافت الفراش على الشهاب، فالفراش يحب النور والضياء، ويجتمع حوله، كذا بالنسبة لمنافسه فهو يسعى وراء محبوبته ولا يبتعد عنها، متمسكا بها، يحاول إرضاءها، فالشاعر قارن بين عدوه وبين الفراش والذباب، فجدهم يشتركون في صفة التهافت.

وقوله: " أيها المصاب بعقله، المورط بجهله"[335]. فهذا التطابق يحيل إلى أن إصابة العقل تؤدي إلى الجهل، وكذا : "الأعمى عن شمس نهاره"[336]. فالأعمى أتبعه بالنهار وهو عكس الليل الحالك، وهذا اختلاف في الدلالة. وتتضح المقارنة أيضا بالتعارض فمثلا: "أكذب، أصوب"، "الذهاب، الجيئة" ، "الداء، الدواء" كلها تعمل على إنسجام الرسالة، أضف إلى ذلك تجسد المقارنة في التشابه مثل: " عرف، علم" ، "العلل، الأمراض" وهو ترادف لغوي، كما تبدو أيضا المقارنة في الكمية والكيفية إذ حدد الشاعر كيفية استمالة منافسه لولادة بقوله: " مرسلا خليلتك مرتادة، مستعملا عشيقتك قوادة" [337]. فهذه الصورة تبين الطريقة المستعملة والمتبعة، فالقارئ يتخيل الطريقة المستعملة، وعليها يبني تأويله للوصول إلى الحقيقة التي يريدها الشاعر، أيضا قوله: " ... وزيد ابن مهلهل إنما ركب فخذيك، والسليك ابن السلكة إنما عدا على رجليك، وعامر ابن المالك إنما لاعب الأسنة بيديك..." [338]. فهذه الجمل تبين حال الفاعل وكيفية قيامه بالفعل، وقد كان زيد ابن مهلهل فارس مظفرا، وكان يملك الخيول، والسليك كان يلاعب الأسنة. فالشاعر يضع منافسه موضع من يضرب به المثل، يجعله مساعدا لع، وهذا للاستهزاء به. ويضيف إلى ذلك: "... وفصل بين الاسم والمسمى، وضرب وقسم وعدل وقوم، وصنف الأسماء والأفعال، وبوب الظرف والحال، وبان وأعرب، ونفى وتعجب، ووصل وقطع، وثنى وجمع، وأظهر وأضمر، واستفهم وأخبر، وأهمل وقيد، وأرسل واسند، وبحث ونظر..." [339]. فهذه كلها صفات يصف فيها عدوه ومنافسه، إذ وضعه في مقام الباحثين

---

[334]- نفسه، ص1.
[335]-نفسه.
[336]-نفسه.
[337]- المرجع السابق، ص2.
[338]- نفسه، ص 4.
[339]- نفسه، ص7.

والعلماء الدارسين، اللغويين، فحاول أن يبين طريقة عمله وكيفية دراسته لعلوم اللغة وذلك للإطاحة به وإنزاله موضعه.

فقد أبدع الشاعر في تصويره وتعبيره، وهذه الصور توحي إحاء قويا معبرا لفظا ومعنى.

أما فيما يخص الاحالة بالكمية، فقد ذكر الشاعر ذلك في قوله: " وزدت في العناصر فكانت خمسا" [340]. وهذا يوحي إلى الزيادة في العدد "والعناصر في نظر القدماء أربعة: الماء، الهواء، النار، التراب"[341].

ثم يليه قوله: "أن يجمع العالم في واحد" [342]. و" كثير المعايب" [343]، "كثر تلاقينا"[344]. فهذه العبارات تحمل عناصر إحالية تدل على الكمية، "فكثير وكثر" تعود على نسبة معينة وهذا ما يزيد النص انسجاما بتوظيف الشاعر لعناصر محيلة إلى شيء ما.

وكذا تتوفر الرسالة على بعض التعابير الدالة، المحيلة على معاني خاصة مثل قوله: " ولست يؤول ... أولى لك... طول السواد، قرب الوساد،... خير من قعود... الطوال الغرانقة... دون الجواد... على الأقل الأخس". فهنا توحيد كلمات توحي إلى تفصيلا وتدقيقا وتحديدا وهذه الكلمات "أول، أولى، طول، قرب، خير، طوال، دون، الأقل" لها بالغ الأهمية في الإفهام والتوضيح وتقديم الدلالات إذ أن: "لست بأول" توحي إلى أنه قد سبقه غيره إليها، "طول السواد" تدل على استمرار الليل الحالك وطول الانتظار لطلوع الشمس وترقب النهار، "خير" تحمل معنى التفضيل، وهنا تفضيل الزواج على العزوبية، وبالنسبة للفظ "الطوال فهو للإحالة على الجمال والشباب، أما "دون، الجواد" فتدل على امتطاء الجواد لا غير، "على الأقل" بمعنى لا يقبل دونه، فهذه الكلمات الإحالية تسمح بربط عناصر النص، وجمع أجزائها المتفرقة، فهي أكثر إيحاء ودلالة، فلا ننكر دورها في انسجام الرسالة. وقد استعان بها الشاعر ليجعل القارئ في بحث مستمر لإكتشاف معانيها ودلالتها، لأن كل لفظ له معنى معين في سياق خاص وقد أشار الشاعر في هذه الرسالة إلى عشيقة منافسه لقوله: "ولا شك أنها قلتك إذ لم تظن بك، وملكت إذ لم تغر

340- نفسه، ص8.
341- هامش المرجع السابق، ص8.
342- المرجع السابق، ص8.
343- نفسه، ص 11.
344- نفسه، ص 13.

عليك" [345]، إذ نجد " أنها" والهاء ضمير متصل يعود على خليلة عدوه، وهي خارج المقام المذكور، فهي في حالة خارجية مقامية، إذ أحال عنصر لغوي "الهاء" على عنصر غير لغوي "المرأة" فارتبطت اللغة بالسياق الخارجي، فجاءت مترابطة متوالية وهذا ما ساهم في خلق انسجام الرسالة.

ومن الإحالة المقامية أيضا، ما جاء في قوله: " وان هرمس أعطي بلينوس ما أخذ منك" [346]. ففي هذه الجملة إشارة إلى شيء خارج النص وهو ما أخذه بلينوس من علم وأسرار عن هورمس. "ومن مزاعم العرب أن بلينوس ورث هرمس في النبوة" [347].

كما أن الشاعر وظف عنصرا لغويا "ما" يعود على المحال إليه، وهو العلم والنبوة، وهذا الأخير لم يصرح به، ولم يذكره في النص، فقد أشار إليه بعائد يعود عليه ثم يعقب كلامه بجملة موالية، فيقول: " وأفلاطون أورد على أرسطاليس ما نقل عنك"[348]. أيضا "ما" هنا للإحالة إلى شيء خارج النص، وهو العلم الذي أخذه أرسطو عن أفلاطون

ونفس الشيء بالنسبة للإحالة المقامية في : "للقيت من الكواعب ما لاقى يسار"[349]. فالشاعر أحسن استخدام العناصر اللغوية للدلالة على عناصر غير لغوية خارجية، ففي هذه الحالة ذكر "ما" للإحالة على ما فعلت الكواعب بيسار "الكواعب هي امرأة مولى يسار، وهو عبد أسود" إذ قطعت أنفه وقد ربط بين اللغة والسياق الذي وردت فيه، فالشاعر يندد ويهدد منافسه.

أما فيما يخص توظيف الشاعر للإحالة النصية، فنجد في قوله: "ومعرفة المرء نفسه أصوب"[350].إذ جاء ضمير متصل "الهاء" في (نفسه) محيلا على لفظ سابق وهو "المرء"، وهذه إحالة قبلية داخل النص، فالمرء هو المفسر لهذا الضمير، بمعنى أن القارئ يمر بالمفسر ليصل إلى محيل يحيل عليه، فتكون بذلك الجمل مترابطة لغويا ودلاليا، وتأتي في شكل تسلسلي متضام.

345- نفسه ص 5.
346- نفسه.
347- هامش سلسلة الروائع لابن زيدون، ص 5.
348- نفسه، ص5.
349- نفسه، ص 12.
350- نفسه، ص1.

وأيضا قوله: "زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه، والإنسانية اسم أنت جسمه وهيولاه"[351]. فالهاء في "معناه" يعود على المروءة إذ استعمل الشاعر لفظ "المروءة" ثم أشار إليه بعنصر لغوي عوض مكانه، وهي إحالة قبلية بالعودة، ثم واصل حديثه فجاء قوله: "... يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه" [352]. وهي إحالة قبلية أيضا فالهاء في "منه" يعود على يوسف عليه السلام، أما ما جاء في هذه الفقرة: "قاطعه أنك انفردت بالجمال، واستأثرت بالكمال، واستعليت في مراتب الجلال، واستوليت على محاسن الخلال"[353]. فهنا استعمل الشاعر ضمير المخاطب "أنت" ثم تلاها بضمير متصل يعود عليه في الجمل الموالية، إذ نجد "أنت" كاف المخاطبة تعود على "أنت"، وأيضا "التاء" في "انفردت"، و"استأثرت" و"استعليت"، و"استوليت"، وهذا ما يبين ترابط عناصر الرسالة وتماسكها وبذلك يتحقق انسجامها.

والملاحظ في أغلب عبارات هذه الرسالة، الإحالة بضمير المخاطبة "ك" الذي يعود على ضمير منفصل "أنت" ذلك ان النص موجه من طرف الشاعر يخاطب منافسه.

وفي قول الشاعر: "وزيد بن مهلهل إنما ركب بفخذيك والسليك بن السلكة، إنما عدا على رجليك، وعامر بن مالك إنما لاعب الأسنة بيديك، وقيس بن زهير إنما استعان بدهائك، وإياس بن معاوية إنما استضاء بمصباح ذكائك، وسحبان إنما تكلم بلسانك، وعمر بن الأهتم إنما سحر ببيانك"[354]. إذ نجد الشاعر في هذا الجزء أحال إحالة قبلية بمحيل هو ضمير مستتر تقديره "هو"، على محال عليه مفسر سابق له، فالضمير المستتر في "ركب" يعود على زيد، وفي "عد" على السليك، وفي "لاعب" يعود على عامر و"استعان" يعود على قيس، و"استضاء" على إياس، و"تكلم" على سحبان، و"سحر" على عمر. وهكذا استطاع الشاعر أن يصغي لمسة لغوية دلالية على رسالته، وربط أجزائها بتعلقها ببعضها البعض وهذا يسهل عملية التحليل والتأويل.

وقد استمر الشاعر في توظيف الإحالة القبلية في رسالته، ومما ذكر أيضا: "والمهلب أو هي شوكة الأزارقة بأيدك، وفرق ذات بينهم بكيدك"[355]، فالضمير "هم" في

351- نفسه، ص2.
352- نفسه.
353- السابق.
354- سلسلة الروائع، ابن زيدون، الرسالتان ومقطعات شتى، فؤاد أفرام، البستاني، ص4 .
355- نفسه، ص 5.

"بينهم" يعود على الأزارقة، بحيث سبق لفظ الأزارقة الضمير وكان مفسرا له، و(الأزارقة هم فرقة من الخوارج نسبوا إلى نافع ابن عبد الله بن الأزرق) [356].

وفي موضع آخر، أحال إحالة قبلية باستعمال اسم الموصول فقال: "... وأنك الذي أقام البراهين"[357]. فاسم الموصول "الذي" يحيل على ضمير المخاطب المستتر "أنت"، وظهر في الجملة في ضمير متصل هو "ك".

ومن الإحالة القبلية أيضا: نجد "حتى أن باقلا موصوف بالبلاغة إذ قرن بك، وهبنقية مستحق لاسم العقل إذا نسب إليك. وطويسا مأثور عنه يمكن الطائر إذا قيس عليك"[358]. فقد أحال الشاعر بعناصر محيلة على أشخاص، فالأفعال المبنية للمجهول (قرن، نسب، قيس) كلها تحيل على محال عليه، فالفعل (قرن) يعود على باقل، ونائب الفاعل المستتر الذي تقديره "هو"، و(نسب) يعود على هبنقة، و(قيس) على طويس. فالشاعر بدأ بذكر الشخص ثم أحال عليه بضمير مستتر يدل عليه، بحيث نجد القاري يحس بترابط الرسالة من البداية إلى النهاية، في صورة منسجمة.

كذلك مما جاء من الإحالة القبلية: "وطائر لا يصد من أراد" [359]. فالضمير المتصل "الهاء" في (يصيده) يعود على لفظ (الطائر) الذي سبق ذكره، وفي: "ولا تكون براقش الدالة على أهلها، وعنز السوء المستثيرة بظلفها لحتفها"[360]. فوجود رابط دلالي يعود على عنصر سبق ذكره، جعل العناصر متماسكة، إذ إنه ذكر "براقش" وبعدها أشار إليها بمحيل يدل عليها.

وفي قوله: "... بعثت من يزعجك إلى الخضراء دفعا ويستحثك نحوها وكزا وصفعا، فإذا صرت إليها عبث أكّاروها بك، وتسلط نواطيرها عليك" [361]. وهنا ذكر الشاعر في حديثه "الخضراء" وهي المزرعة، ثم جاء بعدها بذكر عناصر دلالية تحيل عليها من خلال السياق، فالهاء في (نحوها، بها، أكّاروها، نواطيرها" تعود على الخضراء المفسرة لها.

356- هامش المرجع السابق، ص5 .
357- نفسه، ص7.
358- نفسه، ص 11.
359- نفسه، ص 12.
360- نفسه، ص 17.
361- نفسه، ص 18.

وفي مقابل الإحالة القبلية، نجد الاحالة البعدية، فقد بدأ الشاعر رسالته بمظهر من مظاهر الانسجام، فقال: "أيها المصاب بعقله، المورط بجهله، البين سقطه، الفاحش غلطه، العاثر في ذيل اغتراره، الأعمى عن شمس نهاره"[362]. فالهاء في "أيها" ضمير متصل في محل نصب منادى يفسره ما سيأتي بعده من صفات وصف بها منافسه، فالهاء على تحيل على عدو الشاعر وهو (ابن عبدوس)، بمعنى أن المحال عليه جاء بعد المحيل، فالقارئ أثناء قراءته قد لا يفهم المعنى المقصود، لكن بمواصلته للقراءة يتضح المعنى. وهذا ما يبين ترابط النص وتماسك عناصره.

ثم جاء قوله: "ولا شك أنها قلتك، إذ لم تضمن بك، وملتك إذ لم تغر عليك"[363]. فالهاء في "أنها" هي المحيل والمفسر له، أي المحال عليه يأتي بعده، وأشار إليه الشاعر في "قلت"، تاء التأنيث و"تضن" فالفاعل المستتر (هي)، جاء مفسرا للمحيل (الهاء)، وكذا (ملتك) تاء التأنيث، و(تغر) الفاعل المستتر (هي) هو المحال عليه، إذن المحال فيه يلحق المحيل وهي الإحالة اللاحقة (البعدية).

ويتبع الشاعر قوله بـــ: فإنها أعذرت في السفارة لك، وما قصرت في النيابة عنك، زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه"[364]. فالهاء في "إنها" تشير إلى مفسر يأتي بعدها، والمفسر هو تاء التأنيث في "أعذرت"، "قصرت" وضمير مستتر "هي" في "زاعمة" فالإحالة البعدية هنا ربطت الجمل السابقة باللاحقة، إذ تنمو الجمل وتتكاثر بفضل توفر عناصر محلية تربطها ببعضها، لتشكل وحدة واحدة مترابطة.

ومن الإحالة البعدية الموظفة في الرسالة قوله: "وأنك الذي أقام البراهين"[365]. فاسم الموصول "الذي" هو المحال عليه، وجاء بعده محيل يحيل عليه، وهو الفعل الذي قام به فيتمثل في "أقام البراهين"، فالكلام الذي جاء بعد اسم الموصول يفسره، وكذلك في قوله: "وانك المقول فيه"[366]. إذ نجد ضمير منفصل مستتر "أنت" محال عليه، ولحقه المحيل وهو ضمير متصل يتمثل في الهاء "فيه" فأشار الشاعر إلى المحيل أولا ثم تلاه بعدها بضمير "محال عليه".

362- سلسلة الروائع، بن زيدون، الرسالتان ومقطعات شتى، فؤاد أفرام البستاني، ص1 .
363- نفسه 2.
364- نفسه.
365- نفسه، ص 8 .
366- نفسه.

وقوله: "كل الصيد في جوف الفراء" فلفظ "كل" هو المحيل، يحيل على الصيد، وهو المفسر اللاحق له، فأشار إلى "الصيد" بلفظ قبله، وهذا راجع إلى قدرة الشاعر على توظيف مظاهر الاتساق والانسجام وكذا قدرته البلاغية.

وقد وظف الشاعر مثلا فقال: "لقد هان من بالت عليه الثعالب"[367]. إذ نجد اسم موصول "من" هو المحيل، والمحال عليه هو الهاء في "عليه".

وأشار أيضا في موضوع آخر إلى الأيام فقال: "على أنها الأيام قد صرن كلها"[368]. فنجد "أنها" في هذه الجملة، والهاء ضمير متصل يعود على ما جاء بعده وهو "الأيام" وهي المفسر للهاء، وهذه أيضا إحالة بعدية.

كما أحال بعنصر لغوي وهو تاء التأنيث في قوله: "إن عادت العقرب"[369]. فالتاء تحيل على لفظ "العقرب" الذي جاء بعدها، فسبق المحيل عليه، مما زاد النص ارتباطا وثيقا.

وبنفس الطريقة استعمل الشاعر كلمة تشير إلى كلمة أخرى لاحقة في النص، بقوله: "لارتفعت عن هذه الحطة"[370]. فاسم الإشارة "هذه" يحيل إلى لفظ "الحطة"، وهذا للدلالة عليه والإشارة إلى شيء لاحق، ومرد ذلك هو قدرة الشاعر على جمع شتات الرسالة والمجيء بها في صورة منسجمة تدل على قوة السبك والنسج المحكم.

إذن فتوفر الرسالة على الإحالة بنوعيها، زادها تماسكا وارتباطا، بحيث مزج الشاعر بين الإحالة القبلية والبعدية ليعطي في النهاية رسالة منوعة بمظاهر الانسجام، ومترابطة من أولها إلى آخرها.

وبعد الحديث عن الإحالة (بنوعيها) وكيفية مساهمتها في انسجام الرسالة، ننتقل إلى عنصر آخر من العناصر المشاركة في خلق رسالة منسجمة، وهو الاستبدال، ويعني –كما سبق الذكر– تعويض عنصر مكان عنصر آخر في النص. ونجد ذلك في قول الشاعر: "أيها المصاب بعقله، المورط بجهله، البين سقطه، الفاحش غلطه، العاثر في ذيل اغتراره"[371]. إذ نجد استبدال (المصاب) بـــ (المورط) وهو استبدال إسمي بحيث المستبدل هو المصاب، والمستبدل منه هو (المورط)، وهما يشتركان في الدلالة، فإصابة

367- نفسه، ص9.
368- نفسه.
369- نفسه، ص 10.
370- نفسه، ص 14 .
371- نفسه، ص 1 .

العقل، تعد من الجهل، فاستمر عناه باستبدال اللفظ، ونجد (البين سقطه) استبدال بـــ (الفاحش غلطه) ثم بـــ (العاثر في ذيل اغتراره)، إذ أن الظاهر سقطه تكون أخطاؤه فاحشة، وتتجلى عثراته باغترار وتكبره، فقد استبدل الشاعر (السقط) بـــ (الغلط) ثم بالعثور والهفوان البارزة، فجاءت بذلك دلالة الجمل مترابطة ومشتركة في عناصر معنوية متوالية، وهذا ما ظهر في كيفية تسلسل الجمل، وبذلك انسجام النص.

وقد وظف الشاعر "الاستبدال" في موضع آخر، باستخدام عنصر لغوي اسمي في قوله: "ومعرفة المرء نفسه أصوب"[372]. فلفظ "نفس" من بين العناصر المساهمة في الربط النصي، وقوله بعد ذلك: "ما صفرت منه أيدي أمثالك"[373]. فلفظ "أمثال" تعتبر عنصر لغويا وهو (المستبدل منه) والمستبدل قد يتمثل في مجموعة من مجي "ولادة"، وهذا اللفظ جاء بدلا عنها، مما جعل الجمل مترابطة ومستمرة في النص.

وما جاء في قوله: "وأن قارون أصاب بعض ما كنزت، والنطف عثر على فضل ما ركزت"[374]. فاستبدل الشاعر الفعل (كنزت) بالفعل (ركزت) والركاز هو دفين مال الجاهلية، ويعتبر كنزا، وهذا استبدال فعلي.

ومن خلال الاستبدال أيضا قول الشاعر: "قاطعة أنك انفردت بالجمال، واستأثرت بالكمال، واستعليت في مراتب الجلال، واستوليت على محاسن الخلال" [375]. فنجد هنا استبدال اسمي، فقد استبدل صفة من الصفات الإنسانية الحسنة بأخرى، فالجمال والكمال والجلال والخلال الحسنة كلها أسماء، وهي نسبية في الإنسان تكمل بعضها البعض، وهذا ما يعطي الجمل ترابطا وإنشاء علاقة بينها.

وفي قوله أيضا: "والاسكندر قتل دارا في طاعتك، وأردشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك"[376]. فقد استبدل الفعل "قتل" بالفعل "جاهد"، وهما يدلان على الحرب والقتال، فحاول الشاعر تنويع الأفعال الدالة على معاني متقاربة ومتشابهة، وبذلك يكون المعنى ممتدا في النص، والأفكار مترابطة متضامنة.

372- نفسه.
373- نفسه.
374- نفسه، ص 3.
375- نفسه، ص2.
376- نفسه، ص3 .

وكذلك قوله: وشيرين قد نافست بوران فيك، وبلقيس غايرت الزباء عليك"[377]. فالملاحظ هنا أن الشاعر وظف الفعلين (نافست، وغايرت) وهما متلاحمان، فغيره المرأة تؤدي بها إلى التنافس ومحاولتها الحصول على مرادها، فالمعنى متقارب.

وقد وظف الشاعر الاستبدال في قوله: "وزيد بن مهلهل إنما ركب بفخذيك، والسليك بن السلكة، إنما عدا على رجليك، وعامر بن مالك إنما لا عب الأسنة بيديك... وسحبان إنما تكلم بلسانك"[378].

فالشاعر استعان بتوظيف (فخذيك، رجليك، يديك، لسانك) وهي أعضاء تتوفر في جسم الإنسان إذ تترابط وتتكامل لتشكل كلا موحدا.

كما وظف الشاعر الاستبدال الفعلي، حيث استبدل فعلا مكان فعل آخر في قوله: "وأبقراط علم العلل والأمراض بلطف حسك، وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك"[379]. فالمستبدل هو الفعل "علم" والمستبدل منه هو "عرف" فقد تم في المستوى النحوي المعجمي، فهما يشتركان في الدلالة وبذلك نشأت بينهما علاقة الربط.

وقوله أيضا: "من علمت صبوتي إليه، وشهدت مساعفتي له"[380]. فالفعلين (علمت، شهدت) متقاربان، وهذا ما جعل الشاعر يستبدل الأول بالثاني، ويبقى المعنى متنقل ومستمر من جملة إلى أخرى.

ويواصل الشاعر حديثه بقوله: "وهل يجتمع لي فيك إلا الحشف وسوء الكلية، ويقترن علي بك إلا الغدة والموت في بيت سلوليه"[381].

فالملاحظ هو استبدال الشاعر للفعل (يجتمع) بالفعل (يقترن)، ذلك أن الاقتران والاجتماع متشابهان ومتقاربان في الدلالة، فالمستبدل هو (يجتمع) والمستبدل منه هو (يقترن).

واستخدم الشاعر الفعل (أفعل) وهو استبدال فعلي، في قوله "وهممت ولم أفعل وكدت، وليتني"[382]، إذ نجد (أفعل) هو المستبدل منه لفعل محذوف، قد يكون تقديره (أضرب، أنتقم، ...)، مجموعة من الاحتمالات الممكنة استغنى عنها بلفظ، "أفعل".

377- نفسه.
378- نفسه، ص 4.
379- نفسه، ص 6.
380- نفسه، ص 14 .
381- نفسه، ص 16.
382- سلسلة الروائع، ابن زيدون، الرسالتان ومقطعات شتى، فؤاد أفرام البستاني، ص 9.

وفيما يخص الاستبدال القولي، فنجد قول الشاعر: "الساقط سقوط الذباب على الشراب، المتهافت تهافت الفراش إلى الشهاب" [383]، فهو استبدل الجملة الأولى وهي "المستبدل" بجملة ثانية هي "مستبدل منه". وهذا تهكمنا بمنافسه بلحاقه بولادة، إذ وصفه بأقبح الصفات وشبهه بالحشرات والذباب المتساقط، فكانت الجملتان تصبان في اتجاه واحد، مما أضفر حسا موسيقيا على الرسالة.

كما استبدل عبارة بعبارة أخرى في قوله "حتى خيلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه، وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنه" [384]. فالجملة الأولى تدل على الجمال الفائق لدى (ابن عبدوس) وهذا بذكر يوسف عليه السلام، والجملة الثانية مرتبطة دلاليا بالأولى، ذلك أن ذكر امرأة العزيز في الثانية يدل على جمال منافسيه، من باب السخرية والاستهزاء. وقصة يوسف عليه السلام مذكورة في القرآن الكريم، بقوله تعالى: (قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) [385]. إلا أن الشاعر في هذه الرسالة يريد إنزال منافسه منزلته، والتهكم به، وقد استطاع أن يجعل القارئ يحس بترابط عناصرها وتسلسل أفكارها، بتوالي الجمل وتماسكها.

وما جاء في قوله: "وأن صناعة الألحان اختراعك، وتأليف الأوتار والأنقار توليدك وابتداعك"[386]. إذ استبدل الشاعر جملة بجملة ثانية وهما متقاربتان في المعنى والدلالة، فمن الأوتار والأنقار" آلات الطرب" تصدر الألحان، وكذا "اختراعك، توليدك، ابتداعك" كلها إنتاج وإبداع وهذا ما يضمن استمرارية الدلالة في الجمل وترابطها، مما يؤدي إلى انسجام الرسالة ككل.

ونفس الشيء بالنسبة للإستبدال القولي في العبارتين: "وأنك لو شئت خرقت العادات وخالفت المعهودات" [387]. فالمستبدل هو الجملة الأولى والمستبدل منه هو الجملة الثانية، وهما مرتبطتان دلاليا، فخرق العادات يشبه مخالفة المعهودات، وهما متعلقان ببعضهما البعض.

383- نفسه، ص1.
384- نفسه، ص2.
385- سورة يوسف الآية -51-
386- الرسالة، سلسلة الروائع، ابن زيدون، الرسالتان ومقطعات شتى، فؤاد أفرام البستاني، ص6 .
387- نفسه، ص 7.

وقوله أيضا: " كلامك تمتمة، وحديثك غمغمة، وبيانك فهفهة"(388)، أيضا الشاعر هنا استبدل قولا بالقول آخر مقارب له، "فالكلام والحديث والبيان" تشترك هذه الألفاظ في الدلالة، وترتبط ببعضها، فهو جاء بجمل تعبر عما يريد إبلاغه في صيغ متنوعة.

وأيضا مما ذكر قوله: "إن الأشياء إنما تنجذب إلى أشكالها، والطير إنما تقع على أمثالها"(389)، وبنفس الطريقة استبدل الشاعر الجملة الأولى بالثانية مقاربة لها في المعنى، فظاهرة الانجذاب إلى نفس الأشكال تشترك في بعض الخصائص مع وقوع الطيور على أمثالها وهذا لاستخدام الشاعر الجمل المترابطة، توحي إلى انسجام الرسالة.

ومما هو ظاهر في هذه الرسالة من استبدال قولي، قول الشاعر: "ومتى كثر تلاقينا؟ واتصل ترائينا؟"(390)، بحيث استبدل الجملة الأولى بالثانية، وهما ملتحمتان بالالتقاء يحصل الاتصال والترائي، وبذلك حدث التماسك مما يعين على الترابط النصي.

وقوله أيضا: "وعطرت أردانك، وجدرت هميانك، واختلت في مشيتك، وحذفت فضول لحيتك، وأصلحت شاربك، ومططت حاجبك، ورققت خط عذارك، واستأنفت عقد إزارك"(391)، فهذه الجمل تمثل استبدال قولي، ذلك أن الشاعر جاء بها متصلة مترابطة تحمل دلالات متقاربة متوازية، مما يضمن استمرارها بتدرج من بداية الرسالة إلى نهايتها، فقد قام الشاعر بإستبدال أولها مما يليها بتنويع المفردات والعبارات، وتتعلق هذه الأخيرة بالجمال والنظافة والأناقة، وهذه خاصة بالإنسان، وذكر ما يتعلق بالوجه من "لحية، شارب، حاجب..." فهي تكمل بعضها البعض.

ثم واصل حديثه إذ جاء: "رجاء الاكتتاب فيه، وطمعا في الامتداد منه"(392)، فالرجاء يرتبط بالطمع، وبينهما علاقة ما، وكذا الاكتتاب في قائمة ما، يؤدي إلى الاعتداد منها، الجملتين متماسكتين لذلك استبدل الشاعر الأولى بالثانية، تعويضا لنا، وامتدادا لمعناها.

388- نفسه، ص11.

389- نفسه.

390- نفسه، ص 13.

391- نفسه، ص15.

392- السابق.

ومن الاستبدال القولي، نجد قول الشاعر: "ولا كنت إلا ذاك!"[393]. فالشاعر هنا استعمل عنصرا لغويا لاستبدال القول أو العبارة المحذوفة، وهذا العنصر يتمثل في "ذاك"، فقد يعني به الشاعر صفة من الصفات القبيحة المذمومة، وهذا قمة الاحتقار والازدراء.

وبنفس اللفظ "ذاك" استبدل الشاعر به قولا، وهذا في بيت شعري لأبي العتاهية:

هب الدنيا تصير إليك عفوا *** أليس مصير ذاك إلى زوال[394].

فـــ "ذاك" هو المستبدل منه والعبارة "هب الدنيا تصير إليك عفوا" هي المستبدل، وهذا لتفادي التكرار والاختصار، إلا انه غير مخل.

أيضا من الاستبدال القولي: " وإن بادرت بالندامة ورجعت على نفسك بالملامة"[395]، فالجملتان مترابطتان، إذا المبادرة بالندم فيه لوم على النفس وحسرة وندم. فهو استبدل الجملة الأولى بالثانية مقاربة لها في المعنى وتشترك معها في بعض الخصائص والمميزات، فجاءت في شكل تسلسلي، بتوظيف الشاعر مفردات معجمية وعبارات دالة دلالات متقاربة في صور وأشكال متنوعة.

وبهذا كان للاستبدال دور بالغ الأهمية في ترابط عناصر الرسالة، وجعلها متماسكة من بدايتها إلى نهايتها، كما منحها شكلا منسجما تسهل على القارئ الفهم والوصول إلى أسراره.

وما بين انسجام الرسالة أيضا توفرها على مظهر آخر من مظاهر الانسجام ألا وهو "الحذف"، فهو يربط بين عناصرها، وبين النماذج التي تثبت وجود هذا العنصر نذكر مايلي:

قوله في بداية الرسالة: "أيها المصاب بعقله، المورط بجهله، البين سقطه، الفاحش غلطه، العاثر في ذيل إغتراره، الأعمى عن شمس نهاره، الساقط سقوط الذباب على الشراب، المتهافت تهافت الفراش إلى الشهاب" [396]، فلا شك أن الشاعر في الجملة ثانية وما بعدها من الجمل استغنى عن توظيف "أيها" المذكور في الجملة الأولى، ولكنها حاضر فيها، لأن الكلام ينبني على النحو التالي: "أيها المصاب بعقله، أيها المورط بجهله، أيها البين سقطه،... أيها المتهافت تهافت الفراش إلى الشهاب"، فالحذف ربط بين الموجود والغائب

393- نفسه.
394- نفسه، ص12.
395- نفسه، ص 17.
396- السابق، ص1 .

وهذا ما يقتضي منه العودة إلى الموجود ليتوسل به إلى استخراج الغائب، لملئ الفراغ الذي يتركه غياب السابق في الجملة اللاحقة، ثم لأن السابق يبقى مستمرا وموجد في اللاحق من أوصال النص، رغم حذفه وإخفائه، وهو ما يمثل الامتداد بين وحدات النص بما يكفل انسجام بنائه.

ويمكن أن نقدم –أيضا– النموذج التالي، الذي يجسد نوع آخر من الحذف: "زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه، والإنسانية اسم أنت جسمه وهيولاه"[(397)]. فقد ذكر اللفظ "الزعامة" في الجملة الأولى، وأخفاها وحذفها في الجملة الثانية اللاحقة بها، فالقارئ لهذه الجمل يجد المرجعية متحققة بينهما، وهي مرجعية داخلية سابقة، ذلك أن العلاقة هي بين المذكور والمحذوف على الترتيب، وهذا الحذف هو حذف اسمي، لأنه حذف اسم داخل مركب اسمي، كما يظهر الحذف الاسمي في قوله: "وحاتما إنما جاد بوفرك ولقي الأضياف ببشرك"[(398)]، فهو ذكر "حاتما" في الجملة الأولى، وحذفه في الجملة الثانية، وهو حذف اسمي أيضا، فالأصل هو: "... وحاتما لقي الأضياف ببشر"، إلا أن الحذف أبين وأبلغ من الذكر، وهذا لأن سياق الجمل يوضح المعنى بدون ذكر محذوف، والجمل جاءت مترابطة ومتماسكة، دون بروز خلل فيها.

وأيضا قوله: "والمهلّب أوهن شوكة الأزارقة بأيدك، وفرّق ذات بينهم بكيدك"[(399)]، فقد ذكر "المهلّب" في الجملة الأولى واستغنى عنه في الجملة الثانية، إلا انه ترك دليلا يدل عليه، وهو الضمير المستتر "هو" في الفعل "فرّق"، وهذا مما زاد في ربط الجملتين فالدليل يرشد القارئ لمعرفة ما هو مناسب لملئ الفراغ أو الفجوة التي تركها المحذوف، وهذا ما يسمح للقارئ التحليل والتأويل.

كذلك لنلاحظ الآتي: "قاطعت أنك إنفردت بالجمال، واستأثرت بالكمال، واستعليت في مراتب الجلال، واستوليت على محاسن الخلال"[(400)]. فالشاعر قد حذف عنصر لغوي في الجملة الثانية وما بعدها، وهو "أنك"، ورغم إخفاءه فإن القارئ يتبينه من النص والسياق الذي وضعت فيه الجمل، فهو يتحرى لكشفه، ومعرفة ما يملئ مكانه، وهذا بالربط المعنوي.

---

[397]- نفسه، ص2.
[398]- نفسه، ص4 .
[399]- نفسه، ص5
[400]- نفسه، ص2.

وفي موضع آخر من الرسالة، نجد لجوء الشاعر إلى استعمال الحذف باعتباره الأفصح والأبلغ، وهذا في قوله: "وأبقراط علم العلل والأمراض بلطف حسك، وجالينوس عرف طباع الحشائش بدقة حدسك، وكلاهما قلدك في العلاج"[401]. فالملاحظ في الجملة الأولى ذكر: "أبقراط" ، وفي الثانية ذكر" جالينوس" ويسمى خاتم الأطباء والمعلمين، أما في الجملة الثالثة، فإنه حذفهما، وأبقى على دليلا يدل عليهما، وهو"كلاهما"، فالجملة كانت تتبني على النحو الآتي: "... وأبقراط وجالينوس قلداك في العلاج"، إلا أن الشاعر أحسن القول بتوظيفه للحذف، فهو تجنب التكرار، وبقي السياق دالا عليه، وجاءت الجمل مترابطة دلاليا مما يخدم انسجام النص.

وبعد ذلك مباشرة ربط الشاعر الجمل الموالية بالسابقة، حيث قال: "وسألك عن المزاج، واستوصفك تركيب الأعضاء واستشارك في الداء والدواء"[402]، فقد عمد الشاعر إلى هذه الظاهرة "الحذف" لأن السياق الذي ذكرت فيه الجمل يوضح المقصود، فاستغنى بذلك عن الذكر.

بالإضافة إلى ما ذكر، نصادف موضعا آخر من مواضع الحذف أيضا في قوله: "وأنك الذي أقام البراهين، ووضع القوانين، وحد الماهية، وبين الكيفية والكمية، وناظر في الجوهر والعرض، وميز الصحة من المرض، وفك المعمى، وفصل بين الاسم والمسمى، وضرب وقسم، وعدل وقوم، وصنف الأسماء والأفعال، وبوب الظرف والحال، وبنى وأعرب..." [403]، فقد ذكر الشاعر في أول الجمل "أنك الذي"، وحذفها في باقي الجمل اللاحقة، فهو حذف داخل ما يشبه الجملة، فنجد القارئ يستخدم ذهنه ليجوب فضاء النص، ويربط بين الموجود والغائب، لأن حريته تتجسد في ملئه الفراغ، وإعادة تشكيل النص عن طريق إسقاط ما يمليه عليه السياق الذهني والنفسي والثقافي على سياق الفقرة بتأويل شخصي توجهه الإشارات المتاحة في النص، إذ بعد الهدم والتفكيك يعيد البناء من جديد بصيغة جديدة، إذن فغياب السابق في الجمل اللاحقة يترك فراغ إلا أنه يبقى مستمر وموجود في النص، وهذا ما يبين تشكله المنسجم.

401- نفسه، ص6.
402- نفسه.
403- نفسه، ص7.

كما نجد الحذف الفعلي في قوله: "وأشار بذبح الجعد، وقتل بشار ابن برد" [404]. فقد ذكر الفعل "أشار" في الجملة الأولى، وحذفه واستغنى عنه في الجملة الثانية، وهذا لتجنب التكرار، كما أن سياق الجملة يعين على تحديد المحذوف ودلالته.

وقد أعنى الشاعر رسالته بظاهرة الحذف التي تزيدها تماسك وارتباطا، فنجد أيضا في قوله: "وذكرت أني علق لا يباع مما زاد، وطائر لا يصيده من أراد، وغرض لا يصيبه إلى من أجاد"[405]، فالملاحظ أنه ذكر الفعل "ذكرت" في الجملة الأولى بعدها حذفه فيما بحق من الجمل، فبناء الجمل يكون على النحو التالي: "وذكرت أنني علق...، وذكرت أني طائر...، وذكرت أني غرض..."، فهو إضمار لبعض عناصر الجمل مع عدم الاختلال بالمعنى وهذا يترك مجالا وفضاء واسعا لتأويل القارئ، والبحث عما هو خفي، استعانة بالموجود والمذكور.

وأيضا من الحذف الفعلي، قول الشاعر: "ما كنت لأتخطى المسك إلى الرماد، ولا لأمتطي الثور دون الجواد"[406]، فقد استغنى عن الفعل "كنت" في الجملة الثانية إلا انه حافظ على تسلسلها وتماسكها.

كذلك قوله: "بعثت من يزعجك إلى الخضراء دفعا، ويستحثك نحوها وكزا وصفعا"[407]، فالحذف وقع في الفعل "بعثت"، حيث ذكره في الجملة الأولى، وأخفاه في الثانية، فبناء هذه الأخيرة على هذا النحو: "... وبعثت من يستحثك نحوها وكزا وصفعا" ويبقى الحذف أبين وابلغ من الذكر.

وبذلك جاءت الرسالة مترابطة العناصر لغويا ودلاليا، فالشاعر استعان بتوظيف ظاهرة الحذف التي تكتفي بالمبني المضارع لإعطاء المعنى المقصود، وهذا بالتخلي عن الحاضر في الجملة السابقة عند الانتقال إلى جملة لاحقة. وبذلك يكون الحذف قد ساهم بدوره في انسجام هذه الرسالة.

وبعد الحديث عن الحذف سيتم الانتقال للحديث عن مظهر آخر يساهم بدوره أيضا في انسجام الرسالة، ويختص بالمفردات المعجمية، وهذا المظهر هو"الاتساق المعجمي" باعتباره علاقة اتساقية بين عناصر النص عن طريق التكرار والتضام.

404- نفسه.

405- نفسه، ص12.

406- نفسه، ص 14.

407- نفسه، ص 18.

ومن المصاحبة اللفظية ما جاء في قول الشاعر:"مرسلا خليلتك مرتادة، مستعملا عشيقتك قوادة"[408] فلفظ "خليلة" مرادف للفظ "عشيقة"، وهو ترادف دلالة لا غير ،فالخليلة هي الصاحبة، وتحمل دلالة العشيقة، فاشتراك اللفظين في بعض المميزات يعمل على خلق الاتساق في الرسالة، وأيضا قوله: " ... في أنها قلتك إذ لم تظن بك، وملتك إذا لم تغرى عليك"[409]، فالفعل "قلتك" والفعل "ملتك" يشتركان معا في الدلالة، ذلك أن الملل يؤدي إلى الكره والبغض، وقد عبر الشاعر عن لسان محبوبته لإبعاد منافسه عنها، وذكر عيوبه، وما توصل إليه مع عشيقته، كذلك اللفظين "قلتك، ملتك" ينتميان إلى مجال واحد، فبينهما علاقة بيانية وهذا ما يعد تضاما وهو تكرار بحيث يضفي على الرسالة اتساق معجميا يسهم في انسجامها.

وأيضا ما وظفه الشاعر في اتساق معجمي هو قوله: "... والإنسانية اسم أنت جسمه وهيولاه، [410]، فالواضح والجلي في هذه الجملة ورود اللفظ "جسم" ولفظ "هيولى"، وهما مرتبطان ببعضهما، وبينهم علاقة الكل بالجزء، فالهيولى هي الصورة التي يكون عليها الجسم، وهي مادة مركبة لخلايا الجسم، وهذا الأخير عبارة عن مجموعة من الخلايا إذ أن خلية تضم إلى خلية، والثانية إلى ثالثة إلى أن تشكل نسيجا خلويا يتجسد في جسم الإنسان، فالهيولى جزء من الجزم "الكل" فهما على علاقة وارتباط، وهذا ما أدى إلى ترابط عناصر الرسالة، بتوظيف هذه الألفاظ المتسقة.

ومن المصاحبة اللفظية أيضا: "قاطعت أنك انفردت بالجمال، واستأثرت بالكلام، واستعليت في مراتب الجلال، واستوليت على محاسن الخلال"[411]. فقد استخدم الشاعر ألفاظ تشترك في بعض الحروف الهجائية المكونة لها، وهو على مستوى الشكل الصوتي، وليس محضا، وتتمثل هذه الألفاظ في " الجمال، الكمال، الجلال، الخلال"، وهو ما يمثل مصاحبة لفظية، ونجده قريبا من الجناس الناقص.

ونفس الشيء بالنسبة لقوله: "وأن قارون أصاب بعض ما كنزت، والنطف عثر على فضل ما ركزت"[412]، قوله: "والاسكندر قتل دارا في طاعتك، وأردشير جاهد ملوك

408- نفسه، ص 2.
409- نفسه.
410- نفسه.
411- نفسه، ص2.
412- نفسه، ص 3.

الطوائف لخروجهم عن جماعتك"[413] فالشاعر استخدم المصاحبة اللفظية بالفعلين "كنزت، ركزت"، لما نجده من اشتراك في المعنى بينهما، فكنزت منه الكنز، وركزت ومنه الركاز وهو بمثابة الكنز إذ أنه يقوم على التوهم فقط، ويمثل اتساق معجميا لتنويع المفردات المعجمية، وبها جاءت الجملتين في تسلسل حلقي، يعين القارئ على الفهم الصحيح، أما الفعلين "قتل، جاهد" فهو أيضا مصاحبة لفظية لكنه جزئي، فالقتال والجهاد يصبان في اتجاه واحد، وهو الكفاح والمحاربة، وقد جعل المعنى أكثر قوة وإيحاء.

كذلك ما جاء في قول الشاعر: "وكليب ابن ربيعة إنما حمى المرعى بعزتك وجساس إنما قد قتله بأنفتك، ومهلهل غنما طلب ثأره بهمتك"[414]، فقد وقع في هذه الجمل مصاحبة لفظية جزئية بالمعنى فقط في "عزتك، أنفتك، همتك"، فالعزة والأنفة ورفع الهمة صفات تجعل صاحبها عزيزا كريما له مكانة في مجتمعه، فهذا لتعبير عن مسمى بأشكال مختلفة، وهذا ما يخلق التواكب.

وأما قوله: وزيد ابن مهلهل إنما ركب بفخذيك، والسليك ابن السلك إنما عدا على رجليك، وعامر ابن مالك إنما لاعب الأسنة بيديك"[415]، فقد ذكر ألفاظ وهي: "فخذيك، رجليك، يديك"وهي أجزاء من الجسم، وبينها علاقة الجزء بالجزء، إذ تتكامل لتساهم في بناء وحدة واحدة، ويسمى ذلك بالتضام، لاتصالها ببعضها البعض، وتضامها، وكذا بالنسبة للأفعال "ركب، عدا، لاعب" فهي توحي بانتمائها إلى مجال واحد، وهو مجال الرياضة والعدو والألعاب، ويعد تضاما يمنح الاستمرارية للإنسجام في الرسالة.

كما استمر ترابط عناصر النص بقوله "وأن الحجاج تقلد ولاية العراق بجدك، وكتيبة فتح ما وراء النهر بسعدك، والمهلب أوهم شوكة الأزارقة بأيدك، وفرق ذات بينهم بكيدك"[416]. فالمصاحبة اللفظية وقع في هذه الجمل، عن طريق صف مجموعة من المفردات لأواخرها "جدك، سعدك، أيدك، كيدك"، وهذه الألفاظ تشترط في بعض الأصوات وتحقق اتساق معجميا باعتبارها مصاحبة لفظية، وافتقادها إلى المصاحبة اللفظية المحضة، إلا أنها تساهم في خلق روابط بين الجمل والعبارات، وينتج عنها الانسجام النصي.

413- نفسه.
414- نفسه.
415- نفسه، ص4.
416- نفسه، ص 5.

وإذا تتبعنا كيفية تحقق الانسجام في الرسالة، وجدنا قوله "وأبقراط علم العلل والأمراض بلطف حسك"[417]، فـــ "العلل، الأمراض" ترادف لغوي، بحيث يحمل اللفظين دلالة واحدة مع اختلاف في الصيغة والتركيب، وبعدها جاء قوله: "... واستشارك في الداء والدواء"[418]، إذا وقع اتساق معجمي بالتضام وتجسد في التضاد الحاد "الداء، الدواء" فهو غير متدرج، لذلك أعطى معنى قوي، له وقع كبير في الربط النصي.

إضافة إلى ذلك نجد: "وأعطيت النظام أصلا أدرك به الحقائق، وجعلتا للكندي رسما استخرج به الدقائق"[419]، فالشاعر هنا ختم الجملة بلفظين حققا اتساقا معجميا، هما "الحقائق،الدقائق" وهو ربط يربط بين الجملتين، إذ تشترك المفردتان في عدد من الحروف الهجائية المركبة لها، فهو مصاحبة لفظية تساهم في انسجام الرسالة.

زد على ذلك قول الشاعر، وناظر في الجوهر والعرض وميز الصحة من المرض"[420]، إذا نجد التضام في "الجوهر، العرض"، "الصحة، المرض" وهو تضام عن طريق التضاد، وهو قريب من النقيض، كما أنه يمثل التوازي، وهذا أكثر ربط لأجزاء النص.

ثم واصل الشاعر حديثه بقوله: "... وفصل بين الاسم والمسمى وضرب وقسم، وعدل ، وكون، وصنف الأسماء والأفعال وبوب الظرف والحال وبان وأعرب، ونفى وتعجب، ووصل وقطع، وثنى وجمع، وأظهر وأضمر، واستفهم واخبر..." [421]، ففي هذه السلسلة من الجمل يظهر جليا الاتساق المعجمي، وبتعدد طرقه، إذا نجد المصاحبة اللفظية "الاسم، المسمى، الأسماء" بتغيير الصيغ وهو مع اختلاف المرجع، فهذه الألفاظ عبارة عن اشتقاقات، تشترك في لفظ "اسم"، فهي تشترك في أحرف عدة، وهذا ما يخلق تماسك، ونجد الترادف في "عدل، قوم" وهو ترادف دلالة لا غير، بحيث لهما دلالة واحدة، وفي "وصل، قطع"، "أظهر، أضمر" ، "استفهم، أخبر" فهي عبارة عن تضام باستعمال التضاد الحاد، وكلما كان حاد كان أكثر تحقيقا للانسجام. كما أن مجموعة من الألفاظ تصب في مجال واحد، وترمي إلى نهج مشترك، إذ نجد "الأسماء والأفعال، الظرف والحال، بنى

417- نفسه، ص 6.
418- نفسه.
419- نفسه.
420- نفسه، ص7.
421- نفسه.

وأعرب، وصل وقطع..." كلها توحي إلى البحث اللغوي والدراسات اللغوية، وما يخص النحو والبلاغة، وأيضا هذا ما يمثل التضام لانتماء هذه المفردات إلى مجال واحد.

وما هو جليا أيضا في الرسالة قول الشاعر: " ونقلت غدا فصار أمسا [422]، فاللفظين "غدا، أمسا" متنافران، وهذا ما يشبه التضاد، إذ أنه مرتبط بالزمن، ويندرج ضمن التضام، ولأنه يختص بالمفردات فهو اتساق معجمي.

وأما قوله "ولم تجد لرمح مهزّا، ولا لشفرة محزّا"[423] فـــ "الرمح، الشفرة" كلاهما حاد، وكلا منهما يؤدي إلى الجرح، فهما ينتميان إلى مجال واحد، ويصبان في مصب واحد، وهذا يمثل التضام، اما بالنسبة للفظين "مهزّا، محزّا" فيمثل مصاحبة لفظية جزئية لإشتراكهما في بعض الأصوات المشكلة لهما.

كما نجد في الرسالة المصاحبة اللفظية المحضة بحيث يصاحب اللفظ بحد ذاته أكثر من مرة، ومنه قوله: "عجائب حتى ليس فيها عجائب" [424] فهو يعطي الرسالة قوة السبك والحبك.

وما يمثل الاتساق المعجمي أيضا نجد: " ونخرت، وكفرت، وعبست، وبصرت" [425] فهي أفعال تدل على الغضب والقلق، فالنخير هو صوت يخرج من الأنف من شدة الغضب، والبسر يعني القطوب "وجوه باسرة يعني كالحة" فرغم تميز هذه الألفاظ عن بعضها إلا أنها متجمعة حول محور واحد ثابت، وبعد ذلك ذكر الشاعر الفعلين "أبرقت، أرعدت" فالبرق و سماع صوت الرعد ظاهرتان متلازمتان، بذلك يكون الفعلين عبارة عن تضام، لانتمائهما لمجال واحد.

ونصادف أيضا قوله: "ولم تعرك شهادة، ولا تكلفت لك زيادة"[426]. فالكلمتان "شهادة، زيادة" تشتركان في بعض الأصوات وهذا قريب من الجناس الناقص، فهي مصاحبة ليس بمحضة بل شبه جزئية فقط. ويتبع قوله: "هجين القذال، أرعن السبال، طويل العنق والعلاوة، مفرط الحمق والغباوة، جافي الطبع، سيئ الجابة والسمع، بغيض الميعة، سخيف الذهاب والجيئة ظاهر الوسواس، منتن الأنفاس، كثير المعايب، مشهور

422- سلسلة الروائع، ابن زيدون، مرجع سابق، ص7 .
423- نفسه، ص8.
424- نفسه، ص9.
425- نفسه.
426- نفسه، ص10.

المثالب، كلامك تمتم وحديثك غمغمة وبيانك فهفهة وضحكك قهقهة"[427]، إذ جاءت هذه الجمل منسجمة ومترابطة، باستخدام الشاعر ألفاظ تحقق اتساقا معجميا، وهذا دليلا على امتلاكه لأساليب اللغة، وتمكنه من التنويع في التوظيف، فنجد: "القذال، السبال"، "العلاوة، الغباوة"، "الطمع، السمع"، "الهيئة، الجيئة" ،"الوسواس، الأنفاس"، "المعايب، المثالب"... إلخ، عبارة عن ثنائيات مفرداتية متنوعة، فكل جزء يشترك في حروف معينة فيشكل بذلك ما يشبه المصاحبة اللفظية فالشاعر يأتي بلفظ ثم يأتي ببديل له، فهو ينتقي اللفظ المناسب في مكانه المناسب، ويبقى هذا ما يعين القارئ على الفهم والتحليل والتأويل، وبه جاءت الرسالة منسجمة.

وكذا قول الشاعر في موضع آخر: "فوجودك" عدم والاغتباط بك ندم، والخيبة منك ظفر، والجنة معك سقر، كيف رأيت لؤمك لكرم كفاء؟ وضعتك لشرفي وفاء؟ وأنى جهلت ان الأشياء إنما تنجذب إلى أشكالها؟ والطير إنما تقع على أمثالها؟ وهلا علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان؟ وشعرت أن المؤمن والكافر لا يتقاربان، وقلت الخبيث والطيب لا يستويان"[428] والملاحظ في هذه الجمل ذكر ألفاظ معجمية متناسقة في نهايتها، بحيث نجد: "عدم، ندم"، "ظفر، سقر"، "كفاء، وفاء"، "أشكالها، أمثالها"، كلها تمثل اتساقا معجميا جاء على شكل مصاحبة لفظية، فكل ثنائية تشترك كلماتها في بعض الحروف إلا أن له دور فعال في انسجام الرسالة وإعطاءها حسا موسيقيا، وبالإتيان بألفاظ عديدة ومتقاربة يتضح المعنى ويزول الغموض والإبهام.

أما فيما يخص" الشرق، الغرب"، "المؤمن، الكافر"، "الخبيث، الطيب"، فهو تضام تحكمه علاقة التضاد، جاء بدوره حادا غير متدرج، وهذا ما خلق ضغط نصي ويمنحه الاستمرارية والتضاد يوضح معاني الألفاظ، ويبسطها للقارئ، فإن وقع وأن صادف القارئ لفظ مبهم غير واضح، فبذكر ضده يتجلى معناه، فالشاعر جاء بألفاظ ساهمت في ربط عناصر الرسالة ربطا محكما لغويا ودلاليا.

أضف إلى ما ورد نجد قوله: " إن علق لا يباع ممن زاد، وطائر لا يصيده من أراد، وغرض لا يصبه إلا من أجاد"[429] فالمفردات أو لنقل الأفعال "زاد، أراد، أجاد"

427- نفسه، ص11.
428- نفسه.
429- نفسه، ص 12.

تشترك في بعض الحروف، كما أنها تحمل زمن الماضي، وبها جاءت الجمل متسلسلة، وهي أيضا بدائل متنوعة من المفردات المعجمية، فهي بدورها تساهم في خلق الانسجام.

ويليها قوله: "... قد تهيأت للتهنئة، ترشحت للترفئة" [430]، فنجد "التهنئة، الترفئة" لفظان لهما نفس الصيغة ويشتركان في بعض الحروف، وهذا ما يمثل المصاحبة اللفظية عمد إليها الشاعر لربط عناصر الرسالة، وضمها إلى بعضها البعض، وهذا يعكس ثرائه اللغوي، وقدرته على منح الامتداد المعنوي للألفاظ وبذلك العبارات، لجمع شتاتها من البداية على النهاية.

وأيضا قول الشاعر، في نفس السياق "...رواية الأشعار، وتعاطيك حفظ السير والأخبار"[431]، فالثنائية "الأشعار، الأخبار" تمثل أيضا مصاحبة لفظية، وهي عامل من عوامل الربط النصي.

ونجد قوله: "زوج من عود، خير من قعود"[432] فنجد "عود، قعود" هو شبه تكرار قريب من الجناس الناقص، ثم يتبعه بقوله "لارتفعت عن هذه الحطة وما رضيت بهذه الخطة" [433] أيضا الثنائية "الحطة، الخطة" عبارة عن مصاحبة لفظية، يشترك فيه اللفظين في عدد من الأصوات المشكلة لهما وقوله "النار ولا العار"[434] و"المنية ولا الدنية"[435] فهي روابط تربط مكونات الرسالة وتجمع بين أجزائها المبعثرة ونفس الشيء بالنسبة لـــ "الرماد، الجواد"، "الهشيم، الجحيم" فهي مصاحبة لفظية، استعان بها الشاعر لتحقيق انسجام الرسالة.

أيضا قول الشاعر: "حذفت فضول لحيتك، وأصلحت شاربك، ومططت حاجبك"[436] فـــ "اللحية، الشارب، الحاجب" أجزاء من الوجه تكمل بعضها وتتضام لتشكل وحدة واحدة، وبينها علاقة الجزء بالجزء وهو التضام.

وقد واصل الشاعر توظيف الاتساق المعجمي في رسالته هذه، فنجد: "الحسب، الأدب"، "لكاع، ذراع"، "الظاهرة، الوافرة"، "بيره، غديره"، "ذرعك، ظلعك"، "العتاب، العقاب"، "الندامة، الملامة"، تمثل هذه الثنائيات باعتبارها تشترك في بعض الحروف وهذا كل زوج

430- نفسه.
431- نفسه.
432- نفسه، ص14 .
433- نفسه.
434- نفسه.
435- نفسه.
436- نفسه، ص15.

على حدى وهناك عنصر التكرار الذي ورد التكرار الكلي المحض في قوله، "... اشتريت العافية لك، بالعافية منك"[437] فالفظ العافية كرر مرتين، وهو تكرار مع وحدة المرجع، فالمسمى واحد، وله دور في ربط جمل النص وعباراته، وبذلك خلق الانسجام.

أما ما جاء في آخر الرسالة من تكرار، وهو تكرار محض، نجد الفعل (رأى) في زمن الماضي، كرر بعدها بتوظيف زمن المضارع "يرى" في قوله:

"فمن جهلت نفسه قدرة *** رأى غيره منه مالا يرى"[438]

والبيت الشعري للمتنبي في هجاء كافور، فهذا التكرار التام للتوكيد والتنبيه، يشكل اتساقا معجميا، ساهم في انسجام الرسالة ومجيئها في شكل مترابط متماسك

إذ لا يمكن إنكار الدور الذي يلعبه الاتساق المعجمي في تحقيق الانسجام النصي، وبذلك تحقيق عملية التأويل والفهم.

إضافة إلى ما ذكر سابقا، فإن انسجام الرسالة يبدو أيضا من خلال السياقات الموظفة من طرف الشاعر: ففي البداية جاء قوله: "أيها المصاب بعقله، المورط بجهله، البين سقط، الفاحش غلطه... وتخلف بعدها علي"[439]، فهذا السياق اللغوي جعل الجمل متسلسلة ومتوالية والشاعر هنا يصف منافسه بأبشع الصفات وأقبحها من (جهل، فحش، اعتزاز...) ثم أخذ يذكره بأفعاله الشنيعة. من إرساله لعشيقته حاملة للأخبار.

فهو استعمل الفظ لغوية معبرة عما يختلج في نفسه، وفق ما يريد لمتلقيه، وهذه الألفاظ منحت الرسالة قيمة جمالية، وحققت دلالة واضحة، وهذا ما يجسد السياق اللغوي، فهو يأتي بألفاظ متسقة. مثل "عقله، جهله"، "سقطه، غلطه"... إلخ، وهذه العوامل اللغوية من تطابق وترادف وتماثل تسهم في تحديد المعنى، وفق سياقها التداولي فالجملة في الرسالة ترتبط بما سبقها وبما يليها، وهذا ما يبين انسجامه.

كما تجنب الشاعر الانتقال من فكرة إلى أخرى، فبعد ذكر عشيقه منافسه، أخذ يبين شعورها نحوه، في عبارات متسلسلة متوالية.

وبعدها أشار إلى أسماء أعلام مشهورين بذكر زمن الماضي، فذكر يوسف عليه السلام، النطف، وكسرى، وقيصر، والاسكندر... إلخ وغيرها من ذاع صيتهم، ومنهم من

437- نفسه، ص 17.
438- نفسه، ص 18.
439- نفسه، ص 2.

ذكر في القرآن الكريم مثل: "يوسف عليه السلام، بلقيس، ومنهم من هم أسماء الملوك، وكذا من عرف بصفة جعلته خالدا من: جهاد، العقل، الشهامة، وأيضا قادة العرب مثل: جذيمة الأبرش، وبعض الفرسان مثل ملك بن نويرة.

فالشاعر يستهزئ بمنافسه ويسخر منه، بذكر ابرز العمالقة في شتى الميادين، وهذا للإطاحة به، وتعريفه قدر نفسه، فتحدث عن الجهل ثم عن المال بذكر يوسف عليه السلام وامرأة العزيز فجاء قوله: "حتى خيلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه، وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنه"[440].

وتحدث عن المال فقال: "والنطف عثر على فضل ما ركزت"[441]، والقتال والجهاد في قوله: "وأردشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عند جماعتك"[442]، فالجهاد رمز للشجاعة، فهذه صفات حسنة، وهذا ما يوحي إلى السياق الاجتماعي والبيئة التي ذكرها أكثر دلالة وتوضيحا، فجمع المال والشجاعة والمروءة صفات يتصف بها أفراد هذا المجتمع، مما يعين على فهم الرسالة وهو يذكرها ازدراء لمنافسه وتهكما به.

وبعدها مباشرة ربط هذه الجمل، وما تحمله من معاني وصفية بجمل متممة لها، وذلك بحديثه عن الطب، والعلاج، فذكر: (أبقراط)، (جالينوس)، ثم عرض إلى ذكر بعض العلوم المتنوعة، بزعم منه أنه منافسه صاحب هذه العلوم، ومؤسسها، ومبدعها، فأشار إلى القضاء، والكيمياء والموسيقى، والشريعة الإسلامية (مالك بن أنس). وقواعد اللغة وما يتعلق بالنحو، فالسياق الذي استخدمه الشاعر، بتوظيفه للعلوم المختلفة فهو الذي يحدد دلالة اللفظ.

وجاء الشاعر بعدها بجمل مرتبطة ومتسلسلة بما سبقها، بقوله: "لو شئت خرقت العادات، وخالفت المعهودات"[443]، وهذا ما يبين السياق الثقافي، ما يلعبه من دور فعال في تحديد المعنى.

وأما قوله: "ونخرت وكفرت، وعبست وبسرت"[444]، فهي تدل على ثورة غضبه، وقلقه الشديد، وهذا لحبه الشديد "لولادة"، وغيرته من منافسه، وهذا يحدد قوة انفعاله، باستخدام أمر السياق العاطفي، وقدرته على التأثير في القراء، إذ إنه ذهب يهدد ويتوعد

440- نفسه.
441- نفسه ، ص 3.
442- نفسه.
443- نفسه، ص7
444- نفسه، ص9.

بقوله" والعقوبة ممكنة إن أصر المذنب"[445]، ثم يعيد الثقة بنفسه ويذكر منافسه بمكانته عند "ولادة"، فيقول: "ووضعت الهناء مواضع النقب بما نسبته إليك"[446]، وهذا المثل يضرب لمن يضع الأشياء مواضعها، فكأن "ولادة" وضعت منافسه في مكانه الذي يلزمه، ولم تعره اهتماما، فجاءت العبارات مترابطة مستمرة.

وعاد مرة أخرى لتذكيره بصفاته القبيحة: "طويل العنق والعلاوة، مفرط الحمق والغباوة..." [447]، وهذا ما يوحي إلى أن الرسالة عبارة عن كتلة واحدة متماسكة. فلا فكاك فيها، فهذا امتداد لكلامه السابق، واستمرار له، فهو يريد إظهار حقيقة هذا الشخص، وإعطائه صورة ذميمة على لسان محبوبته، لتصديقه لكلامه وبذلك يبتعد عنها، فيفوز هو "بولادة"

فالرسالة تستمد انسجامه الداخلي من تواتر ذكر عيوب منافسه وكل ما سبق لم يشف غليل الشاعر، فراح يضيف ما يقنعه، إذ عاد مرة أخرى إلى ذكر الصفات الذميمة، بذكر من يضرب بهم المثل في الحمق والغباوة والعي...إلخ، فمنهم (باقل، هبنقة، طويس)، ففي بداية الرسالة كان يذم منافسه، ويستهزئ به في صور مجازية مع الاحتقار ثم أخذ يذمه بعدها مباشرة، ويوجه له الكلام مع تذكيره بمكانته ومقامه وهذا بذكر الألفاظ اللغوية تساعده على إبلاغ مقاصده وغاياته، فقد جاء بالاختلاف مثلا: (الشرق، الغرب)، (المؤمن، الكافر)، وهذا ما نجده في المعاجم اللغوية، فالسياق اللغوي يعين على تحديد المعنى، وتوضيح الدلالة.

وجاءت الجمل مترابطة فيما بينها، فقد هدد ووعد –كما ذكر سابقا– وأعاد الكرة في التهديد والوعيد لمنافسه، وهذا التوكيد في قوله: "لولا أن جرح العجماء جبار،للقيت من الكواعب ما لاقى يسار"[448].

فهذا ربط محكم بين عناصر النص، فهو نسيج متضام ومتسلسل .

وجاء قول الشاعر أيضا: "النار ولا العار"[449]، و"الدنية ولا المنية"[450]، و"الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها"[451]، وهذا يبين عفة محبوبته وارتفاعها عند كل حطة، فهي

445- نفسه، ص10.
446- نفسه.
447- نفسه.
448- نفسه، ص 12.
449- نفسه، ص .14.
450- نفسه.

شريفة عفيفة، كما تعود أهلها ومجتمعها، فهذه الأخلاق سائدة في مجتمعهم، فهم يحافظون على الكرامة والشرف والعرض، فهم أعزة غير أذلة، وهذا ما يبينه السياق الاجتماعي الذي وضعه الشاعر، فهو يرفع من قيمة محبوبته، وينزهها، وينزلها مكانة رفيعة، وهذا بذكر الخصال الحميدة المتواجدة في بيئتهم والتي شبوا وترعرعوا عليها.

هذا وقد أحسن الشاعر الربط بين هذه الجمل وما جاء بعدها من افتخار بنفسه، ورفع لمكانته ووزنه بقوله: "من أقمار العصر، ورياحين المصر، الذين هم الكواكب علوهم، والرياض طيب شيم"[452]، فهو يفتخر بقومه ونسبه، فجاء بيت شعري:

من تلق منهم تقل: لاقيت سيدهم *** مثل النجوم التي يسري بها الساري[453]

فكأنه يقارن ويوازن بين ما ذكر من أوصاف منافسه وبينه والقوم الذي ينتمي إليه، فشتان بين هذا وذاك، فاستطاع أن يأتي بأفكار متسلسلة وعبارات مترابطة دون إحداث خلل، واستعان هنا بتوفير سياق اجتماعي، لإبلاغ مقصده ، والإطاحة بمنافسه، فالقارئ يستعين بدور السياق الاجتماعي، وما يوضحه من معان، وتقريب الصورة الحقيقية لفهم الرسالة، وفهم رموزها، وفك شفراتها، للتوصل إلى المغزى المستخلص منها.

فالسياقات المتنوعة في هذه الرسالة تساهم في كشف خباياها بأسلوب التهكم والسخرية، والهزل، وهو أكثر تأثيرا وإبلاغا للمقاصد والغايات، وما بين انسجام الرسالة أكثر، هو استمرار الشاعر في ذكر أفعال منافسة بغية الاكتئاب فيهم قصوره في جهده وتحركاته، ومحاولته لتحسين صورته من (تجميل ولباس وتعطر)، إذ يستهزئ به ويسخر منه بتنويع الطرق ويوضح ذلك ما يمتاز به من ثقافة، كالنظافة في قوله: "وحذفت لحيتك، وأصلحت شاربك، ومططت حاجبك"[454]، فما اعتاد عليه القوم من إعطاء صورة جميلة لأنفسهم، وظفها الشاعر بوضع العبارات مع ربطها ربطا محكما في سياق ثقافي يسمح للقارئ بفهم الرسالة ومضمونها.

ثم يواصل الشاعر حديثه بالهزل والتهكم دائما، بقوله "ألست تأوي إلى بيت قعيدته لكاع؟"[455]، فهذه قمة الاحتقار والإهانة، وحاول التأثير في منافسه، باستعمال شتى

451- نفسه.

452- نفسه.

453- نفسه.

454- السابق، ص 15.

455- نفسه، ص16.

الطرق، والإلمام بجميع الجوانب، ويحاول إقناعه بالابتعاد عن "ولادة" وإخلاء السبيل له، وكل هذا جاء في ترابط وتسلسل العبارات.

وبعدها عمد مرة أخرى إلى المقارنة، بقوله: "الحشف وسوء كيلة"[456]، وأيضا ما يبين امتداد ترابط عناصر الرسالة، عودة الشاعر إلى التهديد والوعيد وتذكير منافسه بسوء العاقبة والنهاية، بقوله: " قد أعذرت إن أغنيت شيا، وأسمعت لوناديت حيا"[457]، و"حذرت سوء العقاب"[458]، و"أن العصا قرعت لذي الحلم"[459] وهذا في سياق عاطفي يبين قلقه الشديد وقوة تأثيره في القارئ وكذا قدرته على الإقناع، ثم يعود ويسترجع أنفاسه، ويمنحه مجالا للندم والتراجع، والابتعاد عن محبوبته.

وبذلك يصير مثل الذي يتوعد ولا يفعل .

فالشاعر في هذه الرسالة، تمتع بالسخرية والتهكم بمنافسه، أخرج ما كان يضيق صدره، فتحدث بما خطر على باله، فاختار السياقات المتنوعة لعباراته، فأحسن التعبير، واستطاع الإقناع والتأثير، ذلك أن القارئ يجد الرسالة في تسلسل تام، واستعمل التطابقات، والاختلاف، وهذا ما يعين على الفهم، وأشار إلى بعض العادات والتقاليد في سياق ثقافي، وبيئته محيطه بالمجتمع وهذا بتوفر سياق اجتماعي، ويستطع المتلقي تحديد درجة التأثير وقوتها في منافسه وقرائه.

فانسجام الرسالة واضح وجلي، من خلال ترابط عناصرها المكونة، وتسلسل أفكارها، بحيث تهدف إلى غاية واحدة، وهي السخرية والاستهزاء، ومحاولة التأثير فيه بالتخلي والابتعاد عن "ولادة" وهذا ما يبين حبه الشديد لها، ورغبته في الظفر بها دون سواه، كما أحسن تنويع السياقات بما يوافق حديث، لإعانة القارئ على الفهم الصحيح.

ما إذا انتقلنا إلى عنصر التأويل الذي هو من صنع القارئ، والتأويل يرتبط بالسياق الذي ذكر فيه النص، فالرسالة كلها هزل، وتهكم وسخرية، وهذا يدل على غيرة الشاعر من منافسه، وقصده الإحاطة به، وإبعاده عن "ولادة"، وقد بدأ الشاعر رسالته بنداء "أيها المصاب بعقله" [460]. وهذا النداء يحمل في طياته الكثير من السخرية والاستهزاء، وشرع في تعداد مساوئ عدوه، وتنزيله عليه بالتتالي وحصره من جميع الجوانب، وهذا

456- نفسه.
457- نفسه، ص17.
458- نفسه.
459- نفسه.
460- سلسلة الروائع، بن زيدون، مرجع سابق، ص 1.

ليؤثر فيه ويستطيع النيل منه، وقد أحسن الشاعر إذ جعل الرسالة على لسان "ولادة"، وهذا قمة الازدراء. وقد ذكر له عشيقته للدلالة على خيانته وعدم وفائه، أضف إلى ذلك ما ذكر آنفا، من بعض الصفات التي يتصف بها الإنسان من (جمال، رجولة، شجاعة...) فمنحه إياها وأغرقه فيها، وهذا يوحي إلى استهداف الشاعر له وإظهار عيوبه، ونشرها، وتوظيفها بصورة موحية وأكثر تأثير، فعبارات الرسالة توحي إلى عكس ما تظهر عليه، فهدف الشاعر بعيد غير قريب فهو بصدد توجيه ضربة قاتلة لمنافسه.

فوظف كل ما يملك من معارف ومعلومات، وربط بينها في شكل منسجم وأضفى عليه لمسة فنية أدبية، إذ جعل منافسه في منزلة (الملك والعالم، والشهم والشجاع والمدبر والمصلح والطيب البليغ...إلخ)، ليسخر منه، وقوله: "ولو لا أن للجوار ذمة، وللضيافة حرمة"[461]. فهو يتوعد ويذكر ما يمنعه من العقاب من جوار وضيافة، وهذا يوحي إلى اعتبار منافسه فاسد النسب، وغير منتسب إليهم، وانه سيأتي يوم ما ليرحل عنهم، وهذا ما يريح الشاعر، ويشعره بالاطمئنان.

ثم يواصل الحديث بأنه حبيب "ولادة"، في قوله: "ملؤها حبيبها وحسن فيها من تود"[462]. وهذا يدل على حبه الشديد لها، وتيقنه من مبادلتها له المشاعر، وكما يدل على اعتزازه، وافتخاره بهذا الحب. ثم عاد وتحدث عن عدم رغبة "ولادة" في رؤية منافسه، إذ جاء قوله: " فالمعيدي تسمع به لا أن تراه"[463]. وهذا مثل يضرب لمن خبره خير من مرآه، ثم واصل ذمه بتعداد مواصفاته، والتنويع في الألفاظ والعبارات التي ترمي إلى الكره الشديد والحقد الذي يحمله لمنافسه، فجاءت بذلك في شكل حلقي متسلسل، بحيث العبارة الواحدة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأخرى، إذ لا يمكن فصلها عن بعضها البعض.

وما يبين انسجام الرسالة أيضا، انتقال الشاعر للحديث عن عدم رضى "ولادة" بمنافسه، بقوله: "زوج من عود خير من قعود"[464]. وهذا تهكم بأن يحدث وأن ترضى به، فنقول هذه المقولة، وكأنها غير مرغوب فيها. وهو الوحيد الذي قصدها، ثم بعدها مباشرة يذكر شبان القوم الغرانقة ويأتي ببيت شعري للأعشى الأكبر:

---

[461]- نفسه، ص9.

[462]- سلسلة الروائع، بن زيدون، مرجع سابق، ص 10.

[463]- نفسه.

[464]- نفسه،ص 14.

فكيف وفي أبناء قومي منكح *** وفتيان هزّان الطوال الغرانقة[465].

فهذا البيت يحمل أكبر دلالة على تواجد غيره، ورغبتهم في الزواج بولادة، وهذا ما يؤثر في منافسه، ويشعره بوجود منافسين له وأعداء، والمصيبة الكبرى التي تصيبه هي جمال أولئك الفتيان، فعبارة (الطوال الغرانقة) تدل على الشاب الأبيض الجميل، واستخدام الشاعر ذلك لينزل منافسه منزلته، ويجعله يقتنع بالابتعاد عن محبوبته ليفسح له المجال وحده.

فكأن الشاعر يرضخ منافسه لأمر الواقع، فعليه أن يقتنع، ويعرف قدر نفسه، والتراجع عما يريده.

فالشاعر أكثر إقناعا وتأثيرا في متلقيه، فقد حرص على توظيف ما بحوزته من أفكار وتركيبها في أبلغ صيغة وأدلها، وحاول ذكر العفة والكرامة، والانتساب إلى أكرم الأقوام وأجودها، والإشارة إلى الفوارق التي تفصل بينه وبين "ولادة" : "وهل أنت إلا واو عمرو فيهم"[466]. فهو يرفع من قيمة محبوبته، ويسقط مقام منافسه، إذ لا يليق به التقدم إليها والاقتراب منها، وما يلفت المتلقي هو قوله: "وطمعا في الاعتداء منهم"[467]. فهذه العبارة تحمل دلالة واسعة، فكأن "ولادة" لم تقدر حب منافسه ولم تعره الاهتمام، وداست على مشاعره، بفهمها انه يريد الاكتتاب في قومها والانتساب إليهم، وهذا لما يعرف به القوم من (الظرف والأدب والحسب والنسب).

وهذا أقدر على التأثير في القارئ، وأكثر إيلاما لمنافسه، بإحساسه بالتشكيك في حبه، وهذا ما زاد الجمل تسلسلا في الأفكار والمعاني، فالأفكار متنوعة وتصب في اتجاه واحد، وتهدف إلى مغزى مشترك، وهو الاستهزاء بمنافسه والسخرية منه، رغبة في إبعاده عن محبوبته.

وأيضا قوله: "إذ كلهم عزب خالي الذراع"[468] فهذا مرتبط بما ذكر سابقا، فهو دائما يذكره بنسبه وما يتصف به قومه، وكيفية تفكيره في الانتساب إلى قوم "ولادة".

وبذلك جاءت العبارات متضامة، بتوظيف الشاعر لأدوات الربط المتنوعة اللغوية منها، والدلالية مع توفير سياق تداولي يعين على الفهم.

465- نفسه.

466- سلسلة الروائع، بن زيدون، مرجع سابق، ص 15.

467- نفسه.

468- نفسه، ص 16.

وانتقل الشاعر بعدها للحديث عن العقاب والنهاية التي تنتظر منافسه، فبعد أن وضع الفوارق وأعطى وبين توصل إلى الختام، وهو تهديد ووعيد بعدم العودة إلى محبوبته وإبعاده عنها، وإلزامه معرفة نفسه لكي لا يذوق وبال أمره، فهدفه الوحيد هو التخلص منه وعدم الاقتراب مرة أخرى من "ولادة"، وأيضا هذه الخاتمة جاءت متسلسلة مترابطة مع ما سبقها، فهو يوضح بعد حديث طويل، ما سيعمد إلى فعله إن هو –منافسه– لم يتأثر، وجهل معنى حديثه، وهذا ما بين انسجام الرسالة من أولها إلى آخرها، فقد نسجها نسجا متضاما، بتوثيق أوصالها، ولم شتاتها. والإحاطة بأجزائها، في وحدة متسقة متجانسة، يفهم القارئ من خلالها مقصوده، فقد أفرغ ما احتوى من ثقافات واسعة، وهجا منافسه بأقذع الهجو، في صور استهزائية، تحمل في طياتها الكثير من حقد وغضب وقلق، وحب لولادة ورغبة في الانتقام من منافسه، فهذه الرسالة لها تأثير، ووقع على الأنفس، بألفاظها وعباراتها الدالة، المعبرة إذ منحتها جمالا أدبيا، يزيد من انسجامها، وإبلاغها لمقاصد الشاعر.

فقد استطاع أن يأتي في النهاية برسالة منسجمة تحمل ما يختلج في نفس الشاعر من قلق وانفعالات، وقد وجهها لمنافسه للنيل منه، وظفره بحب "ولادة"، وهذا ما يسمح للقارئ بتأويل قريب من الحقيقة وفهم ما ترمي إليه من أهداف بارزة.

ويبدو انسجام الرسالة أيضا، من خلال توفر مبدأ آخر فيها وهو مبدأ القياس، فإذا لاحظنا في هذه الرسالة نجد قوله: "أيها المصاب بعقله المورط بجهله" ليبين سقطه، الفاحش غلطه، العاثر في ذيل اغتراره الأعمى عن شمس نهاره، الساقط سقوط الذباب على الشراب، المتهافت تهافت الفراش إلى الشهاب"[469]. ثم يأتي قوله في موضع آخر: "هجين القذال، أرعن السبال، طويل العنق والعلاوة، مفرط الحمق والغباوة، جافي الطبع، سيء الجابة والسمع، بغيض الهيئة، سخيف الذهاب والجيئة، ظاهر الوسواس، منتن الأنفاس، كثير المعايب، مشهور المثالب، كلامك تمتمة، وحديثك غمغمة وبيانك فهفهة، وضحك قهقهة، ومشيك هرولة، وغناك مسألة ودينك زندقة، وعلمك مخرقة[470].فهذا النموذج يبين كيفية انسجام الرسالة باستخدام الشاعر لمبدأ القياس، ذلك أن الجزئيين

---

[469]- المرجع السابق، ص1

[470]- سلسلة الروائع، بن زيدون، مرجع سابق، ص2.

متشابهين بحيث صاغ الجزء الأول، ثم قاس عليه الجزء الثاني، وركبه على صيغته فكلاهما وصف وذكر لعيوب عد والشاعر، وهذا بالتهكم والسخرية.

ويرى براون ويول أنه (القياس) من أبرز المبادي التي يقوم عليها تحديد الانسجام، في تأكيدهما على أنه: "علينا أن نفترض أن تجربة الإنسان مع أحداث سابقة متشابهة ستزود بتوقعات وافتراضات عن خصائص السياق التي يحتمل أن تكون مناسبة"[471]. هذا في سياق تعليقه على أهمية ربط تجربة معينة لتجارب أخرى متشابهة.

ويستشهد انه في ذلك قول أحد أقطاب علم النفس المعاصر في حديث ن مبدأ القياس في كل المعارف دون تخصيص المعرفة الأدبية حين أشار إلى أنه: "يحق لنا أن نقول أن كل العمليات المعرفية التي يتم النظر فيها، والتي تتراوح بين الأدوات والتفكير ليست إلا سبلا تمكن جهدنا في تقصي المعنى من التعبير عن نفسه، ولو وضعنا هذا الأمر بقدر كبير من التعميم، لقلنا إن هذا الجهد هو ببساطة محاولة لربط شيء معطى بشيء آخر مخالف له"[472].

فالشاعر في بنائه للرسالة وتولي عباراتها، يعيد طريقة نسج الجمل، بامتدادها المعنوي.

ومن ذلك أيضا قول الشاعر في موضع آخر وهو يستهزئ بمنافسه بذكر أبرز الأعلام وأشهر الرجال في مختلف الميادين إذ يقول: "وأن قارون أصاب بعض ما كنزت، والنطف عثر على فضل ما ركزت، وكسرى حمل غاشيتك، وقيصر رعى ماشيتك، والاسكندر قتل دارا في طاعتك، وأردشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك، والضحاك استدعى مسالمتك، وجذيمة الأبرش تمنى منادمتك..... [473].

وقوله بعد حين آخر: "إن باقلا موصوف بالبلاغة إذا قرن بك، وهبنقة مستحق لاسم العقل إذا نسب منك، وطويس مأثور عنه يمن الطائر إذا قيس عليك"[474]. فالشاعر أنشأ الجزء الأول ثم وبنفس الطريقة أنشأ الجزء الثاني قياسا على الأول، فالقارئ أثناء قراءته للجزء الأول تكون له معرفة مسبقة بكيفية الصياغة. وكذا موضوع الحديث، فعند انتقاله إلى الجزء الثاني الموالي، يحاول الربط بين اللاحق والسابق، فنشأ بذلك الترابط

471- تحليل الخطاب، ج.ب، بروان ويول، ص 74.

472- نقلا عن المرجع Barlettfc 1932 remembering combridge universitus p 227

473- سلسلة الروائع، بن زيدون، مرجع سابق، ص3.

474- نفسه، ص11.

الدلالي بين أجزاء الرسالة مما يضمن الاستمرار لها، والتماسك منى بدايتها على نهايتها لتأتي في صورة منسجمة.

كما جاء الشاعر بيت شعري يقول: (لعبيد بن العرندس)

من تلق منهم تقل: لاقيت سيدهم *** مثل النجوم التي يسري بها الساري[475].

وهذا البيت من "جملة أبيات منسوبة إلى رجل اسمه العرندس من بكر بن كلاب يمدح بها بني بدر الغنويين"[476].

فقاس عليه الشاعر حديثه لمدح قومه والافتخار بنسبه وانتمائه ويسخر من منافسه لعدم انتمائه إليهم، فهو قد استعان بما يملك من معلومات سابقة، وهي راسخة في ذهنه بحيث الموضوعين متشابهين وهذا بامتلاكه للحسن الفني، وتذوقه الرفيع، بحيث استطاع أن يبدع وينتج ما هو أحسن بقياسه مع السوابق.

وأيضا مما ورد في الرسالة، هذا النموذج: " هلا علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان، وشعرت أن المؤمن والكافر لا يتراءيان، وقلت: الخبيث والطيب لا يستويان"[477]. وقوله لاحقا بالقياس بهذا السباق: "وهلا عشيت ولم تغتر، وما أمنك أن تكون وافد البراجم، أو ترجع بصحيفة المتلمس"[478]. فهو في الجزء الأول ينبه منافسه ويستشعره بمعرفة منزلته وقدره، واستحالة ظفره بولادة والالتقاء بها، وفي الجزء الثاني ينبه أيضا منافسه ويحذره ويأمره بالاحتياط وعدم الاغترار بنفسه، والأخذ بالثقة، مع الابتعاد عن "ولادة".

فللجزئين موضوع متشابه، إذ نجده نسج عناصر الرسالة بربط محكم والاستعانة بالقياس، فالقارئ يحاول بذلك ربط اللاحق بالسباق وإنشاء علاقة بينهما، وهذا ما يثبت انسجام الرسالة وتضام عناصرها المشكلة لها، في شكل سلسلة متوالية متلاحقة.

وبذلك يكون للقياس دور فعال في انسجام الرسالة ومجيئها مترابطة، وهذا يعين القارئ على الربط بين الأفكار والأحداث، وكذا طريقة الصياغة، وكيفية تناول الموضوع،

475- نفسه، ص 14.

476- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، السفر السابع، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة ص 287.

477- سلسلة الروائع، بن زيدون، مرجع سابق، ص 11.

478- نفسه، ص 13.

فتكون له قدرة على التحليل والتفسير والتأويل، وبذلك يكون القياس عنصرا مهما في الانسجام النصي.

إضافة إلى مبدأ القياس، نجد مبدأ آخر يحقق بدوره الانسجام النصي، ويتمثل في الحالة العادية المفترضة للعوام.

ففي بداية الرسالة نجد قول الشاعر: "... العاثر في ذيل اغتراره، الأعمى عن شمس نهاره، الساقط سقوط الذباب على الشراب"[479]. فالمعروف والمعلوم أن الأعمى، يتعثر ويسقط لأنه لا يرى، فهذه حالة عادية متواجدة في عالمنا، ولم يخرج الشاعر عن المألوف، وهذا ما يبين ترابط أجزاء الرسالة، بتوافق دلالاتها مع ما هو في الواقع.

أما قوله: "فأحلت البحار عذبة"[480]. فهذه عبارة تخالف ما هو موجود في العالم العادي، وهو خرق للنظام، ويعتبر خرق للحالة العادية المفترضة للعوالم.

ومن قوله أيضا: "وأعدت السلام رطبة"[481] و"نقلت غدا فصار أمسا"[482]. فهذا ما لا يوافق النظام الذي يسير عليه العالم، فهو تجاوز للحدود، لكنه ليس مخلا للنص، بل هو مجاز يقصد به الشاعر الاستهزاء بمنافسه، وذكر المستحيلات له، باعتباره خارقا للإنسان ومخالفا له، وهذا من باب التهكم والسخرية.

وهذا ما يزيد المعنى قوة وإبلاغا، وكذا التأثير في متلقيه، إذ يقوم بتعجيزه واحتقاره، وكذا تبيان قيمته عند غيره للضحك والإيقاع بأي فعل وابسط الأمور، لذلك لجأ إلى توظيف هذه العبارات الأكثر تأثيرا وتبليغا لمراده.

أما ذكره لأسماء أعلام مشهورين، فهو يفسح به المجال للقارئ فهذا الأخير حين قراءته لاسم يوسف عليه السلام مثلا، فإنه يتبادر إلى ذهنه الجمال، وامرأة العزيز أيضا، وقصته مذكورة في القرآن الكريم. ومثلا اسم (قارون) يستطيع المتلقي بناء ما سيأتي من حديث، بتخيل صوره تسلسل العبارات بدلالاتها، وهذا مما لما يملك من خلفية مسبقة ومعلومات سابقة، فهو يربط ما سبق بما لحقه، وينشئ بينهما علاقة معنوية، تمنح استمرارية النص وانسجامه، ونفس الشيء بالنسبة لباقي الأعلام من (كسرى، الاسكندر، أردشير...) فهؤلاء المشاهير الذين ذاع صيتهم، ومنهم من يضرب به المثل سواء في

479- نفسه، ص 1.

480- نفسه، ص 7.

481- نفسه.

482- نفسه.

السيئ أو الحسن، حسب معرفة القارئ، وتذوقه الفني فإنه يتنبأ الأحداث وما سيقع بعدها من أفكار مترابطة، وهذا بالعودة والرجوع إلى تراكماته المعرفية المرتبة في ذهنه بانتظام.

فإذا وقع وإن استلزامه الحال، وكانت حاجته إليها، استعان بمخزونه، بما يخدم نصه، ويستحضر فقط ما يوافقه، فيجعله في شكل منسجم.

ونجد أيضا في قوله: " وإياس بن معاوية إنما استضاء بمصباح ذكائك"[483]. فاللفظين "استضاء، المصباح" من المعلوم والمألوف أن المصباح يضيء بنوره، فالضوء والنور له علاقة بالمصباح وغيرها من أدوات الإنارة، فهي حالة عادية مفترضة للعوالم، فلو ذكرنا شيئا آخر غير المصباح مثلا، لكان خرق للنظام، وهذا يعين على الربط والانسجام.

كما يعين القارئ على التنبؤ بما سيأتي، وما هو مواقف للعالم النصي، فتعالق اللفظين يكون بتعالق العوالم.

ومثال أخر للتوضيح، ما جاء في الرسالة: "وأبقراط علم العلل والأمراض بلطف حسك، وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة نظرك، وكلاهما قلدك في العلاج، وسألك عن المزاج، واستوصفك تركيب الأعضاء، واستشارك في الداء والدواء"[484]. فذكر (أبقراط) يكفي لمعرفة موضوع الحديث. وما سيأتي وراءه من عبارات تحمل دلالات مترابطة، إضافة إلى (جالنوس) إذ هما من الأطباء المشهورين، بمعنى أن القارئ باسترجاع ما حفظه في ذاكرته وخزنه من معلومات في نصوص سابقة متشابهة للنص الحالي، يستعين بأفكار وتقديرات للوصول إلى حقيقة، فالرسالة محكمة الربط، بتعالق عبارتها السابقة منها مع اللاحقة ، فبعد ذكر (أبقراط، وجالينوس)، جاءت الجمل تدل على الطب والعلاج والأمراض والأدوية.

وهذا ما بعد من حالة مفترضة للعوالم فهي توافق ما هو معلوم ومعناه، وهذا يخلق انسجام الرسالة.

أيضا نجد استخدام الشاعر لبعض الاختلافات في المفردات اللغوية فيذكر (الشرق) يستحضر (الغرب)، و(المؤمن) يلزم (الكافر)، و(الخبيث والطيب)، فهذه الأضداد يتبناها

483- سلسلة الروائع، بن زيدون، مرجه سابق، ص 4.

484- نفسه ص6 .

القارئ من توقعاته الشخصية، فذكر أحدهما يوحي إلى ذكر الآخر، وبه يتضح المعنى ويصبح أكثر قوة وإيحاء، فهي بدائل تلاءم عالم النص.

وكذلك قوله: "وطائر لا يصيده من أراد" [485]، فالقارئ الممتلك لآليات التحليل، عند تلقيه لفظ (طائر) يربطه بما هو معلوم في العالم العادي وهو (الصيد)، وقد يكون: الطيران... إلخ من احتمالات ممكنة، فالصيد له علاقة بالطيور، لذلك يمكن التوقع بالأفكار الموالية في شكل تسلسلي منسجم، فالرسالة جاءت عناصرها مطابقة لما هو عادي مفترض في العالم.

وما يضفي أيضا الاستمرارية والانسجام للرسالة هو تلك الحالات المتداولة المعلومة في العالم، فمثلا الفعل (أمتطي) يفهم مباشرة وجود حيوان وهو الجواد، إلا انه قال: "لأمتطي الثور دون الجواد"[486]. وهذا غير مألوف وخرق للنظام العادي، إلا أنه صاحب كلامه بإضافة (دون الجواد)، فهو استمرار للدلالة والمعنى، وهو يسخر من منافسه دائما بتنويع الوسائل وهذا لم يفقد الرسالة تماسكها، بل زادها قوة التعبير، ونفس الشيء الفعل (اختلت)، فذكره يبين ما سيأتي من القول، فالقارئ يتنبأ ما سيحدث من أفعال، فالمفترض لفعل (اختلت) هو (المشي)، وهذا ما جاء به الشاعر في قوله: "واختلت في مشيتك"[487]. وهذا تماشيا والحالة العادية المفترضة للعوالم.

وفي النهاية أخذ الشاعر في ذكر العقاب، وسوء الختام لمنافسه، فجاءت العبارات مترابطة ومتوالية، فكانت على النحو الآتي: "وقرعت عصا العتاب، وحذرت سوء العقاب، إن العصا قرعت لذي الحلم، والشيء تحقره وقد ينمي"[488]. هذه العبارات متسلسلة تحمل أفكارا تصب في اتجاه واحد، فالتحذير والتهديد يكون بالنسبة للعاقبة، كما أن صاحبها قد يندم ويرجع باللوم على نفسه، وهذا موجود في عالمنا. فالشاعر وافق بينهما، وهذا ما خدم الرسالة في انسجامها.

وبذلك جاءت الرسالة منسجمة بتوفرها على مختلف العناصر، والآليات المتنوعة، منها الحالة العادية المفترضة للعوالم، فهذا يعمل على تحقيق التواصل بين المنتج

---

[485]- نفسه، ص 12.
[486]- سلسلة الروائع، بن زيدون، مرجع سابق، ص 14.
[487]- نفسه، ص 15.
[488]- نفسه، ص17 .

والقارئ، وتمكن هذا الأخير من الفهم بربطه لأفكار النص مع ما هو مقترض في العالم العادي، بمعنى أن عالم النص يوافق العالم العادي.

وأخير يأتني الحديث عن آخر مظهر من مظاهر الانسجام، ألا وهو التعريض، الذي يعتبره الباحثون "ذا علاقة وثيقة مع الخطاب، ومع عنوان النص"[489]. وانطلاقا من العنوان باعتباره: "تعبيرا ممكنا عن الموضوع"[490]. ورؤية الباحثين لأهميته " كوسيلة قوية للتعريض لأننا نجد –مثلا– اسم شخص مغرضا في عنوان النص، يتوقع أن يكون ذلك الشخص هو الموضوع"[491].

فانطلاقا من التغريض، نجد البداية في مواجهة العنوان، فأخذ الشاعر: "الرسالة الهزلية" كعنوان لرسالته هذه، ولم يأخذ غيره من العناوين المحتملة، فلماذا هذا العنوان، وهل له علاقة بمضمونها ومحتواها، وهل يدل على ما جاء بعده.

إن المتصفح لهذه الرسالة يجد في البداية عنوانها (الرسالة الهزلية). ويأتي بعده مباشرة الجملة الأولى، وهي جملة الانطلاق أو جملة المنطلق. ويطلق عليها جملة المفتاح، وهي "أيها المصاب بعقله"[492]، فهذه الجملة بدأت بنداء، وتبعها بالذم والهجاء (المصاب بعقله)، فالنداء للتنبيه ولفت الانتباه، وهنا عبارة عن سخرية واستهزاء، وبهذا مرتبط بالعنوان لما يحمله من معنى الاستهزاء والهزل، وبعدها تلاها بجمل كلها ذم وتحقير لمنافسه، بحيث تتراكم الوحدة تلو الأخرى، وتنمو وتتزايد لتصبح فقرة أو جزءا، دالا عما هو في العنوان، والمتحدث عنه هو منافس الشاعر (بن عبدوس).

وقد وظف الشاعر التغريض لمنافسة، باستعمال ضمائر تحيل عليه مثل: الهاء في (عقله، جهله، سقطه، غلطه) ومثلا: (أنك، بك، عليك، لك) فهو يوجه له الكلام بسخرية واستهزاء، هذا ما يدل على ارتباطه بالعنوان.

وقد عمد الشاعر إلى ذكر العديد من الأعلام المتهورين، وهذا بانتساب أفعالهم إليه، وهو قمة التهكم، فهذا استمرار للجملة الأولى، بحيث تأتي وراءها الجمل في تسلسل حلقي متنامي، فهي المركز الذي يدور حوله موضوع الرسالة، أو ما نسميه النواة.

489- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ، محمد خطابي، ص 293.
490- تحليل الخطاب، ج.ب، براون ويول، ص 156.
491- نفسه، ص 157.
492- سلسلة الروائع، بن زيدون، مرجع سابق، ص 01.

كما وظف التغريض لمنافسه باستخدام ظرف الزمان فمثلا: زمن الماضي الظاهر في الأفعال مثل: (استوصفك، استشارك، نهجتــ أظهرت، أعطيت، جعلت) فهذه الأفعال الماضية يحقق بها الانسجام في الرسالة.

وبعدها ذكر مختلف العلوم وبعض تفاصيلها، فهو يزيد من الإطاحة بمنافسه، وما يوضح استهزاءه وسخريته، قلقه الشديد (وعبست وأبسرت)، فالقارئ يربط بين عنوان الرسالة ومضمونها فهما مترابطان، ودلالة العنوان مستمرة وممتدة في الرسالة، فالعنوان يوحي إلى ما سيأتي ذكره بعد. فقد استمر الشاعر في التهكم بذكر عدم رغبة "ولادة" لرؤية منافسه، فقال: "فالمعيدي تسمع به لا أن تراه"[493]، وهذا المثل يضرب لمن خبره خير من رؤيته، فهو يحاول به التأثير والنيل من منافسه، دون استعمال القوة، فقط بالاستهزاء والسخرية فالهزل أكثر إيلاما وأكثر تأثيرا في العدو.

ثم يواصل الشاعر نسج رسالته، بدلالة العبارات على الاستهزاء وهذا بإنماء الجملة الأولى (المنطلق) (المصاب بعقله)، كما أن المصاب بعقله تنتج عنه كل الأفعال والحركات التي وظفها الشاعر بعد ذلك في رسالته.

ثم عاد إلى ذكر من هم أهل للرفعة والاحترام، وهذا بإقامة مقارنة، وإعطاء منافسة صورته الحقيقية، وهذا تهكما به.

وتبقي دلالة الجملة الأولى مستمرة في جميع أجزاء الرسالة، وهذا ما يؤكد انسجامها، وترابطها، بحيث تتزايد الجمل بتنويع الأفكار التي تضم دلالات متقاربة، متشابهة، تهدف كلها إلى مغزى واحد.

والاستهزاء حاضر أيضا بتحديد الحسب والنسب، والافتخار بالانتماء إلى قوم دون آخر، وهذا كتوجيه سهم من سام إلى منافسه. مع ارتياحه والرغبة في اقتلاعه.

وحاول الشاعر أيضا جمع كل الصفات القبيحة في منافسه ووصفه بها، مع الازدراء به، ثم هدد بعدم الرجوع إلى "ولادة"، وأمره بالابتعاد عنها، وهذا من باب التهكم والإتيان بأمثال تضرب في ذلك مثل: جعجعة ولا طحنا"[494]، "رب صلفة تحت الراعدة"[495].

---

[493]- سلسلة الروائع، بن زيدون، مرجع سابق، ص 10.
[494]- سلسلة الروائع، بن زيدون، مرجع سابق، ص 17.
[495]- نفسه.

وفي هذا يتبين أن الشاعر يستمر في الاستهزاء بمنافسه وينزله منزلته، ويعرفه قدر نفسه، فالعنوان كان له علاقة بمضمون الرسالة وما تحويه من دلالات.

وكذا الجملة الأولى، إذ تنامت، وتزايدت بضم باقي العبارات إليها، وهذا ما يعين القارئ على الفهم، والربط بين الأفكار والدلالات، وبذلك تمكنه من كشف خبايا الرسالة، فيضع تنبؤات عما سيقع وسيلحق.

فكانت الجملة الأولى هي المنطلق، وهي الجملة المحور التي يتمحور حولها الموضوع، وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعنوان وتتابعت العبارات من وراءها، مع ربط محكم، بتنويع المفردات والجمل، والتراكيب اللغوية والدلالية، فجاءت في شكل حلقات متسلسلة الشكل، في وحدة واحدة هي نص الرسالة

والرسالة منسجمة بتغريض الشاعر، من خلال العنوان الذي اختاره لرسالته، وكذا من خلال الجملة الافتتاحية.

وبذلك نقول أن الرسالة منسجمة من خلال ما ظهر فيها من آليات وأدوات متنوعة ومتعددة، مختلفة الجوانب: الجانب البنيوي، والدلالي، والتداولي، فالتركيب الصوتي واللغوي يعين على الربط بتوفر روابط دلالية معنوية، في سياق ما، كل هذا يحقق الانسجام والاستمرارية.

وقد كانت رسالة الشاعر موجهة، ومعبرة، وغنية لغويا ودلاليا، وقد استطاع من خلالها التأثير في متلقيه، وتحريك مشاعره، وهذا بطريقته المستعملة من استهزاء وتهكم وهزل.

الخاتمة :

بعد أن جبت في جنبات البحث مجالات عدة، فرضتها عليّ طبيعته، خلصت إلى مجموعة من النتائج، يمكن إيجازها فيما يلي:

1- لقد وقع خلط كبير بين مفهوم كل من النص والخطاب، فذهب البعض إلى أن النص يطلق على الكلام المكتوب والخطاب يعني الملفوظ، وهناك من رأى غير ذلك، إلا أن الرأي الأرجح بعد تتبع الدراسات المتنوعة والبحوث المختلفة هو أنه لا فرق بين المصطلحين في الاستعمال، فكلاهما يعد عملا أدبيا.

2- كما وقع أيضا الخلط بين مصطلحي الاتساق والانسجام، وصعوبة التفريق بينهما، وبين أدوات وآليات كل منهما، لكن الباحثين أجمعوا على أن الاتساق يتحقق بالوسائل اللغوية، والنظر إلى الأدوات الشكلية، ذلك أن عناصر النص تترابط فيما بينها بوجود الروابط الدلالية في النص التي تمنحه تماسكا معنويا، وهذا يتطلب من القارئ معرفة المعنى الخفي بالإستعانة بالسياق الذي ورد فيه النص، فيقوم بعمليات التفسير والتحليل والتأويل، بتوجيه معطيات النص المختلفة.

3- إن تحديد مدى انسجام النص لا يتم بآليات وأدوات نهائية ثابتة، فهي ليست قوانين مطلقة يتبعها كل باحث أثناء دراساته، ودليل ذلك تنوعها عند الباحثين والاختلاف في تصنيفها.

4- إن تتبع الانسجام في التراث العربي نجده في شكل مباحث خاصة في علوم البلاغة والتفسير، فهو لا يزال نسخة غربية، إلا في بعض الدراسات والمحاولات العربية، وهذا لحداثة علم لسانيات النص.

5- الرسالة عبارة عن نص موجه من طرف واحد، من ابن زيدون وهو (المرسل) إلى منافسه بن عبدوس وهو (المتلقي).

6- إن دراسة الرسالة الهزلية يؤكد توفرها على الروابط الشكلية اللغوية، الكافية لاتساقه، وكذا ترابطها الدلالي بترابط عناصرها معنويا وفق السياق المتوفر، وهذا ما يسمح للقارئ بالتأويل والفهم، فهذه الرسالة تعد نموذجا للنصوص

المنسجمة، وهذا لغناها بمختلف روابط التماسك والتلاحم اللغوية منها والدلالية، إذ جاءت في صورة متكاملة موحدة، تبين مدى انسجامها.

7- من خلال دراسة وتحليل الرسالة تبين أن الشاعر يوظف معارفه وعلومه في إنتاج النصوص، وإثرائها بما يملك من معلومات في كثير من المجالات المتنوعة.

8- استطاع الشاعر أن يجمع بين الحب والكره، حبه لولادة، وكرهه واحتقاره لمنافسه، وجمع بين الجد والتهكم، فهو في الحقيقة يصرح بما يكنه من حقد على منافسه، وفي الوقت نفسه يسخر منه ويستهزئ به.

9- لم يلاحظ تناقض بين المعطيات النظرية والعمليات التطبيقية لها على النص، ويعود ذلك إلى قدرة الشاعر على إنشاء نص منسجم.

10-القارئ يتلقى النصوص، فهو يحاول فك رموزها، باستخدام ما لديه من علوم ومعارف لمحاولة فهمها، وتفسيرها ومعرفة مقاصد وغايات المنتج، وهذا باستنطاق مكامنها، واستخراج مختلف القرائن المتوفرة فيها.

11-على القارئ أثناء التحليل النصي الانتقال من الجملة إلى النص، باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى.

12- هذه الرسالة تتطلب وجود قارئ متمكن، ذو فعالية وقدرة على التحليل والتأويل والفهم، ودليل ذلك الأسلوب المستخدم وطريقة الصياغة والتقديم.

13- أثبت هذا البحث دور الفصل والوصل في خلق الانسجام النصي، فالفصل يحقق الربط عبر العلاقات المعنوية، أما الوصل فهو يعتمد على الوسائل اللغوية.

14- كما تبين دور السياق والقارئ في كيفية تحديد المعنى، إذ لهما فعالية كبرى في خلق نصية النص، وضمان استمراريته.

15- تبين أيضا فعالية بعض العناصر كالحذف والاتساق المعجمي والاستبدال والتغريض أثناء التحليل النصي، فهي تعين القارئ على الفهم، وتربط أجزاء النص من بدايته إلى نهايته، فالعنوان يدل على مضمون ومحتوى الرسالة.

16- الانسجام يتمثل في وحدة النص، فهو النواة المركزية لتحليل النصوص، والوحدة تكون بالحب والتآلف، بتوحيد القلوب من خلال الرسالة، وهذا بحب بن زيدون لولادة فهو أكبر دليل على الانسجام.

قائمة المصادر والمراجع :

1 - استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

2- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع تونس، ج1، ط1، 2001.

3- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث د ت، ج3.

4- الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002.

5- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، مكتبة القاهرة، ط3، مج1 ج3.

6- البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النص،جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

7- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1988.

8- البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، محمد عبد المنعم خفافي وعبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.

9- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تح: حسن السندوبي، دار الفكر، بيروت، د ت، ج1.

10- التفكير التربوي في التراث وإشكالات قراءته، (من الجملة إلى علم النص). بشير إبرير.

11- الحداثة وفكر الاختلاف، عبد القادر بودومة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003.

12- الصناعتين، أبو الهلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة.

13- المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، ط1، 2006.

14- المعجم الفلسفي، جميل صليب، مكتب لبنان، بيروت، 1987.

15- الملفوظية، جان سيرغوني، تر: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998.

16- النص، ممارساته وتجلياته، منذر عياشي.

17- النص والخطاب والإجراء، روبيرت دي بوجراند، تر: تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 1418هـ-1988م.

18- النص والسياق، استقصاء الحث في الخطاب الدلالي التداولي، فان دايك: تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2000.

19- بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، صلاح فضل، الكويت، ع164، 1992.

20- تحليل الخطاب، ج.ب. براونـ تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، الرياض، 1997.

21- تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، عبد القادر درشرشار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006.

22- تحليل النص الشعري (بنية القصيدة)، يوري لوتمان، تر، محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، 1995

23- دراسة لغوية لصور التماسك النصي، مصطفى قطب

24- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، 1980.

25- دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان، تر: كمال بشير، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط12، 1981.

26- دينامية النص (تنظير وانجاز)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط2، 1990.

27- سلسلة الروائع، بن زيدون، الرسالتان ومقطعات شتى، فوائد أفرام البستاني، دار المشرق، بيروت، ط4، 1977.

28- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية، د.ت.

29- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1985

30- علم اللغة النصي، صبحي إبراهيم الفقي، بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000.

31- علم اللغة، نشأته وتطوره، محمود جاد الرب، دار المعارف، القاهرة، دت 1987.

32- علم اللغة والدراسات الأدبية، برند شبلنر ، تر: محمود جاد الرب، الدار الفنية، القاهرة، 1987.

33- علم النص، مدخل إلى مشكلات بناء النص، زتسيسلاف واورزيناك، تر سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003.

34- علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، لونجمان، القاهرة، ط1، 1997.

35- عندما نتواصل نغير، (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل الحجاجي)، عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق، المغرب، 2006.

36- فعل القراءة، فولفغانغ ايزر، نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)، تر: حميد لحميد والجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، 1994.

37- فقه اللغة وعلم اللغة، نصوص ودراسات، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 1995.

38- في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط1، 2007.

39- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص)، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، 2001.

40- قضية البنيوية، دراسة ونماذج، عبد السلام المسدي، دار الجنوب، تونس، 1995.

41- لسان العرب، ابن منظور، إعداد وتصنيف، يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، د ت.
42- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
43- مبادئ في اللسانيات، جان ميشال آدم.
44- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة، الجزائر، د، جوان.2000
45- محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، دراسة في الأصول والملامح والاشكالات النظرية والتطبيقية، بشير تاور يريت، دار الفجر للطباعة والنشر، ط1، 2006.
46- مدخل في اللسانيات، صالح الكشو، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985.
47- معجم المحيط، أديب اللجمي وآخرون.
48- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان، ناشرون، ط2، 1966.
49- مفتاح العلوم، السكاكي (يعقوب يوسف أبي بكر بن علي)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط.1
50- مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.
51- من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح، الكويت، 1990.
52- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001.
53- نسيج النص، (بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، 1993.
54- نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2006.
55- نظرية النظم، صالح بلعيد، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، جوان.2001

56- نهاية الأرب، فنون الأدب، تأليف شهاب الدين ابن أحمد ابن عبد الوهاب النويري، السفر السابع، دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، القاهرة.

المجلات:

1- الخطاب والخطاب الأدبي وثورته اللغوية، رابح بوحوش، مجلة اللغة والأدب، ع12، دار الحكمة، الجزائر، 1997.

2- العرب والفكر العالمي، -من النص إلى الخطاب-، مجلة، ع5، 1989.

3- حول الاتساق في نصوص المرحلة الثانوية (مقاربة لسانية)، مفتاح بن عروس، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع12، 1997.

4- علم النص وأسسه المعرفية وتجلياته، حسن جميل، عالم الفكر، الكويت، ع2، 2003.

5- مجلة عالم الفكر، مج 27، ع1، الكويت، 1998.

6- منهج التحليل النصي للقصيدة، محمد حماسة عبد اللطيف، فصول، مج 15، ع12، 1996.

1- cohesion in english : halliday M.A.K. and Ruquaya. Hasan, longman, london, 1976

2- dicionnaire de l'inguistique et des siences du langage : j. dubois ; imprimerie « latipografica. S.P.A »Italie depot légal, 1999.

3- dicionnary of applied linguistics, jack richard, longman 1 st ed, 1985.

4- element de l'inguistique textuelle, théorie pratique de l'analyse textuelle, mardago, paris, 1990.

5-interpreting anaphars in natural language, textx- david carter-ellis horwood limited ; england, 1987.

6- langage, context and texte : aspects of langage in a social semiotic perspectiv : halliday and hassan, oscford uinversity, press, 19989.

7- the cambridge encyclopedia of langage, david crystal.

Les sites :

1- http / said ben krad. F R/AL/n17/8. RTM.

2- WWW. Islame online. Net.

3- WWW. Rouaa. Com.